حركات التجديد فى الشعر الحديث

د. محمد عبد المنعم خفاجى

الناشــر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

حركات التجديد فى الشعر الحديث

حركات التجديد فى الشعر الحديث

د. محمد عبد المنعم خفاجى

كمبيوتر: (دار الوفاء)

الطباعة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد

بجوار مساكن دربالة بلوك رقم ٣

الرقم البريدى: ٢١٤١١ – الإسكندرية

رقم الإيــداع: ٢٠٠١/٥٥٩٤

الترقيم الدولى: 977 - 327 - 151 - x

بسم الله الرحمن الرحيم

تصــــديــــــر

تيار التجديد في الأدب الحديث

- ١ -

يبدأ الأدب الحديث في العالم العربي في رأى العديد من الأدباء ببدء العصر الحديث، أي بالحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، نظرا لأثرها السياسي والفكري والعلمي كما يقولون، ولأنها فتحت مجالا للصلات الحضارية بين الغرب والعالم العربي، ويؤكد ذلك جورجي زيدان في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية"، وعمر الدسوقي في كتابه "في الأدب الحديث"، وأحمد حسن الزيات في كتابه "تاريخ الأدب العربي" وطه حسين وزملاؤه في كتابيهم "المفصل"، و "المجمل في تاريخ الأدب العربي".

وممن ذهب إلى ذلك أيضا العقاد في مقالة له نشرت في مجلة قافلة الزيت التي تصدر في الظهران (عدد مارس ١٩٦٢)، ذهب فيها إلى أن عصر النهضة في الأدب العربي يبدأ بالحملة الفرنسية.

وينوه عبد الله عنان في بعض كتبه التي أرخ فيها لقتل سليمان الحلبي بالمحكمة الفرنسية التي حاكمته تنويها بالغا. وكذلك يحيى حقي في بعض مقالاته، وكثير من الدارسين من قبل هؤلاء ومن بعدهم من مثل د. حامد حفني داود في كتابه "تاريخ الأدب العربي الحديث" مجدوا أثر الحملة الفرنسية.

وفي رأيي أن الأدب الحديث لم يتغير بعد الحملة الفرنسية عما كان عليه قبلها، فضلا عن أن هذه الحملة، لم يكن لها صدى في نفوس المصريين والعرب إلا الشعور بالمرارة والألم لمحاولات الاستعمار الانقضاض على دولة عربية كبيرة.

ويؤيدني في ذلك الدكتور أحمد عزت عبد الكريم رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ففي بحث ألقاه في مؤتمر الدراسات التاريخية الذى دعت إليه الجمعية في القاهرة خلال شهر ابريل عام ١٩٧٤، بمناسبة مهرجان الجبرتي، يقول

الدكتور أحمد عزت في بحثه الذى كان عنوانه "لمحة عن الجبرتي ومكانته بين المورخين" ما نصه: من الصعب أن نذهب مذهب القائلين بأن الحملة الفرنسية تركت أثرا استمر باقيًا من بعدها على المجتمع المصرى والثقافة المصرية. إننا لا ننكر أن الحملة كان لها أثرها السياسى فى تحطيم النظام القائم، وفى فتح باب ما سمى بالمسألة المصرية .. أما التأثير الاجتماعى والثقافى فمن الغلو فى القول أن نذهب مذهب القائلين بأن الفرنسيين وجهوا المجتمع المصرى والثقافة المصرية وجهة جديدة، بل لقد ذهب كل ما أقاموه بذهابهم".[1]

هذا هو ما يقوله شيخ المؤرخين المعاصرين، وهو أكبر دليل على بطلان زعم الزاعمين بأن الحملة الفرنسية صنعت المعجزات فى حياة مصر الحديثة.

وفى رأيى أن أدبنا الحديث لم يظهر إلا فى أواخر القرن التاسع عشر، حيث قام الأدب الحديث فى النثر بريادة الإمام محمد عبده، وفى الشعر بريادة محمود سامى البارودى زعيم المجددين، إذ كان أول شاعر من ثمار العصر الحديث.

ويؤكد د. محمد مندور ذلك الذى أقوله! ففى مقال له نشرته مجلة الهدف (عدد يوليو ١٩٥٦) رأى فيه أن الأدب الحديث يظهر بظهور الثورة العرابية فى مصر.

وفى مقال لطه حسين فى مجلة البشير الباكستانية يرى أن الأدب الحديث تحدد اتجاهه الجديد بعد ظهور حركة البارودى فى الشعر، وحركة مصطفى كامل التحررية، وحركة الإمام محمد عبده فى الإصلاح الدينى، ويقول: إن محمد عبده رد إلى العقل المصرى الحديث حريته فى التفكير.

ويذهب محمود تيمور (مجلة الرسالة عدد ١٩٦٤/٤/٢٣) إلى أن الأدب الحديث يبدأ من نصف القرن التاسع عشر.

وكان الأدب الحديث فى جملته أدبًا عربيًا بليغًا، يعتمد على البلاغة الأدبية الموزونة وتتنوع صوره وأشكاله ومضامينه تنوعًا كبيرًا فمن مقامة إلى خطبة إلى فصول فنية، إلى نقد ودراسات وتراجم أدبية.

---

[1] راجع ص٣٤ من كتاب أخبار نجد والحجاز فى تاريخ الجبرتى - محمد غالب - ١٩٧٥ - طبع الرياض.

وكان لقيام المدارس والمجامع والكليات والصحف فى أنحاء العالم العربى أثر فى ظهور الأدب المعاصر فى أوائل القرن العشرين، وذلك الأدب هو الذى شهد مولد "حديث عيسى بن هشام" للمويلحى وشهد مولد فن القصة برواية "زينب" لهيكل "وسارة" للعقاد، وشهد مولد الأدب المسرحى ممثلا فى مسرحيات توفيق الحكيم الأولى، وشهد مولد فن المقالة الأدبية والسياسية.

وحول محمد عبده وتلاميذه مجرى الأدب، فجعلوه فى خدمة الأمة، يطالب بحقوقها، ويدافع عن حياتها، وأخذ الأدب يتحدث عن الشعب وينشد الحرية، ويفيض فى الحديث عن حقوق الإنسان.

لقد كان "حديث عيسى بن هشام" لمحمد المويلحى أثرًا من آثار النهضة الفكرية التى غرسها الأفغانى ومحمد عبده فى عقول الأدباء، والأفغانى هو الذى شجع سليمان البستانى على ترجمة الإلياذة لهوميروس فقال له كما يروى البستانى نفسه: إننا يسرنا أن نفعل اليوم ما كان يجب على العرب أن يفعلوه قبل ألف عام ونيف، وياحبذا لو أن الأدباء الذين جمعهم المأمون بادروا إلى نقل الإلياذة بادئ ذى بدء، ولو ألجأهم ذلك إلى إهمال نقل الفلسفة اليونانية برمتها.

وكان نشر كتب التراث القديم، وفى مقدمتها: مقدمة ابن خلدون؛ والأغانى، والعقد الفريد، ومقامات الحريرى، ومقامات البديع، ونهج البلاغة، وسواه، عملا أحدث أثره الكبير فى قرائح الأدباء والشعراء.

لقد أوقد الأفغانى فى مصر والشرق الإسلامى شعلة فكرية متوهجة. تنزع إلى الإحياء والنهضة والتجديد، وآزره فى هذا المضمار تلميذه الإمام محمد عبده.

وضاعف من توهج الشعلة ترجمة الكثير من الكتب الأدبية والثقافية والفكرية من لغات أوروبا المختلفة إلى العربية، مما أحدث أثره فى عقول الشباب العربى فى أوائل القرن العشرين.

- ٣ -

ولقد كانت كتابات محمد عبده وشكيب أرسلان ومحمود شكرى الآلوسى .. وسواهم من أعلام الفكر مقدمة لحركة تجديدية واسعة النطاق فى الأدب.

وزاد من اتساع هذه الحركة عودة أعضاء البعثات التعليمية العربية التى كانت قد أرسلت إلى مختلف جامعات الغرب، حيث قاموا بعد عودتهم بترجمة الكثير من روائع الأدب والفكر لتكون بين أيدى الشباب.

كل ذلك أدى إلى ظهور التيار الرومانسى فى الأدب الحديث. وكان أول من دعا إليه حاملا راية التجديد والابتداع فيه الشاعر خليل مطران فى الشعر ومصطفى لطفى المنفلوطى فى النثر. وكان مطران يردد: أريد التجديد أكثر مما أردته كل آن. أريده ولا أكيفه، أريد أن تكون لغتى شريكتى رؤية وسماعا وشعورًا، تلقاء كل ما يجد، وأن تتناوله، وأن تعيننى على الإفصاح عنه.

وصبغ المنفلوطى النثر الحديث بصبغة رومانسية واضحة تتجلى فى آثاره المشهورة: النظرات - العبرات - ماجدولين - الفضيلة - الشاعر.

وجاء طه حسين، فعزز نهضة الأدب، والنثر العربى، بجميع فنونه وموضوعاته.

وأيد هذه النهضة كتاب شاركوا فى كل حقل ثقافى وأدبى، ومن بينهم: د.محمد حسين هيكل - عزيز أباظة - أحمد أمين - مصطفى صادق الرافعى - محمد كرد على - عباس محمود العقاد - زكى مبارك - أحمد حسن الزيات - مصطفى عبد الرازق - وسواهم.

- ٤ -

وإذا كان أدب القرنين السابع عشر والثامن عشر فى أوروبا أدبا كلاسيكيا، لأنه أدب إحياء وتقليد للآداب القديمة الإغريقية واللاتينية، ولأنه أدب جودة الصياغة وفصاحة التعبير، ولأنه أدب الخضوع للأصول والقواعد المرعية فى اللغة والأدب، واستلهام التراث والآداب القديمة، واتخاذها نماذج تحتذى، ولأنه أدب العقل الذى يضحى فيه الأديب بعاطفته فى سبيل الدقائق الذهنية والوثبات الفكرية.

فإن الأدب الذى حمل شعار تحطيم القيم الكلاسيكية والدعوة إلى الرجوع لحكم الذوق والعاطفة والإلهام والتجديد، هو الأدب الرومانسى، هذا الأدب الذى مجد الطبيعة، وترنم بجمالها الحر البسيط، وعاش فى أحضان الريف، والذى ثنى بالطابع الذاتى الوجدانى وما يتبعه من ألوان العواطف والشعور، ومن ثم اتجه إلى الأدب الغنائى العاطفى، الذى التزم البساطة فى كل شىء، فى التفكير والتعبير، فى التذوق والشعور، وترك النفس على سجيتها، وعانق النظرة والطبع الخالص ..

وقد قامت الرومانسية فى إنجلترا، ثم ألمانيا وأسبانيا وإيطاليا، والتيار الذى قامت عليه هو التيار العاطفى.

وفى ظل الرمانسية نهض الشعر الغنائى، لأنه شعر ذاتى، لا موضوعى، وتكونت الوحدة العضوية للقصيدة، فأصبحت القصيدة ذات بنية حية تنمو من داخلها، فى اتساق تام نحو نهايتها .. على ما ذهب إليه جوته وسواه من الشعراء الغربيين.

وكان جوته وهو من رواد الرومانسية فى الغرب يقول: يجب أن يحذر الشاعر النقل عن أى شاعر آخر، لأنه يريد أن يكون تعبير الشاعر عن ذاته هو لا عن ذات غيره ويقول شاعر رومانسى آخر: معلمى هو الألم ولا شىءٌ يسمو بنا إلى العظمة سواه..

وبلغ الشعراء الفرنسيون الرومانسيون فى التعبير عن ذواتهم وعن فلسفة الألم التى تنطوى عليها جوانحهم كل مبلغ.

وازدهرت الرومانسية فى القرن التاسع عشر. وكانت بداياتها فى مصر ترجمات لأدب جوته "وأناتول فرانس، والفريد دى موسيه.

ولا ننسى تأثير ماجدولين والشاعر وهما من روايات المنفلوطى التى قام بترجمتها من الفرنسية وكذلك رواية البؤساء التى ترجمها حافظ إبراهيم، وآلام فرتر التى ترجمها الزيات، وكلها من الأدب الرومانسى، وقد أثرت تأثيرًا عميقا فى طبقات كثيرة من الأدباء.

وقد دعا شكرى إلى الرومانسية، واتخذ شعارًا لها كتبه على غلاف الجزء الأول من ديوانه الذى صدر عام ١٩٠٩، وهو قوله:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

وشعر على محمود طه وناجى وأبى شادى وصالح جودت ومحمود حسن إسماعيل والشابى والتيجانى بشير يعد نماذج رائعة للشعر الرومانسى.

ومن الدواوين التى حملت شعار الرومانسية: وراء الغمام لناجى. والملاح التائه لعلى محمود طه، والألحان الضائعة للصيرفى، وأزهار الذكرى للسحرتى .. والزورق الحالم لمختار الوكيل، وهى كلها شعر يعبر عن ذات الشاعر، ويستلهم الطبيعة والكون، ويصور وجدان الشاعر الخاص بما فيه من آمال وآلام وأشواق روح. وهؤلاء هم شعراء مدرسة أبولو الذين ساروا فى ظلال الرومانسية يدعون إلى التجديد بكل طاقاتهم ومواهبهم.

حركات التجديد فى الشعر الحديث

(١)

الشعر العربى الحديث الذى نقرؤه ونتذوقه، ونحفظ روائعه التى أبدعها الشعراء العرب فى كل مكان من مختلف بلاد العروبة، مدين لمحمود سامى البارودى رائد شعراء النهضة الحديثة بدين كبير.

فمن حيث كان الشعراء العرب ينظمون الشعر متأثرين بنماذجه فى العصر العثمانى، الذى ضعفت فيه البلاغة العربية، واضطربت فيه الأذواق الأدبية وفسدت فيه الملكات، وغلب فيه على الشعر الركاكة، والابتذال والمحسنات البديعية اللفظية التى لا يتطلبها المعنى، ولا يستدعيها المقام ولا يستفيد منها القارئ شيئا، وشاع فيه نظم الشعر فى تافه الأغراض.

رأينا الشاعر محمود سامى البارودى يظهر فى سماء الشعر العربى. نجما لامعا، وكوكبا ساطعا، ليجدد للشعر شبابه، ويحيى له دارس عروبته .. وقد كان البارودى منذ حداثته يميل إلى الأدب، ويتذوق روائع الشعر، ويستمع إلى ما يلقى فى أندية الأدب ومجالسه من منثور ومنظوم. ثم صار يقرأ على الأدباء والشعراء النماذج المختارة، ويشاطرهم فقه ما يقرأ. ثم استقل وحده بقراءة الدواوين الشعرية لأعلام الشعر القديم، وبخاصة الشعراء الجاهليون والإسلاميون والمحدثون، حتى وصل فى قليل من الزمن إلى مالا يدرك فى متطاول الأزمان. فنظم الشعر وهو دون العشرين، وصار يحذو فيه حذو الجاهليين والإسلاميين والمحدثين، فلا يقصر عنهم، ولا يقع دونهم ..

وإن تعجب فعجب أن البارودى لم يدرس فى مطلع حياته قواعد العروض والقافية، ولا قرأ النحو ولا الصرف ولا معاجم اللغة .. وإنما اتخذ الأدب هوايته، والشعر حرفته، تذوقا وطبعا. لا أثر للصناعة فى شىء من ذلك كله ووصل إلى ما وصل إليه

عن طريق محاكاته لبلاغات القدماء، حتى لا نجد له لفظا نابيا. ولا اسلوبا ضعيفا .. وكأنما هو من الأعراب الناشئين في البلاغة والأدب .. فطرة سليمة، ونفس صافية وذوق رفيع، وإلهام صادق.

وإذا كان شعره في مطلع شبابه يمثل طموحه الأدبي، وأمله في الوقوف بجانب فحول الشعراء، فإن شعره في أيام محنته واغترابه يمثل شاعرا رصينا يحاكي فحول الشعراء في القرن الثالث والقرن الرابع من أمثال أبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والشريف الرضي، وغيرهم. جزالة اللفظ. وفحولة نظم. ورصانة قافية، وإشراف ديباجة، وصفاء عبارة، وجمال أسلوب، حتى يمكن أن يقال أنه منذ مئات السنين لم يجئ من الشعراء من يفوق البارودي في ذلك أو يدانيه ..

ولقد كان رائد حركة البعث الأدبي في مصر في النثر هو الإمام الشيخ محمد عبده .. الذي رعى الأدب والأدباء، ووجه الشعر والشعراء، توجيها رائعا جديدا .. وكانت صلته بالبارودي وثيقة.

وعن البارودي يقول أستاذه الشيخ المرصفي صاحب كتاب "الوسيلة الأدبية": أولع البارودي وهو غض الحداثة بحفظ الشعر، وأخذ نفسه بدراسة دواوين الفحول من الشعراء المتقدمين، حتى شب فصيح اللسان، مطبوعا على البيان، دون أن يتعلم النحو، فانطلق يقول الشعر في أغراضه المختلفة "ونهض به نهضة عظيمة فأعاد إليه حلته العربية، حتى شاكل شعر الشريف الرياضي والمتنبي في جزالة اللفظ، ومتانة النسج، وقوة الأسلوب، وروعة الديباجة، ولم يتخلف عن متقدمي الشعراء في شيء، على أنه ربما أربى عليهم بما جال به في فنون المعاني، التي تجلت بها الحضارة الجديدة، وما وصف من مخترعات كشف عنها العلم الحديث.

وقد دارت أخيلة البارودي ومعانيه بين توليداته العجيبة في معاني هؤلاء السابقين وأخيلتهم، وبين ما أثارته أحاسيسه العربية الخاصة، وهي بين مولدة ومخترعة – آية القدرة، وثراء الفن، ومظهر العبقرية، مما انقطع عنه أو عما دونه بكثير طموح شعراء عصره ..

والبارودى أول شعراء النهضة الحديثة، وهو الذى رد الديباجة الشعرية إلى بهائها وصفائها القديمين ..

ولقد وضع البارودى فى القوالب المأثورة تفكير عصره. والمثل العليا لمعاصريه؟

وكان يعاصره فى العراق: عبد الغفار الأخرس، ومحمد سعد الحبوبى النجفى، وحيدر الحلى، وعبد الحميد الشاوى، وكان أشهرهم الحبوبى، الذى اشتهر بموشحاته الغنائية. وبشعره الوجدانى، كما اشتهر الشاوى بوطنياته..

وفى السعودية كان من معاصريه أو قريبًا من المعاصرة له: ابن عثيمين وأحمد إبراهيم الغزاوى، ومحمد سرور الصبان، وحمزة شحاته ..

وفى المغرب نجد: محمد المختار السوسى، وعلال الفاسى، والمكى الناصرى، ومحمد بن إبراهيم، وعبد الرحمن حجى حمد العثمانى، وسواهم.

وفى تونس تجد: أمثال صالح السويسى وحسين الجزيرى ومحمد الشاذلى خزانه دار، وسعيد أبو بكر، وسواهم ..

ولكن البارودى من بين هؤلاء جميعا كان أكثر تأثيرًا فى نهضة الشعر العربى، وأكبر تجديدا له من كل معاصريه ..

وكان الموجه للشعراء والشعر فى العراق هو محمود شكرى الألوسى صاحب كتاب بلوغ الأرب فى أحوال العرب.

(٢)

وقد ورث البارودى فى مصر شاعران كبيران هما: أمير الشعراء أحمد شوقى، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، وبجوارهما أعلام من الشعراء من أمثال: إسماعيل صبرى، وعبد الرحمن شكرى، وعباس محمود العقاد، وعبد القادر المازنى، والشاعر أحمد محرم، وغيرهم، ممن تابعوا خطا البارودى، وساروا فى ميدانه، وجالوا فى حلبته، مجددين للشعر، رافعين أعلام البلاغة العربية والذوق الادبى الرفيع، يوثقون صلته بالعصر والحضارة ونهضة للعلوم والآداب والفنون.

وتأثر بالبارودى شعراء العراق أمثال الزهاوى والرصافى ومحمد رضا الشبيبى والصافى النجفى .. كما تأثر به فى الشام والحجاز: فؤاد الخطيب وشكيب أرسلان وخليل مردم وبشارة الخورى وفخرى البارودى وغيرهم من الشعراء ..

وفى العراق: محمد على اليعقوبى، وحافظ جميل. ومحمد بهجة الأثرى، والجواهرى، والسيد بحر العلوم، ومحمود الحبوبى ..

وهذه الطبقات من الشعراء أثروا الشعر العربى وجعلوه تعبيرا صادقا عن كل ما يتعلق بالمجتمع العربى فى مختلف شئونه وآلامه وآماله وكما يقول أمير الشعراء أحمد شوقى:

كان شعر الغناء فى فرح الشر

ق وكان البكاء فى أحزانه

(٣)

ثم ظهر خلفا لهؤلاء الشعراء جميعا مدارس المجددين فى الشعر العربى الحديث ..

فظهر التيار الرومانسى فى الشعر الذى كان أول من دعا إليه حاملا راية التجديد والابتداع فيه خليل مطران، الذى دعا إلى الحرية الفنية التى تحترم شخصية الشاعر واستقلال الفن عن الصنعة والأناقة الزخرفية، ودعم وحدة القصيدة وأبرز كل شىء فى الوجود صغيرا أو كبيرا كموضوع شعرى خليق بعنايةالشاعر، وطرق الموضوعات الإنسانية .. وعززت دعوته فى التجديد مدارس ثلاث:

أولاها: مدرسة شعراء الديوان .. العقاد وشكرى والمازنى، وقد دعا ثلاثتهم إلى شعر الوجدان، وأكدوا وحدة القصيدة، واحتفوا بالأخيلة والصور الجديدة والمضمون الشعرى، وكان شعارهم بيت شكرى المشهور:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

وثانيتها: مدرسة شعراء أبولو .. أحمد زكى أبو شادى، وعلى محمود طه، وإبراهيم ناجى. وصالح جودت، ود. عبد العزيز عتيق، ومصطفى عبد اللطيف

السحرتى وحسن كامل الصيرفى ود. محمد عبد المنعم خفاجى، ود. مختار الوكيل .. وسواهم.

وثالثتهما: مدرسة شعراء المهجر، من أعلام شعراء الرابطة القلمية، وفى مقدمتهم: جبران، وإيليا أبو ماضى، وميخائيل نعيمة .. وأعلام شعراء العصبة الأندلسية، وفى مقدمتهم شفيق معلوف والشاعر القروى وإلياس فرحات .. وسواهم.

(٤)

ومنذ ثلث قرن ظهر دعاة الشعر الحر، الذين لم يحدثوا كبيرا حتى اليوم فى الشعر العربى.

وقد تزعم هذه الحركة: نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب فى العراق. وفى مصر أبو شادى وباكثير وعبد الرحمن الشرقاوى ثم صلاح عبد الصبور وزملاء مدرسته ممن زعموا أن الإطار الموروث للقصيدة العربية لا يستطيع استيعاب صور الواقع الحقيقى لحياة العصر وما يتركه هذا الواقع من أثر كبير فى نفس الشاعر. ويرود هذه المدرسة أحمد عبد المعطى حجازى ومحمد إبراهيم البوسنة.

هذا هو مجمل حركات التجديد فى الشعر العربى الحديث منذ البارودى حتى اليوم، ولا شك أن الشعر قادر على السير بخطوات كبيرة وجديدة فى متابعة الحضارة والفكر والإنسان.

الفصـــل الأول

مدرسة البعث

مدرسة البعث والإحياء

لم يجد الشعر العربى منذ عصور العباسيين الأولى من ينـهض به غير محمـود سامى البارودى رائد مدرسة البعث والإحياء والأصالة والعمودية فى العصر الحديـث الذى أعاد للشعر العربى ديباجته الجميلة، ومضامينـه الشعريةالعالية وروحه المجـددة الثائرة، وتجربته الفنية الناطقة بوجدان الشاعر وذاتيته.

وكـان شوقـى هـو الرائـد الثـانى للمدرسـة وإذا كـان البـارودى هـو أبـو الكلاسيكية الأصيلة فـى الشعر الحديـث، فـإن أحمـد شوقـى هـو أبـو الكلاسـيكية الجديدة. وكلاهما حافظ كل المحافظة على عمودية القصيدة مع مسايرتها لخطى التجديد.

وهكذا احتل أمير الشعراء شوقى فى أمته ومنزلـة الرائد والموجه والحـادى لنهضتها، والمؤمن بعزلتها ومجدها وحريتها، وحين نفض يديه من كل شيء اتجه الى الشباب يخاطبهم ويحثهم على العمل والبناء، ويبشرهم بغد أفضـل، وليس أجمـل من حديث الرائـد إلى الشبـاب جيـل الغد، وبنـاة المستقبل، وعـاد الأمم فـى سيرها إلى المجد والعزة والكرامة.

وشعر شوقى ذوب من العبقرية والتجربة والحكمة، ولحن سماوى نبيل مؤثـر. نسجه الحق والفكر والعقل الخبير بأحداث الأيام، وسير التاريخ، وعبر الحياة ..

وكان شوقى قد بلغ قمة المجد الشعرى، شعره على ألسنة الناس، مكانته بين العرب والمسلمين مكانة جليلة لا تدانيها مكانـة، الشعراء قد اصطفوه أميرا لحركتهم الشعرية الجديدة، والتى يمكن أن نسميها "الكلاسيكية الجديـدة" حفاظ علـى تـراث الشعر، مع العمل المستمر فى تطويره، التزام كـامل بعمـود الشعر كما فهمه القدماء، ومع هذا فالكلمة والجملة والغناء والموسيقى تخضع لاختيار شديـد، أو تطويـع دقيق من أجل النغم، وبساطة اللحـن، وجمـال الصـورة، وروعـة الخيـال، ومطابقة الأسلـوب

والكلمة للموضوع والغرض والفكرة، وكما كان "أندريه شينيه" الشاعر الفرنسي (١٧٦٢ - ١٧١٤) يخاطب عشاق الشعر الكلاسيكي الإغريقي القديم، ليوجههم نحو الكلاسيكية الجديدة فيقول لهم: "لنصغ أفكارا جديدة في ثوب قديم" وينظم قصائد، يتخذ لكل منها موضوعا يصب فيه أفكاره وأحاسيسه الحضارية الجديدة. في أسلوب سهل جميل، خال من كل تعقيد كان كذلك شوقي يقود حركة جديدة في شعرنا الحديث، أساسها المحافظة على تراث الشعر، مع إخضاعه لعوامل الحياة والعصر وثقافة الإنسانية المتجددة.

وبلغ شوقي في كل ذلك القمة ولم يستطع شاعر عربي أن يصنع صنيعه ولم يجاره أحد من الشعراء في شعر الحكمة والوطنية والحرية، ولا في شعر الفكرة والطبيعة والحب والوصف ونظم الشعر التاريخي، وشعر الملاحم، والشعر القومي، والشعر الإسلامي، ونظم القصة الشعرية، والمسرحية والمسرحية الروائية، وجدد في بناء الشعر تجديدا لم يشهده عصر قبل عصره، وأصبح شوقي على لسان الناس. وشعره حديث الجماهير.

وفي أحداث الإسلام الكبرى على طول التاريخ، وفي حوادث الأمم الإسلامية، كتب شوقي أروع قصائده، وأنبل أناشيده .. يتحدث عن الأزهر في قصيدته:

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا

وانثر على سمع الزمان الجوهرا

كما يتحدث عن النيل فيقول:

وما هو ماء ولكنه	وريد الحياة وشريانها
تتمم مصر ينابيعه	كما تعم العين إنسانها

وعن حبه لوطنه:

وطني لو شغلت بالخلد عنه

نازعتني إليه في الخلد نفسي

ويقول بعد عودته من منفاه فى الأندلس:

ويـــا وطـــنى لقيـتك بعـد يـــأس
كأنـى قــد لقيــت بـك الشبـــابـا

ويدعو إلى القوة والعلم:

ولكن على الجيش تقــوى البــلاد
وبـالعـــلم يشــتــد أركـــانهـــا

ويقول داعيا إلى القوة:

ومن يعـدم الظـفر بيــن الذئـــاب
فــإن الذئـــاب بـــــه تظفـــر

ويمجد الشعر ويهتف به:

لم تســـر أمـــة إلى الحـــق إلا بـهدى الشعـر أو خطـى شيطانـه
وتـرقـى اللهـــاة مــا للغــنى مــن يـد فــى صفائــه وليانـــه

وهكذا كان شوقى حكمة الأيام، وتجربة الشعوب، ووجدان الإنسانية ولسان العلم والحضارة والبناء والتقدم، وكان يعد بحق من أقطاب الشعراء فى العالم العربى. بل أن بعض النقاد ليتخطى به القرون، فيضله بأعلام الشعر فى أزهى عصور العربية وأمجدها وأنضرها بيانا.

ولم يعرف شعرنا العربى الشعر التمثيلى إلا على يدى شوقى ورواياته التمثيلية المشهورة، وما أكثر شعره القصصى والتاريخى، ووصفه لآثار الحضارة الإسلامية الخالدة، وشعره الإسلامى كله مرحلة متطورة متقدمة فى الشعر العربى الحديث.بل ثروة للعربية وللغة القرآن الكريم.

وما أكثر ما تحدث شوقى فى شعره عن الإسلام وكتابه ورسوله ولغته وعن تاريخه ومفاخره، ومآثره وخلفائه وأبطاله وأعلامه، مما دعم به وحدة الشعوب الإسلامية العربية.

وحسبنا ديوانه الرفيع الذى سماه "دول العرب وعظماء الإسلام"، ونظمه فى منفاه أبان الحرب العالمية الأولى، وطبع على حدة بعد وفاته بعام، وكله من بحر

الرجز، وقد تحدث فيه عن تاريخ الإسلام وبطولات أعلامه الخالدين. وأعد هذا الديوان ملحمة طويلة كان لشوقي بها فخر الكتابة في الشعر الملحمي، وهذه الملحمة وملحمة الشاعر "أحمد محرم" التي سماها "الالياذة الإسلامية" ونشرت عام ١٣٨٠هـ: ١٩٦٠م، تعدان من أسبق المحاولات في شعرنا المعاصر لنظم الملحمة الشعرية الطويلة.

لقد بلغ شوقي بشاعريته منزلة عالية في عصره، وشغل الناس طول عمره، وانفرد بتاج الزعامة بين الشعراء، وتسابقت الصحف المشهورة والمغمورة على الكتابة عنه، وأولاه الناقدون عناية واهتماما لا يعد لهما شيء.

أما مكانته في عصره ومجتمعه فقد كانت في القمة، فقد تربى في قصر الخديوي إسماعيل، ونشأ على عين توفيق، وابتعثه إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب، وعاد من بعثته فعينه في بلاطه موظفا مرموقا في قصره، وظل قريبا منه ثم من ابنه عباس الذي زاد في تقريبه فكان أنيس مجلسه وشاعره الخاص ورئيس إدارة التحرير الأفرنجي أو إدارة الشعبة الأوروبية في القصر كما تسمى اليوم.

ثم كان أحمد شوقي واحدا من أبرز رجال عصره، فهو من طبقة قريبة من الخديويين، وأصدقاؤه وأصفياؤه من الحكام والوزراء ومن رجال الفكر والبيان، تؤليه الصحافة اهتماما، ويوليه أقطاب البلد وزعماءه اهتمامهم، ويجله الكبير والصغير، يوضعونه في المحل الرفيع من نفوسهم وقلوبهم.

كان بين الشعراء أميرهم بلا مدافع وشيخهم بلا منازع، وشاعر العربية الأكبر المجدد، الذي أعاد لها مجدها، وأعلى منارها، ونشر مطوى آدابها، والذي صدع بإلهام الشعر فأتى بالمعجزات الخالدات. شاعر لا كالشعراء، وكما يقول المثل العربي: ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان.

تتلمذ شوقي على البارودي الذي بعث الحياة الأصيلة للشعر العربي، وحل وثاقه، وفك قيوده، فتأثر به ونسج على منواله، وسار على هديه، وكان أظهر أعلام مدرسته، وقرأ شوقي ما شاء له حبه للأدب والشعر في روائع الشعر القديم، وفتنه ابن الرومي وأبو تمام، والبحتري وأبو فراس والمتنبي وأبو العلاء والشريف الرضي، ومهيار

الديلمي. وأمثالهم من أمراء البيان والشعر في كل عصر، وزاد حظه من الثقافة القديمة والحديثة العربية والغربية، وأقام في فرنسا حينا، وأتيحت له رحلات علمية وغير علمية، هيأت له الاطلاع على حضارات ومدنيات ومشاهد ومعالم،ويسرت له الاتصال بأدباء وكتاب شعراء وصحافيي عصره، فجاء شعره ممثلا لكل التيارات القديمة والحديثة جامعا لكل المزايا الأدبية الفنية المتفرقة في غيره يحكي في أسلوبه ديباجة البحتري، وفي معانيه حكمة المتنبي، وفي موسيقاه أنغام الرضي. فكان الرائد الثاني بعد البارودي لمدرسة البعث.

نفذ فكره إلى المعاني القديمة والجديدة فاختار منها ما شاء، وطعمه الخيال الغربي بألوان جميلة، فحلق في كل جو، وسطع في كل أفق، واستخرج من الشعر العربي أروع ألحانه. فكان شعره أعلى طبقة، وارجح وزنا من شعر شعراء عصره.

هيأت له ثقافته الواسعة وشاعريته الفذة أن يثرى الشعر العربي إثراء كبيرا وأن يجدد من أغراضه، فابتكر الشعر الملحمي بقصائده التاريخية المطولة، وبقصيدته في دول العرب وعظماء الإسلام، وقد طبعت في كتاب على حدة. ونظم لأول مرة الشعر التمثيلي برواياته الذائعةالمشهورة، فكانت فتحا جديدا في الشعر العربي والحديث، وإكمالاً لأوتار كانت ناقصة، وتكذيبا لدعوى قصوره في ميدان الشعر القصصي والشعر التمثيلي.

وصار شوقي أميرا للشعراء بأصالته الشعرية وطاقته الكبيرة الخلاقة وانفراده بالتجديد في ألوان مختلفة من الأساليب والمعاني والأخيلة والأغراض وبشعره التمثيلي والملحمي، وتناوله للآثار المصرية ومشاهد الطبيعة النضرة بالتصوير الفني البديع، وبسموه بالمعاني الخاصة عن المعاني الرخيصة في وزن موسيقى رائع.

صار شوقي بذلك كله سيد أدباء عصره وأرفعهم منزلة. وقد اجتمع شعراء عصره عام ١٩٢٧م من جميع أنحاء العالم العربي، وأقاموا له مهرجانا استمر أسبوعا، وحضره بعض المستشرقين، وبايعوه بإمارة الشعر، وتقدم حافظ إبراهيم نده ومعاصره، وانشد قصيدته المشهورة التي منها:

أميـر القـوافى قـد أتيـت مبـايعـاً

وهذى وفود الشرق قد بايعت معـى

وأما النقاد فقد أولوه اهتمامهم، وتناولوه بدراساتهم الطويلة، ورفعه أكثرهم مكانا عليا فى سماء القريض:

فريق منهم جعله "شـاعر العربيـة جمعاء فـى حاضرها وماضيها قديمها الغابر وحديثها القائم"، بل جعله فلتة فى تـاريخ الشعر العربى كله جاد بها الزمان .. "وأن الزمان بمثله لبخيل" يرى أن مكانه بين الشعراء فى كل العصور العلم الذى لا يُطال، والنجم الذى لا ينال، لأنه كان عبقرية نادرة.

وفريق يرى أنه ألمع شاعر فى تاريخ أدبنا الحديث، كما أن المتنبى كـان ألمع شاعر فى عصره، ويقولون: "أن شوقيا متنبى العصـر الحديث"، ويوازنـون بينـهما موازنات كثيرة ..

وفريق يرى أنه رائد الشعر الحديث بعد محمود سامى البارودى ..

على أن هناك بعضا مـن النقـاد - الذيـن يرون فـى كـل جديـد خروجـا علـى المألوف يجب وقفه - هاجموه تحاملا، وتطـاولا عليه تزمتا، ولكـن مـا لبثـوا أن خفت صوتهم، ومضى شوقى فى طريقه دون أن يستطيعوا صده أو ينزلوه عن مكانه.

وحاول بعض الشباب فى ذلك الوقت أن يصعدوا على أكتافه ابتغاء الشـهرة، وكانوا قد تأثروا بالثقافة الغربية وبـالشعر الأوروبـى تـأثرا خالصـا، فاتهموا شعره بـالخلو من الوحدة العضوية للقصيدة، وبالخلو من وصف خلجات الشاعر ومشاعره ووجداناته المتميزة، وعدوه مقلدا، ولم يعتبروه ذا شأن فى الشعر، ومن هؤلاء: العقاد، والمـازنى، وشكرى، فقد نفسوا عليه مكانته، وأرادوا الوصول إلى دنيا الشهرة بمهاجمتـه،فحـاولوا هدمه، ولكن معاولهم كانت أضعف من أن تحطم صرحه المشيد.

ومهما كان فإن أحمد شوقى قد بلغ بشعره أرفع منزلة تخيلها شاعر فى العصر الحديث، وكان شعره تعبيرا مـن النسـق الأعلـى عـن أحـداث عصره ومجتمعه وبيئتـه، وحديثا عذبا عن الإسلام وحضارته وآثارها فـى الأندلس ونشيدا لآلام وآمال أمته العربية فى الحرية والاستقلال.

التجارب الذاتية فى شعر رائد مدرسة الإحياء فى العصر الحديث

التجربة الذاتية أو الوجدانية هى التى تحدد مدرسة الشاعر وتضعه فى مكانه المتميز، الذى يفسر كل إبداعاته الشعرية، ويعنى بها التجربة الشخصية أو الفردية التى تعبر عن رؤية الشاعر لموضوعه رؤية تحمل سمات شخصيته ونفسه وذاته وما فيها من فكر وشعور فضلا عن قدراته الفنية والتعبيرية والتعبير الذاتى من المميزات الرئيسية لنوع الأدب الجديد، الذى كتبه الرومانسيون فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر.

والشعر أقرب الفنون إلى الذاتية فهو تعبير عن رؤية الشاعر للحياة، وهذا وقد أصدر د. طلعت أبو العزم كتابا جديدا بعنوان "التجارب الذاتية فى شعر البارودى" فى ضوء مفهومه للشعر ووظيفته والكتاب مثير حقا، وممتع حقا كذلك، والاهتمام بالبارودى لأنه رائد حركة إحياء الشعر العربى الحديث ولأنه مؤصل التجارب الذاتية فيه.

والدكتور طلعت يحدثنا فى كتابه هذا عن مختلف التجارب الذاتية فى شعر رائد مدرسة الإحياء، محمود سامى البارودى الذى وقف الدارسون والنقاد منه ومن شعره مواقف متناقضة، فجعله البعض شاعرا تراثيا يتحدث بلغة القدماء وتراثهم الشعرى بعيدا فى شعره عن الشعور بوقع أحداث حياته وعصره وأحاسيس ذاته ووجدانه، وجعله البعض المقدمة لشعر الابتداعيين أو المدرسة الحديثة فى الشعر العربى المعاصر، وبين كتابات الدارسين يؤكد لنا أن للبارودى العديد من التجارب الذاتية التى حفل بها ديوانه.

فى التمهيد الذى يقدم به الدكتور طلعت كتابه يحدثنا عن مفهوم التجربة الذاتية فى الشعر وفى مدخل الدراسة يخرج لنا الباحث بنظريته التى تؤكد أن البارودى بداية لعصر جديد فى الشعر وليس شاعرا تراثيا فحسب.

وفى الفصل الأول من الدراسة يخرج لنا بمفهوم البارودى للشعر ووظيفته من خلال آرائه النثرية وقصائده ومقطوعاته الشعرية وغير ذلك، مؤكدا أن البارودى كان على وعى بالأسباب التى تدفعه إلى العمل الفنى، وكان عالما بقدراته ومدركا لأبعاد عالمه النفسى، وأنه كان يعكس كل هذا فى شعره، وبخاصة فى تجاربه الذاتية. وهو فى هذا يقف على الطرف الآخر من البحث حول شاعرية البارودى وشعره الذى انتهى فيه العقاد إلى نفى أن يكون للبارودى تعريف للشعر أو نظرية فيه، على الرغم من أن العقاد نفسه يوضح لنا فى كتابه "شعراء مصر" أن سبب التفوق البارز فى شعر البارودى يعود إلى ارتقاء الشاعر فى التعبير عن ذاته وشخصيته.

وفى الكتاب يتحدث الباحث الدكتور طلعت عن مفهوم البارودى للشعر ووظيفته من خلال آرائه النثرية وقصائده وغير ذلك، ويقرر أن البارودى كان على وعى بالأسباب التى تدفعه إلى العمل الفنى، وعالما بقدراته، ومدركا لأبعاد عالمه النفسى، وأنه قد يعكس كل هذا فى أشعاره وبخاصة فى تجاربه الذاتية.

وفى الفصل الثانى من هذه الدراسة القيمة يحلل الدكتور طلعت تجارب البارودى الذاتية فى الحب والغزل وفى الفصل الثالث يحلل تجاربه الذاتية فى الشكوى والحنين.

وفى الرابع يحلل تجاربه الذاتية فى شعره فى الطبيعة وفى الخامس .. التجارب الذاتية للبارودى فى شعره فى الزهد والاستغاثة.

أمير الشعراء أحمد شوقى

لم يشهد الشعر العربى الحديث مجدا كالمجد الذى عاش فيه على يدى أمير شعرائه أحمد شوقى، لقد حمل لواء الشعر أربعين عاما والشعراء يسيرون وراءه فى جميع الأقطار العربية كما يقول د. أحمد ضيف، إذ كان منحة أجيال كما يقول د. على العنانى، وفاخر به جيله الأجيال كلها إذ حاز الشرف الأكبر بظهور أمير الشعراء فيه، وفى ذلك ما فيه من معانى المجد الدائم لمصر فى هذا العصر كما يقول شيخ العروبة أحمد زكى باشا (الأهرام ٥ ديسمبر ١٩٣٢)، بل لقد نبه الجيل كله بشوقى وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة فى الشعوب العربية كما يقول على محمود طه، وكانت طاقة شوقى الفنية ضخمة وموسيقاه أعذب فى جملتها من موسيقى أكبر شعراء العربية كالمتنبى، إذ كان فى مجمل شاعريته وآثاره مرحلة تقدمية فى الشعر العربى الحديث كما يقول د. أحمد زكى أبو شادى. وقد فاق شعراء عصره ومن قبلهم من بعد القرن الرابع الهجرى بمعانيه المبتكرة التى كانت ثورة للعربية وآدابها كما يقول أحمد الاسكندرى. وناهيك بعبقرية شوقى التى أعترف بها جميع الأدباء والنقاد فى عصر شوقى وبعد عصره، والتى كانت كمنجم الماس يعطى الثراء والغنى دون حدود.

بدأ شوقى ينظم الشعر وهو فى الرابعة عشرة من عمره فى رعاية أستاذه الشيخ محمد البسيونى الأستاذ الأول له فى مدرسة الحقوق الخديوية وأقبل على دواوين الشعر وكتب الأدب وقرأ على الشيخ حسين المرصفى كتاب الكشكول وديوان البهاء زهير، كما قال هو فى حديث له مع سليم سركيس فى فبراير ١٨٩٧م، ثم قرأ شعر ابن النبيه وابن مطروح والحاجزى والتلعفرى فأخذ عنهم سهولة اللفظ وعذوبة الموسيقى، ونهل من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى والمتنبى والشريف الرضى والمعرى ومهيار وابن زيدون وابن خفاجة الأندلسى وابن حمديس وابن

هانئ وأخذ عنهم كل سمات شعره التى عرف بها، وحرص عليها، ثم قرأ آداب كتاب فرنسا وشعرائها وبخاصة شعر هوجوولامرتين وموسيه، وجمع بين أغراض القدماء وتجديدات المحدثين، وموسيقى المعاصرين، وكتب فى أغراض جديدة من الاجتماع والسياسة والملاحم التاريخية والقصص الشعرى والروايات التمثيلية، وأجاد فى وصف الطبيعة، وعبر عن النزعات الإسلامية والوطنية والعربية، فى موسيقى ضاهت موسيقى البحترى وابن زيدون وابن حمديس ومهيار، وبلغ فى عذوبة اللفظ وسهولة الأسلوب مالم يبلغ أحد من شعراء المدرسة المصرية الحديثة وحسبنا أن الشعراء المولعين بالموسيقى فى عصره تأثروا به وتابعوه فيها، من مثل ناجى، وعلى محمود طه، وصالح جودت وأضرابهم، وكانت رسالة شوقى الأولى الغناء بمجد مصر وبتاريخ العرب والإسلام، تسعفه فى ذلك ثقافته التاريخية الواسعة. وكان شعره دليلا قويا على قدرة العربية على استيعاب المعانى العصرية فى أسلوب كلاسيكى ساحر، يمرح فيه الخيال، وتخطر فيه الموسيقى، وتتألق فيه المعانى والصور الفاتنة العبقرية كما وصفه الزيات، وكان التفات شوقى إلى المعانى دائمًا يفوق التفاته إلى اللفظ إذ كان خاصية من خصوصيات فنه. وقد استطاع بعد عودته من المنفى أن يتشرب روح الشعب وأن يشاركه آلامه وآماله، وأن يعيش معه فى نضاله من أجل الحرية والتقدم، وبلغ بذلك شعره أقصى ما يمكن من الذيوع، إذ صار على لسان الجماهير، وشدا به الناس فى كل محفل.

ولقد ولد شوقى فى عام ١٨٦٨م، وكانت جدته من وصائف القصر فى عصر إسماعيل، فوصلته بالخديويين من طفولته. ودخل مكتب الشيخ صالح عام ١٨٧٣م، ثم التحق بالمدرسة الخديوية ثم بمدرسة الحقوق عام ١٨٨٥م، وفى عام ١٨٨٧ أرسل توفيق شاعرنا أحمد شوقى على نفقته لإتمام دراسته فى باريس، وعاد إلى وطنه عام ١٨٩١ ليعمل فى المعية السنية، وصار شاعر القصر، وفى عام ١٨٩٤م مثل مصر هو وأحمد زكى شيخ العروبة وعمر لطفى وكيل مدرسة الحقوق فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى جنيف بسويسرا، وتزوج إحدى بنات حسين شاهين باشا. فبلغ المدى شعرا وجاها وثراء.

كتب شوقى قصائد فى مختلف الأحداث والمناسبات. وكتب رواية "على بك الكبير" عام ١٨٩٣م، ورواية "عذراء الهند" عام ١٨٩٧م، ورواية لا دياس عام ١٨٩٩، ورواية "آخر الفراعنة" عام ١٩٠٠، ورواية شيطان بنتاؤور وقد نشرتها "المجلة المصرية" التى كان يصدرها مطران عام ١٩٠١، ورواية "ورقة الاس" عام ١٩٠٤، وصدر الجزء الأول من ديوانه وعليه تاريخ ١٨٩٨ وهو تاريخ بدء الطبع لأن الديوان لم يظهر إلا عام ١٩٠٠. وقد ظهرت له طبعة ثانية عام ١٩١١. يشمل الجزء الأول شعره من عام ١٨٨١ حتى عام ١٨٩٨. وصدرت طبعة ثانية كاملة للشوقيات قبل وفاته بقليل، فظهر الجزء الأول فى مايو ١٩٢٦، والثانى عام ١٩٣٠م، والثالث (المراثى) سنة ١٩٣٦ بعد وفاته، والرابع عام ١٩٤٢، وأصدر المرحوم محمد صبرى السوربونى بعد ذلك بأكثر من عشرين عاما "الشوقيات المجهولة". ولشوقى كتابه النثرى الجميل "اسواق الذهب" وقد ظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٣٢م، والثانية عام ١٩٥١. وله كتاب "دول العرب وعظماء الإسلام" وهو ملحمة شعرية تاريخية طبعت بعد وفاته عام ١٩٣٣. أما رواياته المسرحية: فقد ظهرت الطبعة الأولى لرواية "مصرع كليوبترا" فى أبريل ١٩٢٨، وظهرت رواية قمبيز عام ١٩٣١. وصدرت الطبعة الثانية لرواية"على بك الكبير" فى مارس ١٩٣٢ مع تعديل جوهرى فى الطبعة الأولى. وظهرت رواية "مجنون ليلى" عام ١٩٣١، ورواية "عنترة"، و"أميرة الأندلس" عام ١٩٣٣، ثم رواية "السيدة هدى" التى طبعت بعد وفاته بكثير أما روايته "البخيلة" فلا تزال غير مطبوعة. وظهرت روايته "قمبيز" قبل وفاته بقليل.

وفى عام ١٩٢٧ عقد فى مصر مؤتمر لتكريمه اشترك فيه شعراء مصر وشعراء العالم العربى، حيث بايعوه بإمارة الشعر .. وتوفى شوقى فى ١٣ جمادى الثانية من عام ١٣٥٦هـ. ١٣ أكتوبر من عام ١٩٣٢، فبكته مصر والعالم العربى أحر بكاء. وأقيم مهرجان كبير لتأبينه فى دار الأوبرا المصرية فى مساء يوم الأحد الرابع من ديسمبر ١٩٣٢، كما أقيمت حفلات التأبين له فى جميع أنحاء الوطن العربى وفى المهجر الأمريكى وفى مختلف المدن المصرية وأبن فى القاهرة فى مهرجان شعرى كبير آخر فى مدرسة التجارة العليا بالمنيرة فى الخامس من ديسمبر عام ١٩٣٢. وكتب عن

شوقي في حياته وبعد مماته آلاف المقالات، والعديد من الدراسات النقدية التي لا تحصى.

وكان نفي شوقي إلى أسبانيا عام ١٩١٤ حتى عام ١٩١٩، بسبب الظروف السياسية آنذاك من أهم الأحداث الكبرى في حياته وفي شاعريته وفي صلته بجماهير أمته.

ولقد هاجم مصطفى صادق الرافعي شعر شوقي بمقال مستعار التوقيع كتبه عام ١٩٠٥ في مجلة الثريا، وقسم فيه شعراء عصره إلى طبقات ثلاث:

الأولى: جعل فيها البارودي، والكاظمي، وحافظا والرافعي، نفسه

والثانية: جعل فيها صبري، شوقي، ومطران، والبكري، وأمين الحداد، ومحمود واصف، وشكيب أرسلان، وحفني ناصف، ومحمد هلال إبراهيم.

والثالثة: جعل فيها الكاشف، والمنفلوطي، وأحمد محرم، وإمام العبد وأحمد نسيم، ومحمد النجفي، والعربي.

وقال في المقال: إن شهرة شوقي ترجع إلى خلو الجو له آنذاك، إذ كان الكاظمي في العراق، والبارودي في المنفى في سيلان، وحافظ في السودان، والرافعي لم يكن قد شهر بالشعر بعد. وصبري كان مشغولا بغنائياته.

ثم هاجمته أيضًا مدرسة الديوان التي كان روادها هم عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني، وأصدرت كتابها المشهور الديوان عام ١٩٢١، الذي حمل نقدا قاسيا لشوقي وشعره.

ومع كل ما وجه إلى شوقي من نقد فقد بقي اسمه، وخلد شعره، على مرور الأجيال، وكأنه نغم علوي ساحر متجدد على مر السنوات.

وليس بدعا في سنة الله أن يتضح طبع شوقي بكل هذا البيان العربي، وهو فتى لا يتصل نسبه بأبناء العرب من أمه وأبيه بسبب، ولا كان محصوله من لغتهم وأشعارهم ومظاهر بلاغتهم بأوفر من محصول من نشأ فيهم من أهل البيان، وإلا فمن علم البدر كيف يتألق ومن علم الغدير كيف يترقرق، ألا ذلك تقدير العزيز العليم .. كما يقول الرافعي، رحمه الله ورحم أمير الشعراء.

إمارة الشعر العربى بعد شوقى

(١)

كان أمير الشعراء أحمد شوقى شاعر مصر والعروبة والإسلام، وإذا كان رواد النهضة الأدبية الحديثة في القرن التاسع عشر: من مثل: أمين الجندى، وعلى الليثى، وناصيف اليازجى، وعبد الغفار الأخرس، ونجيب الحداد، وإبراهيم الأحدب، ومحمود سامى البارودى، وخليل الخورى اللبنانى، وسواهم .. قد رفعوا لواء الأدب العربى بعد ما كان عليه من ضعف فى عصر الانحطاط، فنزعوا عن الشعر أطماره البالية، وألبسوه حللا قشيبة من البيان والمعانى الجديدة .. فإن أمير الشعراء أحمد شوقى ومدرسته قد نهضوا به نهضة كبيرة، وجعلوا من الشعر العربى فنا جديرا بخطره وبتاريخه العريق ..

وكان شوقى صناجة العرب ومصر والإسلام فى العصر الحديث، كما كان الأعشى صناجة العرب فى العصر القديم.

وكان شوقى ذا عقل كبير تفيض منه الحكمة، وقلب مفتوح يشع منه الحب، وخيال لطيف خصب يصور آلام العرب وآمالهم، وحاضرهم وماضيهم، أبدع تصوير، إذ كان أنضج شعراء طبقته، وأدقهم تعبيرا، وأبدعهم بيانا، وأكثرهم افتنانا، فى أغلب أغراض الشعر ومنازعه ..

وكان شوقى أشعر شعراء عصره، من أمثال الرصافى والزهاوى والكاظمى وبشارة الخورى، وفخرى البارودى وخليل مردم، وفؤاد الخطيب، وشكيب أرسلان، وسليمان البارونى، وأحمد رفيق المهدرى، وحافظ إبراهيم وخليل مطران وأضرابهم..

وقد أدخل شوقى الشعر المسرحى إلى الأدب العربى، فكتب رواياته، وقد أدخل شوقى الشعر المسرحى إلى الأدب العربى، فكتب رواياته التمثيلية ..

كليوباترا، ومجنون ليلى، وقمبيز، وغيرها، وكتب الشعر الإسلامى والقومى والوطنى. وجدد فى فنون الشعر وأغراضه ومعانيه وأخيلته وصوره.

وفى عام ١٩٢٧ عقد فى مصر مهرجان شعرى كبير لتكريم شوقى اشترك فيه كثير من شعراء مصر وأدبائها وعلمائها ونقادها، وحضر إليه عدد غير قليل من شعراء وأدباء الأقطار العربية، حيث بايعوا أحمد شوقى بإمارة الشعر، وسلموه لواءه .. ومنذ ذلك الحين صار لقبه أمير الشعراء ..

وعاش شوقى ما عاش مبجلا، عالى الاسم، رفيع المنزلة، ذائع الشهرة، إلى أن توفاه الله إلى رحمته، وخلا ميدان الشعر منه، ولم يطمع أحد فى أن يلقب لقبه. لأن شوقيا استحق اللقب بعبقريته وشاعريته، وإجماع الشعراء العرب على مبايعته أميرا للشعر والشعراء، وكان شوقى جديرا بكل ذلك، فقد كان شاعرا بأجمع معانى الكلمة. يكلف بفنه إلى حد الافتتان، بل أنه لا يكاد يرى الرجل كل الرجل يتمثل إلا فى الشاعر ولا يرى للحياة كل الحياة فى جميع صورها غاية إلا قرض الشعر، ويعبر عن اعتزازه بالشعر وبشاعريته بقوله:

جاذبتني ثوبي العصي وقالت: أنتم الناس أيها الشعراء

وقد كان إلى هذا شديد التمكن من نفسه وفنه، حتى لا يرى فى الدنيا شاعرا يباريه أو يتعلق بغباره.

وقد قال حافظ إبراهيم فى مبايعته:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا

وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

وكان حافظ يقول: والله أن شوقى لشاعر، وأنه لأشعر منى، وما كفرت بهذه الحقيقة فى شبابى ولا فى كهولتى، ولا أريد أن أكفر بها فى شيخوختى وأود أن يعرفها الناس بعد مماتى.

وكان شوقى صاحب بيان نضر الله به وجه الأدب ولغة العرب، وحفظ به تراث الإسلام والمسلمين، وكان صوتا قويا من أصوت العروبة وسيفا مجلوا ينتضى للذياد به عن حمى العرب، وللدفاع به عن حياض الإسلام، وعن تاريخ العرب ومآثرهم ومفاخرهم، وعن كتاب الإسلام الخالد، ولغته الفصحى.

(٢)

وإذا كان شوقي قد لقى ربه، فقد خلفته شعراء أعلام في مختلف أنحاء العالم العربي .. وفي مقدمتهم:

١ - من مدرسة الديوان: روادها الثلاثة، شكري والعقاد والمازني.

٢- ومن مدرسة أبولو: أبو شادي، وإبراهيم ناجي وعلي محمود طه، وصالح جودت وآخرون.

٣- ومن مدرسة المهجر الشمالي جبران وأبو ماض وميخائيل نعيمة.

أما شعراء المهجر الجنوبي، فمنهم: الشاعر القروي وإلياس فرحات وشفيق معلوف .. وغيرهم.

٤- وفي العراق شعراء كثير من بينهم الرصافي والزهاوي.

٥- وفي لبنان: بشارة الخوري.

٦- وفي سوريا: شفيق جبري وخليل مردم وعمر أبو ريشة (ت ١٩٩٠/٧/١٤).

٧- وفي السعودية: حمزة شحاته وإبراهيم هاشم الفلالي، وعبد الله بن خميس.

٨- وفي تونس: الشابي والحليوي.

٩- وفي السودان: البنا والعباس والتيجاني بشير .. وغيرهم.

ومع ذلك كل لم يطمع واحد من هؤلاء ولا من غيرهم في إمارة الشعر، ولم يسع أحد من الجماهير العربية لترشيح واحد من هؤلاء ولا من سواهم أميرا للشعراء.

قيل أن إمارة الشعر العربي انتهى أمدها، والشعر ليس دولة، وليس للشعراء أمير، ولا يقبلون أن ينصب أمير عليهم.

وقيل أنه ليس هناك عبقرية تضارع شوقي حتى يصبح صاحبها أميرا للشعراء ولما مات وكان حافظ قد رحل قبله بقليل إلى عالم الخلود كتب د. طه حسين يقول: إن إمارة الشعر قد انتقلت بعد وفاة شوقي وحافظ إلى العراق لان الزهاوي والرصافي كانا في عالم الأحياء ..

ولقد هاج هذا القول أدباء لبنان. وكتب أحدهم مقالا انتقد فيه رأي طه حسين أشد الانتقاد، وقال: كيف تنتقل إمارة الشعر إلى العراق وفي مصر مطران ..

فرد الدكتور طه على هذا الانتقاد بأن مطران يختلف شعره عن شعر شوقى وحافظ، وأن مذهبه فى الشعر يباين مذهبيهما فيه، فمن الطبيعى ألا يكون خلفا لشوقى فى إمارة مذهبه.

(٣)

وفى رأيى أن الشعر فى مختلف عصوره قد تزعمه أمير وإن لم يلقب بقلب الإمارة، ولم يصعد على عرش القريض ..

امرؤ القيس كان أميرا للشعراء فى العصر الجاهلى.

وحسان بن ثابت كان أميرا للشعراء فى عصر المخضرمين.

وجرير والفرزدق تنازعا إمارة الشعر فى العصر الأموى.

وبشار وأبو نواس ومسلم وأبو العتاهية وأبو تمام والبحترى والمتنبى كل منهم كان أمير الشعر فى زمنه، وكذلك ابن زيدون وابن خفاجة فى الأندلس.

وكثيرا من النقاد كانوا يرشحون فى كل عصر ثلاثة شعراء لزعامة الشعر فيه .. امرؤ القيس وزهير والنابغة فى العصر الجاهلى.

حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة فى عصر المخضرمين.

جرير والفردزق والأخطل فى العصر الأموى.

وهكذا بشار وأبو نواس ومسلم فى القرن الثانى.

وأبو العتاهية وأبو تمام والبحترى فى القرن الثالث.

ابن الرومى وابن المعتز وخالد بن يزيد فى القرن الثالث أيضًا.

المتنبى وأبو فراس والشريف الرضى فى القرن الرابع.

مهيار وأبو العلاء وابن سنان فى القرن الخامس.

ابن زيدون وابن خفاجة وابن دراج فى الأندلس.

شوقى وحافظ ومطران فى العصر الحديث فلقب أمير الشعراء كان موجودا فى الواقع، وفى العصور القديمة، وإن لم يكن لقبا رسميا يلقب به شاعر بعينه. أو شعراء بأعينهم.

وفى عصرنا اليوم يعيش بيننا شعراء مبدعون فى مختلف انحاء العالم العربى يمكن أن نقول أن منهم روادا ومبدعين وأعلاما، وأن منهم من هو جدير بأن يكون أميرا لشعراء عصره.

وأمير الشعر الذى يمكن أن نقول عنه أنه أمير شعراء عصره هو فى رأيى .. من يجمع بين الأصالة والمعاصرة وروح التجديد وعبقرية الشاعر.

يستلهم التراث، ويحافظ على قيم الشعر الفنية الرفيعة، ويعبر عن عصره تعبيرا صادقا وأمينا. مع ظهور شخصيته ووضوح مظاهر الإبداع والتجديد فى شعره، شكلا ومضمونا وموسيقى وخيالا وفكرا.

أمير شعراء العصر هو الذى يجيد التعبير عن أزمات العصر، وآمال الجماهير وآلامهم، وعن أحلام البشرية فى حضارة إنسانية رفيعة القيم، نبيلة المثل، عزيزة الروح قوية الشعور باللغات المعروفة لبنى الإنسان .. حضارة تبنى على الحب والإيثار والخير والشعور بالمسئولية. والإيمان بحقوق الإنسان.

إن شاعر العصر هو حكيمه وفيلسوفه ومصلحه فى آن واحد ..

والبشرية تكشف يوما بعد يوما عن حاجتها إلى الشعر ليقر رموز الحياة ويبعث فى الناس روح العزاء والاحتمال والطموح، كما يقول الناقد الإنجليزى ماثيو أرنولد.

إن الشعر حقا هو الحلم الجميل الممتع الذى يرى الحياة بوجه جديد .. الشعر هو التقرير الواضح للحياة كما يراها الشاعر، وكما يجب أن يراها. وفى هذا التصوير تفسير للحياة، وتعبير عن الإحساس بالجمال فى مختلف مشاهد صوره.

الشاعر عزيز أباظة[1]

١٨٩٨ - ١٩٧٣

شاعرية ذكرتنا بالبحترى فى براعة خياله، وصقل ألفاظه، وصدق معانيه وبابن هانئ الأندلسى فى فخامة ألفاظه وروعة تراكيبه ولكن تبقى له شخصيته المتفردة التى طرقت بابا من الشعر لم يطرقه غير القلة القليلة من شعراء العربية فى مقدمتهم مسلم بن الوليد، والشريف الرضى، والطغرائى، والبارودى ..

هذا الباب هو باب رثاء الزوجات فقد جاء عزيز وزاد بأن خص هذا الباب بديوان كامل فى وحدة الموضوع ليس له من نظير فى العربية.

فلئن أبكى مسلم بن الوليد العيون والقلوب يوم أن دعاه أصحابه أن يتسلى بالشراب لينسى آلامه فى فراق زوجته فقال:

بكاء وكأس كيف يتفقان

سبيلاهما فى القلب مختلفان

دعانى وافراط البكاء فإننى

أرى اليوم فيه غير ما تريان

غدت والثرى أولى بها من وليها

إلى منزل ناء بعينك دان

فلا حزن حتى تنزف العين ماءها

وتعترف الأحشاء بالخفقان

وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها

وسهماهما فى القلب يعتلجان

ولئن هز البارودى مشاعرنا يوم ذاب قلبه حسرات حين نعيت إليه زوجته وهو منفى فى سرنديب فراح ينعى نفسه بعدها بقوله ..

---

[1] راجع عنه كتابى "الأدب الحديث" - أربعة أجزاء - دار التراث - الأزهر.

أيـــد المنـــون قدحـــت أى زنـــاد

وأطـــرت أيـــة شـــعلة بفـــؤادى

أوهنت عزمـــى وهـــو حمـــلة فيلـــق

وحطمت عودى وهـــو رمـــح طـــراد

لم أدر هل خطب ألـــم بســـاحـتى

فأنـــاخ أم ســـهم أصـــاد ســـوادى

أقذى العيـــون فأسلبـــت بمدامـــع

تجرى علـــى الخـــديـــن كالفرصـــاد

لئن هزت مشاعرنا تلك النفحات فى رثاء الزوجات التى أوحت بها تلك العشرة الكريمة التى تقوم بين الزوج وزجته "مودة ورحمة" كما وصفها القرآن الكريم فإن هذه العشرة الودود التى كانت بين الشاعر عزيز أباظة وبين زوجته والتى أراد الله لها أن تنفصم بالموت ألهمت الشاعر ديوانا كاملا فكان جديدا على الأدب العربى أن نرى ديوانا من الشعر العالى فى وحدة الموضوع تختلط فيه مشاعر الشاعر الدينية وذكرياته المقدسة بلواعج فقيدته وذكريات حياته معها.

يقول وقد هتفت به أشواقه إلى زيارة قبر من منحته النور، والحب والحياة ..

دعانى لها الشوق الدخيل وهـــزنى

إلى المضجع الأسنى حنين مكـــتم

دخلت عليها فى وضـــوئى وروعـــتى

كما يدخل البيـــت المحـــرم محـــرم

حركت قديم ذكرياته ورجعت به ماضيه فأرسلها زفرات حارة تهز القلوب.

طوفـــت بالبيـــت الحزيـــن مســـلما

فبـــكى وأوشـــك أن يـــرد ســـلامى

أعـــرفتـــنى يا دار أم أنـــكرتـــنى

نهـــب الأســـى والبـــث والآلام

أســوان تهوى نفســه من وحشــة

وتــلدد فـــى مثــل بحـــر طـــام

لبس الظلام وعاش فيه ومــن يــذق

ما ذقت لم يأنـــس لغـــير ظـــلام

فإذا وقف في عرفات أو في العوالي من منى أو طاف بالبيت العتيق وغيره من تلك الأماكن المقدسة ذكر معاهدها وندب عهودها وأرسلها زفرات من حميم.

ذكرتك يوم النفر والدمـع ســاجم

علـــى عرفـــات والـــنزاع عـــرام

فاجهش قلبي جهشــة راح بعدهـا

وفيـــه مـــراح للضـــنى ومســـام

وأنكر أصحـابي بكائـــي ولوعـــتي

وقالـــوا أتبكـــيها وأنـــت حـــرام

وحق الذى عنـدى له مـــن مـــودة

وشوق له بيـــن الضـــلوع ضـرام

فليس بكائيـــها لأنـــى فقــدتـــها

وكـــل حـــياة للمنـــية هـــام

بكيت لها أن لم تقف وقفــة الرضـا

علـى عرفـــات والحجيـــج قيـــام

ملبيـــن بكائيـــن يستغفرونـــه

وبعض الدمـــوع السـافحات كـلام

ولم تتطـوف بالعتـيق ولــم تفــض

إلى روضة الهـادى عليـــه ســلام

ويجتاز الشاعر المحنة .. ويخفق قلبه من جديد .. يخفق بحب جديد عاش فيه أفراح اللقاء، ودموع الصد والجفاء وإذا به يحاور بنياته عن ذلك الحب الذى أودعه ديوانه تسابيح قلب.

وبنـــيات تخـطـــرن عـــلى

روـنــق العمــر وموشـــي صـــباه

قلـن مـا خطــب أبيــنا بعـدمـــا

هصـــرت بـــي ذراعيـــه منـــاه

فبـــكاهـــا وبـــكاهـــا وبـكى

مثـــلا يضـرب فـــي الدهــر وفـــاه

يـــا بنـــياتي مـــن ذاق الهـــوى

قـدســـا عـــاد إلـيه فـارتـــواه

يـــا بنـــياتي إذا القلـــب صـــبا

وهـــن العـــزم وخـــارت قدمـــاه

ويمضى الشاعر تضحك ليالى الهوى فيرسلها من أعماق أعماقه أنغامًا عذابا للدنيا التى تفيض نورا وإشراقا والعيش الذى يخلو على الأيام طعما ومذاقا وللحياة التى تورق بابتسامتها وحنوها إيراقًا .. للنعيم الذى أهل وأقبل واليأس الذى ولى وأدبر.

يا حبيبى إنها التسبيح بل أسمى وأعلى

إنها قدس من النور عـلى الـكون أطـلا

إنها صاف من الخمر إذا الخـــمر أحـــلا

منذ عشرين وخمس دق يأسي واضمحلا

يوم ألقيت على يأسي من عطفك ظـلا

فإذا الدنـيا عيـــون وغصـــون تـــتدلى

ويذكرنى شعر شاعرنا الكبير عزيز أباظة فى رثاء زوجته بمرات عديدة كتبتها فى رثاء زوجتى التى توفيت إلى رحمة الله ليلة عيد الأضحى ١٤٠٧/١٢/٩هـ - ١٩٨٧/٨/٣ وضمتها دواوين متعددة لى.

علـــى الجـــارم

على الجارم من رُواد الشعر الحديث وأعلامه وهـو أحد عمـد مدرسـة البعـث والإحياء مع شوقى وحافظ وعزيز أباظة ومطرن وقد عاش فـى عصر الثـورات الكبرى فـى وطنـه الثـورة السياسـية، والاجتماعيـة والاقتصاديـة، والثـورة الفكريـة والأدبيـة والشعرية، وانضوى تحت لواء شوقى رائد مدرسة الإحياء والبعـث والتجديد، بعد أن تزعمها من قبل البارودى الذى شق طريق التجديد بما صنعه للشعر العربـى من بعث وإحياء وجاء شوقـى مرحلـة جديدة لهـذه المدرسـة أكثر ميلا للتجديد، وصلـة للشعر بروح العصر وبخصائص الإبداع والفن.

وهذه المدرسة تحافظ على عمود الشعـر، وتحتفى بكـل الموروثـات الشعرية الأصيلة التى رفعت للشعر رايته، وعـززت له مكانته فـى الفكـر العربـى. والشـاعر الكبير على الجارم أكثر محافظة على عمود الشعر لنشأته وثقافته وحياته الطويلة مع البلاغة العربية فـى أرفـع صورهـا، وأعظـم ابداعاتـها ويصـح لنـا أن نلقبـه بالبحـترى لتشابـه نسيجهما وشاعريتهما وطبيعتهما الفنية العالية، والبحترى هو الشـاعر الأول عند شاعرنـا الجارم، وكان يقال فيه: "أراد أن يشعر فغنـى" لروعـة موسيقاه الشعرية وجلالها وكـان النقـاد يكبرون فيه محافظته على عمـود الشعـر وسـلوكه منـهج الشعـراء الكبـار فـى الاهتمام بالقصيدة الشعرية والسير بها على سـنن البلاغة الشعرية القديمـة فـى العصـور التـى سبقته، ويطالعنـا ديـوان الجـارم بكثير من القصـائد تظهر فيـها عظمـة موسـيقية الشاعر.

ويرى الجـارم أن عمـود الشعر يتجلى فـى اختيـار النظـم، وإبـداع التصويـر، وفـى وضع الكلمة فى موضعها. وفـى الجرس والنغم (عن مقدمة الديوان).

ويقول كذلك: أن جمال الشعر يتمثل فى نظمه وجرسـه ورنينـه، وفـى انتقاء ألفاظه وتجانسه، وفـى ترتيب هذه الألفاظ ترتيبا يبرز المعنى فى أروع صورة وأبدعها،

وفى اختيار الأسلوب الذى يليق بالمعنى، ثم فى المعانى وابتكارها أو توليدها من القديم فى صورة جديدة ثم فى الخيال وحسن تصويره والتزام الذوق العربى فيه. ثم فى إحكام القافية والتمهيد إليها، وفى انتقاء البحر الذى يلائم موضوع القصيدة. ثم فى المحافظة على الوحدة الشعرية، ثم فى روح الشاعر وخفة ظله وانسياقه مع الطبع وتعمده لمس مواطن الشعور.

ويزدهى الشعر العربى المعاصر حقا بهذه الطبعة الجديدة للديوان الكامل للشاعر الكبيرعلى الجارم (١٨٨١ - ١٩٤٩) فى ٦٢٥ صفحة. وتضم قصائد تنشر للمرة الأولى.

مقدمة الديوان بقلم الشاعر أيضًا.

وليس هناك أوضح تعريف لعمود الشعر مما ذكره الجارم هنا. ومن قبل ذكر المرزوقى وغيره تعريفات مبهمة لا يتضح معها معنى هذا المصطلح النقدى الذى عرفه القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى، والذى أثرى حركة النقد.

والبحترى هو من هو حرصا على عمود الشعر، ومحافظة عليه. ومن أجل ذلك فضله الآمدى (٣٧١هـ) فى كتابه "الموازنة بين الطائيين" على أبى تمام، وكان البحترى يقول: "أبو تمام أغوص على المعانى وأنا أقوم بعمود الشعر".

وهذه العمودية هى أظهر خصائص شعر شاعرنا الكبير على الجارم، بما تنطوى عليه من موسيقية الشعر، حتى لتحسبه أنغاما وألحانا، وفى قصيدة الجارم "أبو الزهراء" يسلك طريق البوصيرى وشوقى مبدعا ومجددا، وصاحب رنين موسيقى بديع .. ونستطيع أن نلمس موسيقية القصيدة عند الجارم واضحة فى أغلب قصائدة..

فى قصيدته عن شوقى مثلا (ص٩٨ الديوان)

وقفت تجدد آثارها

وتنشر للعرب أشعارها

أو فى قصيدته عن سعد (١١٣ الديوان):

اكشفوا التراب عن الكنز الدفين

وارفعوا الستر عن الصبح المبين

أو فى قصيدته عن دار العلوم فى عيدها الذهبى (١٢٥ الديوان):

يا خليلى خليانى وما بى

أو أعيدا إلى عهد الشباب

أو فى قصيدته فى رثاء شوقى:

هل نعيتم للبحترى بيانه؟

أو بكيتم لمعبد ألحانه؟

أو فى قصيدته الرائعة بغداد، وهى مشهورة أو فى قصيدته "مصيف رشيد" (٣٣٧ الديوان):

أرمشيد لا جرح ولا إيلام

عاد الزمان وصحت الأحلام

أو فى قصيدته "حنين الطائر" (٣٦٧ الديوان):

طائر يشدو على فنن

حدد الذكرى لذى شجن

وفيها أثر من شوقى وقصيدته "حمامتان على فنن" ويطول بنا التعداد لو أردنا الاستيعاب.

ويتحدث الجارم عن شعره حديثا قصيرا فى مقدمة الجزء الثانى من الديوان فيقول عنه:

"شعر كانت أوزانه من نبضات قلبى، وبحوره من قطرات دمعى: هتفت به فكان صدى لروحى، وخفقه لنفسى".

وقصيدتاه فى لبنان من أجمل شعره: لبنان الثائر (٢٣٢ الديوان):

هاج شوق الواله المضطرب

حلم شق ظلام الحجب

ولبنان (ص٥٢٢ الديوان):

ألقيت للغيد الملاح سلاحى

ورجعت أغسل بالدموع جراحى

وفى قصيدته "درة التاج" (٥٦٧ الديوان):

هزت البشرى جناح الخافقين

ومضت تخطر بين المشرقين

وقد وعى شاعرنا الجارم حركات التجديد فى الشعر التى قادها مطران ثم مدرسة الديوان ومدرسة أبولو ومدرسة شعراء المهجر. وبلا شك جعلت هذه المدارس الشاعر ينطلق بقصائد وجدانية كثيرة منبثقة من شعوره وعواطفه.

الشاعر الخالد خالد الجرنوسي

١٩٠٢ – ٢٤ يناير ١٩٦١

– ١ –

امتلأت الساحة الأدبية في النصف الأول من القرن العشرين بأعلام كبيرة من الشعراء، هزوا وجدان الجماهير بقصائدهم الشجية، وإبداعاتهم الرفيعة، وكان خالد الجرنوسي من بين هؤلاء الأعلام الكبار، الذين عرفهم الجيل، وساروا على خطاهم.

في الثلث الأول من القرن كان شوقي وحافظ ومطران وكان شكري والعقاد والمازني، ونبغ شعراء أبوللو الذين ملأوا الساحة الشعرية أنغاما: أبو شادي، وناجي وعلي محمود وطه وصالح جودت وعبد العزيز عتيق، والصيرفي ومختار الوكيل، وكان من بين هؤلاء الرواد شاعرنا خالد الجرنوسي.

وخالد شاعر كبير من شعراء الأصالة والتجديد والنضال والحرية. شاعر كان ملء السمع والبصر، كان كالنسيم رقة، وكالهزار عذوبة، وكالماء صفاء، ومع ذلك فقد كان إعصارا ثائرا حين ينبرى للدفاع عن شعبه ووطنه.

وعاش خالد مختلف مدارس الشعر والنقد: مدرسة البعث، ومدرسة الديوان، ومدرسة أبوللو، ومدرسة المهجر، وأخذ من كل مدرسة أجلَّ وأبدع ما غنَّت به، وما تدعو إليه، وآمن بقدرة الشاعر الأصيل على بلاغة التعبير، وقوة التأثير، وصدق الشعور والعاطفة، من أجل تحريك وجدان الجماهير، لتلبية نداء الوطن والإيمان بحقه في الحرية.

ونشر خالد شعره في مختلف الصحف: الأهرام – الجهاد – المصري – كوكب الشرق – الوادي؛ وفي شتى المجلات الأدبية – أبوللو – الرسالة – الثقافة – السياسة الأسبوعية – نداء الوطن، أدباء العروبة، المحاربون – المصري أفندي.

وغيرها .. وألقاه من فوق منابر الجماعات الأدبية والثقافية والسياسية والصحفية وظل ممتلئ الوجدان والجوانح بالإيمان بمصر، وبحب العمل من أجل نهضتها وإثراء حضارتها؛ كما ظل موصول الصلة بأعلام عصره من مفكرين وأدباء وشعراء وصحفيين وسياسيين. هؤلاء وهؤلاء: طه حسين، الذى كان وثيق الصلة به وبفكره وأدبه، يقول من قصيدة ألقاها فى حفل تكريم لعميد الأدب العربى وعنوانها أديب الشرق، وقد نشرها عام ١٩٤٩ فى مجلة "نداء الوطن":

العبقرى الذى فى الركب نشهده
نورا تألق فى الأيام فرقده
ومن كطه إذا قمنا نمجده
أوفى على القبة الزرقاء سؤدده
هذا المعلم ربّانى على يده
فجئت أذكر نعماه وأحمده

وقصائد خالد فى سعد زغلول ومصطفى النحاس وجمال عبد الناصر وإبراهيم دسوقى أباظة ومكرم عبيد وفؤاد سراج الدين، وفى أمير الشعراء شوقى، وفى شاعر القطرين خليل مطران وغيرهم قصائد مشهورة.

وكان خالد مع شخصيته القوية مثال الخلق الكريم، والوفاء النادر، والنبل المأثور والشجاعة الفائقة؛ يلقى أصدقاءه بالبشر والترحاب، كلما زرناه فى مكتبه فى صحيفة المصرى، وكلما لقيناه فى ندوات الشعر والأدب .. وكان كذلك دائب السعى فى الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ فى عفة نفس، وصفاء قلب، ونقاء طوية، وطهارة ضمير، وأصالة فكر، وصدق كلمة، ومع موارده المحدودة لم يسع إلى زلفى أو نفاق كشأن الساعين فى كل المواكب، طلبا للمال أو للجاه، وهكذا خلقه الله عز وجل صورة للمصرى المكافح من أجل مبادئه ووطنه وأمته ..

شهد خالد الحياة فى مطالع القرن العشرين، فى قريته "جرنوس" التابعة لبنى مزار بالمنيا.

وبدأ خطاه بحفظ القرآن الكريم، وورث عن والده، وكان أحد ضباط الثورة العربية روح الإيمان وحب مصر. وتابع المسيرة طالب علم فى الأزهر، ثم فى الجامعة المصرية القديمة، وتخرج من كلية الآداب بالجامعة المصرية وهو آنذاك فى الثلاثين من حياته.

وعمل بعد تخرجه فى مجال التدريس أستاذا للغة العربية بالقسم الثانوى بمدرسة "ثمرة التوفيق"، وظل موصول الصلة بالصحافة يبعث إليها بقصائده بين الحين والحين، فترحب الصحف والمجلات بروائعه، واختارته أخيرا جريدة المصرى فى الأربعينات رئيسا للقسم الأدبى فيها، فكان صوته فى الجريدة من أقوى الأصوات الصحفية.

لقد شارك خالد فى ثورة ١٩١٩، كما شارك فى ثورة الشباب عام ١٩٣٥، وعام ٤٦، و٤٧ و٤٨ و٤٩. وهتف لثورة يوليو ١٩٥٢، ولطرد فاروق، ولتأميم القناة، ولاندحار العدوان الثلاثى على مصر، وله فى ذلك كله قصائد وطنية رائعة. وكما يقول:

سلى النصر المؤزر عن يمينى

سلى المجد المؤثل عن شمال

أكنت بمعزل أم كنت فيها

وكان مجال ثورتها مجالى

وهتف خالد فى شعره بنضال الأمة العربية والشعوب الإسلامية فى سبيل الحرية، غنى لفلسطين فى جهادها الكبير، وندد بإسرائيل، وقال فيما قال:

إن الذين أقاموها بما لهمو

سيشترون لها بالمال أكفانا

كما غنى لسوريا فى كفاحها، وللجزائر فى ثورتها، ولأغادير فى نكبتها يوم أحاط بها بركان مدمر محاها من الوجود عام ١٩٦٠م.

وكتب في السودان قصائد جميلة أكد فيها وحدة وادى النيل وكما قال:

لا شـــمال ولا جنـــوب ولـــكن
أمـة النـــيل وحـــدت أحـــزابه

وهتف خالد لباكستان وحيّاها فى عيد قيامها، ولكشمير المسلمة المناضلة من أجل حريتها، ونظم قصائد كثيرة فى كل حدث كبير من أحداث عصره.

- ٣ -

وإذا ما أردنا أن نتعرف على خـالد الجرنوسـى، فإننـا نقـف أمـام هوايتـه الكبرى المتفردة، وهى الشعر .. ثم الشعر، ثم الشعر.

كان أحب الألقاب إليه لقب الشاعر، وسمى ابنه الأكبر "أحمد شوقى" باسم أمير الشعراء، وعاش فارسا من فرسان الشعر، يشدو طول حياته بقصائده المتوهجة، وأغانيه الملتهبة، الشعر هو نفسه وهو حياته، وكما يقول:

إنى جـــريت مـــع الحـــياة كشـاعر
ســمح الخـــيال وصفتــها بكفاحـــى

ويقـــول:

إلى رسـول الجيـــل أنفـــح روحـــه
مـــن عضـــتى آنـــا ومـــن أشـــعارى

لا تحسبينى عشـــت عمـــرا واحـــدا
أنا عشـــت من دنيـــاك فى أعمـــار

كانت حياة خالد كلها للشعر، ومع الشعر، ولأجل الشعر والشعراء.

ألف عام ١٩٤٦ "ندوة الشعر الشهرية، وكـان يعقدهـا فـى جمعيـة الشبـان المسيحية بالقاهرة بصفة منتظمة .. ثم ألف "جماعة أدباء العروبة" عام ١٩٤٧. واختـار هو ورفاقه أبا الأدباء إبراهيم دسوقى أباظة رئيسا لها، ولما انتهت هـذه الجماعـة بعـد ثورة يوليو ١٩٥٢ جدد انعقادها باسم "ندوة شعراء العروبة" برياسة أنور السادات.

وفـى عـام ١٩٥٨ ألف جمعية الشعراء من ٢٨ شاعرا: واختـار هـو ومـن معـه لرياستها الشاعر الكبير عزيز أباظة.

وظلت ندوة شعراء العروبة قائمة حتى توفى خالد عام ١٩٦١، فخلفه فى رياستها الشاعر عبد الله شمس الدين الذى أطلق عليها اسم "ندوة الجرنوسى" .. وظل شمس الدين فى رياسة الندوة حتى توفى فى ١٣ مارس ١٩٧٧، فتولى رياستها بعده الشاعر الدكتور عزت شندى، الذى ظل رئيسا لها عشر سنوات، ولما توفى فى ١٥ ديسمبر منذ عام ١٩٨٧ خلفه فى رياسة الندوة الشاعر إبراهيم عيسى.

- ٤ -

وتراث خالد الشعرى تراث كبير خالد على مرور الأيام.

صدر له:

- ديوان خالد.
- وديوان اليواقيت.
- وديوان قلوب تغنى.
- ومجموعة شعرية قصصية باسم "قصص إسلامية"؛ إلى شعره المخطوط الغزير الذى لم ينشر بعد.

وكتب عن خالد الناقد الكبير مصطفى السحرتى فصلا مطولا نشره فى "مجلة المجلة" عدد فبراير ١٩٦٢، ثم نشره فى كتابه شعراء معاصرون ص (٥٢ - ٥٨)، وقد اشترك معه فى تأليف هذا الكتاب الشاعر العراقى المشهور هلال ناجى.

وكتب عنه الشاعر الربيع الغزالى فى مجلة "صوت الشرق" عام ١٩٦٩ دراسة أخرى، وكتبت عنه رسالة ماجستير فى كلية اللغة العربية بالقاهرة، كتبها د. زكريا عبد المجيد.

ولم يكن خالد وافدا على الشعر، إنما كان جزءا من روحه وحياته، وكانت موهبته الشعرية هى التى تمثل شخصيته لنا تمام التمثيل.

فى عام ١٩٣٦ نظّمت الإذاعة المصرية مسابقة شعرية عن "حرية الفكر" ففاز خالد فى هذه المسابقة بالجائزة الأولى التى بلغ عدد المتسابقين فيها ٥٤٦ شاعرا.

وموهبة خالد أو قل عبقريته الشعرية، هى التى تحدد مكانه فى الشعر المصرى المعاصر، شاعرا رائدا مجددا يمشى مع طليعة شعراء عصره، ويثرى حركة الشعر بإبداعه الثرىّ الموشح بالخيال والموسيقى والصور الخلابة، والبلاغة المأثورة

وشعر خالد الوطنى والإسلامى والقومى والصوفى والعاطفى والإنسانى. وشعره فى الطبيعة، وفى الفكر والتأمل، وفى العديد من مجالات الإبداع هو الذى يصنع الشاعر فى مكانته العالية.

ومكانة خالد بين شعراء الطبيعة فى عصره مكانة ملحوظة .. فقد عاش مع الطبيعة يناجيها وتناجيه ويحدثها وتحدثه وتلهمه بروائع من القصيد، غنى للريف وللقرية وللأرض وللضفاف وللنيل والوادى أجمل أغانيه، وغنى للربيع فى وشيه الأخضر؛ يقف عام ١٩٤٧ فى الفيوم مع جماعة شعراء العربية لينشد قصيدته "من وحى بحيرة قارون":

يا جنة الله فـــى أطــراف صحــراء

من ذا أقامك بـين الظـل والمـاء؟

أقمـت بالجـــانب الغــربى مفــردة

كشـامة حلـــوة فى وجـه حســـناء

باتــت تغـــنى لغـــادينا ورائحـــنا

كشـعله نورت من حــاتم الطــائى

ويقف فى الشرقية لينشد قصيدته "ذكرياتى" التى يقول منها:

المـــاء والظـــل الـــكريم وبقعـــة

لبســت من الإشــراق خـير وشـــاح

ويهزه الربيع الضاحى فينشد قصيدته:

هـــذا الربيـــع وهـــذه أيـــامـه

رقت على خـــضر الــربى أعــلامه

أما قصائده الوجدانية العاطفية فهى كالدرر المتألقة فى جيد الشعر المعاصر، ببساطتها وجمالها وموسيقاها وصورها:

الســـاعة البيــضاء مـــن عمـــرى

أبقى علـــى روحـــى مـــن الدهـــر

والـــكوخ فـــى البـيداء يجمعـــنا

أجـــدى لروحيـــنا مـــن القصـــر

والحــقل والراعــى يطــوف بـــنا

أشـــهى بعينيــنا مـــن المصــر

والشــاطئ الـــزاهى خـــمائـــله

يزرى بـــكل شـــواطئ البحـــر

والصفحة الخالدة فى إبداع الجرنوسى الشعرى هى ما خلفه لنا من تراث رفيع من الملاحم والقصص الشعرية التاريخية القديمة بعامة والإسلامية بصفة خاصة، ومجموعته "قِصص إسلامية" التى نشرت بعد وفاته عام ١٩٦٣ فى سلسلة مجموعة الألف كتاب، وطبعتها مكتبة الأنجلو المصرية، والتى كان قد نشر الكثير منها فى جريدة المصرى هى مجموعة فريدة تحتوى على ملاحم شعرية عن طارق بن زياد وعقبة بن نافع والرشيد وعمر بن الفارض، وعن فلسطين ومصر، ومقاومة الشعب والمماليك الباسلة للغزو الفرنسى، وموضوعات أخرى.

على أن لخالد ملاحم أخرى لم تطبع بعد فى ديوان، منها: ملاحم عدة فى السيرة النبوية الخالدة، وعن عمرو بن العاص، وعن فتح الأندلس، وعن الرشيد أيضًا، وعن الإسكندر المقدونى، والخضر وموسى، وعن قارون وغير ذلك.

إبداعات شاعرنا كثيرة، وهى التى تبوئه هذه المنزلة العالية فى شعرنا المعاصر، وهى كذلك التى تروى قصة حياته لأجيالنا وللأجيال الآتية، منْ بدئها لختامها، وكما قال الشاعر نفسه.

ســـوف يـــروى كـــل جـــيل

قصـــتى بعـــد وفـــاتى

وبعد فإنى لأناشد هيئاتنا الثقافية الرسمية أن تولى عنايتها بتراث الشاعر وأن تنشر ملاحمه وقصصه ودواوينه المطبوعة والمخطوطة فى مجموعة كاملة خدمة لمصر وللأجيال التى تحب أن تعرف الكثير عن دور الحركات الفكرية والأدبية والشعرية والصحفية فى وطننا الخالد العظيم.

الفصــل الثـــانى

مدرسة الديــوان

مدرسة شعراء الديوان

مدرسة شعراء الديوان من المدارس الشعرية المعاصرة والجديدة، وهي المدرسة المجددة الاتباعية - الرومانسية - وقد خلفت مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ومطران المحافظة - الكلاسيكية - وتزعمت حركة التجديد في الشعر. وألحت في الدعوة إليه.

أعلامها الثلاثة: عبد الرحمن شكري، وإبراهيم المازني، وعباس العقاد، قاموا بدور كبير في خدمة نهضتها الشعرية، وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث، وتسمى "مدرسة شعراء الديوان" نسبة إلى هذا الكتاب النقدي المشهور الذي ألفه اثنان من هذه المدرسة، وهما: العقاد والمازني، وأصدراه في جزئين وبسطا فيه دعوتهما الجديدة، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطي، كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكري، وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعري في مصر والعالم العربي، وكان له تأثيره على شوقي والمنفلوطي وغير من نظرية عمود الشعر القديمة، وعلى الرغم من أن شكري فارق زميليه وتركهما وحدهما في الميدان إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول، وإمامها الذي اقتدى به زميلاه، هؤلاء الثلاثة ثقافتهم إنجليزية، ووجهتهم هو الأدب الإنجليزي.

وقد احتدم الخلاف بين المازني وشكري، وأسرفا في نقد بعضهما لبعض. فكتب المازني في "الديوان" يهاجم عبد الرحمن شكري في مقال نقدي بعنوان "صنم الأغيب"، وكتب شكري يهاجم في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه زميله القديم المازني، كما كتب رمزي مفتاح كتابه المشهور "رسائل النقد" يهاجم فيه العقاد، ويتهمه بالسرقة من شكري.

وقد ذكر العقاد فى كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى" أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية عن طريق الأدب الإنجليزى، وأنها استفادت من النقد الإنجليزى، فوق استفادتها من الشعر وكل فنون الأدب الأخرى، وأنها اتخذت هازلت إماماً لها فى النقد، وكان مراجعها الأول هو مجموعة "الكنز الذهبى"، وهى مختارات من الشعر الإنجليزى من عصر شكسبير إلى نهاية القرن التاسع عشر.

وقد قرر العقاد فى كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث، وأنكر فضل مطران على حركات التجديد هذه، وكانت ثقافة مطران فرنسية، وذكر العقاد كثيرا أن شوقيا وحافظا تأثرا به وبمدرسة الديوان، وقد يكون ذلك مبالغة لا غير.

ومن حيث كان مطران يتزعم الدعوة إلى الشعر الموضوعى، كانت مدرسة الديوان تدعو إلى الجانب الذاتى أو الغنائى، فشعرها هو شعر الوجدان الذى يعبر عن ذات الشاعر وشخصيته أبلغ تعبير. وكتب شكرى على صدر الجزء الأول من ديوانه الذى سماه "ضوء الفجر" هذا البيت من الشعر:

ألا يــا طـــائر الفـــــردوس

أن الشـــــعر وجــــــدان

وأدخل المازنى فى تعريف الشعر العاطفة، والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، ودافع عنه فى ديوانه "بعد الأعاصير".

وقد صدر للعقاد فى حياته: الجزء الأول من ديوانه (١٩١٦) -الأربعة الأجزاء الأولى من ديوانه (١٩٢٨) - وحى الأربعين - هدية الكروان (١٩٣٣) عابر سبيل (١٩٣٧) - أعاصير مغرب - بعد الأعاصير (١٩٥٠).

ولقد حمل رواد مدرسة الديوان: العقاد وشكرى والمازنى لواء الشعر بعد شوقى، وأعلنوا الثورة على الشعر القديم (الكلاسيكى)، وكتبوا أعنف الفصول النقدية التى غيرت مسار الشعر العربى المعاصر.

وقد جمعت زمالة العلم والشباب فى مدرسة "المعلمين العليا" فى القاهرة فى أوائل القرن العشرين بين إبراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى وكان طالبين من أنبغ الطلاب فى هذه المدرسة، وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة، ثم ألفت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العقاد. وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا دعوا إليه، وكتبوا حوله، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله.

وكان هؤلاء الثلاثة مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر فى ذلك الحين، وهم يقرأون للشعراء الرومانسيين الإنجليز من أمثال: وردزورث، وشلى، وبيرون وكيتس وغيرهم. ويتأثرون بهم فى منحاهم الرومانسى. وكانت بأيدى الشباب فى مصر آنذاك وفى عهد سطوة الاحتلال الانجليزى وتشديد قبضته على التعليم، آنذاك، مجموعة شعرية مشهورة. اسمها مجموعة "الكنز الذهبى" اختارها وجمعها مشرف إنجليزى فى وزارة المعارف المصرية حينئذ اسمه "فرانسيس بالجريف" وكان أستاذ الشعر فى جامعة إكسفورد، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع، وقرأها شكرى والمازنى وتأثرا بطابعها. وكان العقاد آنذاك صحافيا صغيرا يكتب مقالاته وقصائده فى جريدة الدستور التى كان يصدرها الكاتب المعروف محمد فريد وجدى، وفى غيرها من الصحف. وجمعت النزعة الأدبية بين العقاد وشكرى والمازنى أحبابا وأصدقاء ودعاة إلى التجديد.

وفى عام ١٩١٣ أصدر شكرى الجزء الثانى من ديوانه، وكان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنوات، وكتب العقاد مقدمة هذا الجزء (الثانى) وأثنى على شاعرية صديقه شكرى وعلى موهبته، وكتب المازنى فى العام نفسه عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية المصرية وازن فيها بين حافظ وشكرى. وفضل صديقه شكرى على حافظ، ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى وعاد المازنى يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية.

وفي العام نفسه أصدر المازني الجزء الأول من ديوانه، فكتب العقاد مقدمته، يرحب فيه بالديوان ويرفع من شأن المازني الشاعر واتجاهه الرومانسي الغالب على شعره.

وكان الاتجاه الرومانسي دائما في الأدب المصري آنذاك بتأثير المنفلوطي وكتاباته وبتأثير ذيوع أدب لا مرتين وهوجو وغيرهم من الشعراء الغربيين في محيط الأدباء المصريين آنذاك، وبتأثير مطران وكتاباته كذلك.

وأكثر الثلاثة آنذاك من الدعوة إلى مفاهيم الجديد في الشعر والنقد وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الغريبة، ويكتبون في وحدة القصيدة ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر في العاطفة والإحساس والتعبير، وظهور شخصيته الفنية واستلهام الشاعر للطبيعة، وتناوله لشتى الموضوعات الإنسانية، ويحاربون التقليد وشعر المقلدين وشعر المناسبات الطارئة.

ومن حيث كان مطران ينادي بالشعر الموضوعي، والجانب الوجداني في الوصف كان العقاد وزميلاه يدعون إلى الجانب الذاتي أو الغنائي منه. وخرجوا بنظرية جديدة أسموها "شعر الوجدان" ..

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة انبثقت الدعوة إلى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته، وأن يبعد عن المناسبات، وأن يغلب عليه طابع الألم والأنين وحب الطبيعة وتصويرها، وأن تسوده وحدة عضوية كاملة، ويعبر عن تجربة شعرية عميقة، وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكاهة وأخذ المازني على شعر شوقي ومدرسته تفكك الوحدة الموضوعية في قصائدهم وإغراقهم في شعر المناسبات، وفي تقليد القدماء، وصور ذلك في مقدمة كتابه "شعر حافظ" الذي صدر عام ١٩١٥ ونقد فيه حافظ نقدا لاذعا، ودعا المازني لذلك إلى الرومانسية في كتابه "الشعر: غاياته ووسائطه". الذي صدر في هذا العام (١٩١٥) كذلك.

ويقول المازني: كان شكري أول من أخذ بيدي، وسدد خطاي، ودلني على المحجة الواضحة، وكان الجزء الأول من ديوان شكري، ويوميات العقاد بداية

اقتحام المذهب الجديد في الأدب، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم، ومذهب شوقي وحافظ وأضرابهما كما يقول المازني .. وعندما يقول ورد زورث أن الشعر إنفعال يسترجعه الشاعر في هدوء، كان المازني يعود به إلى مصدره الأول وهو العاطفة والوجدان .. وكان شكري كما يقول العقاد من أوائل من دعا إلى وحدة القصيدة، وجدد في موسيقى الشعر، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية، بل كان شكري من أوائل من مهدوا المذاهب النقدية الحديثة في الأدب المصري الحديث.. ويقول فيه الدكتور مختار الوكيل في كتابه: "رواد الشعر الحديث في مصر" - ص٤٦": "أن شاعريته تحتضن الحياة جميعا وتصور الوجود بأسره" .. وفي عام ١٩١٦ أصدر العقاد الجزء الأول من ديوانه، وسماه في الطبعات التالية "يقظة الصباح" وقصائده فيه تحتفي بالوحدة العضوية للقصيدة احتفاءا ظاهرا، والعقاد حريص كل الحرص في شعره على نظرية "الوجدان الشعري" فها هو ذا يقول في الجزء من ديوانه ص١٩٤:

ظمآن ظمآن، لا صوب الغمام ولا

عذب المدام، ولا الأنداء ترويني

وهكذا صار المضمون الشعري عند هؤلاء الثلاثة لابد وأن يتخذ في الشعر الغنائي الطابع الوجداني سواء استمده الشاعر من الطبيعة الخارجية أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية.

ويرجع هؤلاء الثلاثة في النقد إلى هازليت وماكولي وارنولد وشاسنري. وأغلب آراء العقاد في النقد تعود إلى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الإنجليز، ويشبهه العقاد كثيرا في عنفه النقدي، مع إيثار المذهب النفسي في النقد الذي كان يؤثره شكري كذلك.

وخاض الثلاثة معركة الجديد مع شوقي وحافظ والمنفلوطي، ولكن الأيام عادت ففرقت بينهم، ففي عام ١٩١٦ انفصل شكري عن زميله بعد أن استفحلت الوشايات بينهم، وثارت أثر ذلك الخصومة بين ثلاثتهم، فأخذ شكري يعيب على المازني انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية بعامة، ومما دون في "الكنز الذهبي"

بخاصة، وكتب فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه يندد بهذه السرقات الشعرية، وتبادلا النقد على صفحات جريدة "النظام" وكتب شكرى يهاجم المازنى والعقاد - الذى انتصر لصديقه المازنى - مما على صفحات "عكاظ" فى مقالات نشرها عامى ١٩١٩ و١٩٢٠.

وفى عام ١٩٢٠ و١٩٢١ أصدر العقاد والمازنى جزئين من كتاب جديد سمياه "الديوان" نقد فيه العقاد شوقيا والمنفلوطى، ونقد المازنى فيه حافظا وعبد الرحمن شكرى، الذى سماه "صم الألاعيب" ورماه بالشعوذة والجنون.

وأطلق اسم مدرسة شعراء الديوان على هؤلاء الثلاثة الشعراء على الرغم من أن الكتاب هو للعقاد والمازنى فقط، وعلى الرغم من أنه يحمل هجوما على زميليهما شكرى.

وقد أحدث كتاب "الديوان" ضجة كبيرة فى العالم العربى، وكان حافزا لظهور كتاب الغربال للشاعر المهجرى نعيمة، الذى يكتب العقاد مقدمته.

وبوازع من شوقى وشكرى كتب رمزى مفتاح كتابه "رسائل النقد" يهاجم فيه العقاد ويتهمه بالسرقة من شكرى.

ويذكر العقاد فى كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى" - الذى كان ينشره مقالات فى صحيفة "الجهاد" القديمة التى كان يصدرها الصحفى المصرى محمد توفيق دياب، أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الإنجليزى، وأنها استفادت من النقد الإنجليزى، واتخذت هازلت رائدا لها فى النقد، وكان مرجعها الأول كتاب "الكنز الذهبى" الذى كان يحتوى على مختارات من الشعر الإنجليزى من شكسبير إلى نهاية القرن العشرين.

ويقول العقاد: أن مدرسة الديوان هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث متجاهلا مطران ودعوته التجديدية قبل مدرسة الديوان، وإن كان صوت مطران فى الدعوة إلى التجديد قبل مدرسة الديوان غير جهورى.

وفى رأى هؤلاء الثلاثة أصحاب مدرسة الديوان. أن شخصية الشاعر هى كل شيء فى الشعر، وأن الشعر إذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذى

يجب أن نحتفي به، وكان ورد زورث الشاعر الإنجليزي يقول، وقد سئل عن شعر شاعر: "إنه ليس من الحتم في شيء"، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره، فإذا أصبح شعره على لسان الناس، ولا غنى لهم عنه، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم العامة، فهو شاعر قد فرض نفسه على الشعر وعلى النقاد والناس.

ولا ريب أن هؤلاء الشعراء الثلاثة، على اختلافنا معهم في كثير من آرائهم في النقد، وأحكامهم على الشعر والشعراء، قد فرضوا شعرهم على الحياة من حولهم، وفرضوا شخصيتهم على الأدب الحديث والشعر المعاصر فرضا.

ويشاء الله أن يعود الصفا بينهم فيحل محل العداء والجفاء، وكان ذلك عام ١٩٣٤، فيتصافحون ويمد بعضهم يديه إلى البعض الآخر، ويكتب العقاد والمازني الفصول الطويلة عن شكري، اعترافا بفضله، وأقر المازني بأستاذية شكري له، ونظم شكري قصيدته الطويلة "بعد الأخاء والعداء" ونشرها في مجلة الرسالة وقال فيها:

حنوت على الود الذي كان بيننا

وإن صد عنه ما جنينا على الود

وقد تحدث الشاعر عبد الرحمن شكري في الجزء الثاني من ديوانه عام ١٩١٣ في قصيدة (نبوة شاعر)، متنبئا ثائرا ناقدا لمذاهب التقليدين في شعرهم، ولعله كان يقصد بهذا مدرسة الكلاسيكيين من أمثال شوقي وحافظ وأضرابهم.

عبد الرحمن شكرى

رائد شعراء مدرسة الديوان

١٢ أكتوبر ١٨٨٦م - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨

عبد الرحمن شكرى شاعر غنى للحياة، وللإنسان. وللطبيعة، وغنى للحب والأمل، والألم أيضًا، أجمل الأغنيات، وأبدع القصائد.

ومنذ أكثر من نصف قرن، ودع الشاعر، عبد الرحمن شكرى الحياة، عن اثنين وسبعين عاما، لقى فيها كل صنوف الآلام والاضطهاد والعذاب، ولم ينعم فيها بآماله وأحلامه، التى كان يتطلع إليها فى فجر شبابه، وقضى حياته فى غربة روحية رهيبة.

وكما يقول فى قصيدته "الشاعر البابلى المجهول" التى نظمها نحو عام ١٩٣٥، وهو فى التاسعة والأربعين من عمره، ويعنى بهذا الشاعر المجهول نفسه:

يـا غريـب الـدار عـن عيـنى

ناظـرا فى غابـر الزمـن

هـل سمعـت اسـمى وما نقـل

الركـب عـن شعـرى وعن فطنى

قـد وصلـت الحسـن أجمعـه

لـم أدع فـى الـكون مـن حسـن

وبحثـت النفـس قاطبـة

لم يعتـنى أيمـا شجـن

سهـر الأقـوام واختصمـوا

فـى مـنى راض ومنطغـن

ولنرجع إلى الوراء قرنا من الزمان، وها نحن أولا: الآن فى ١٢ أكتوبر عام ١٨٨٦م، فى مدينة بور سعيد مع أسرة مصرية من أصل مغربى. هاجرت إلى مصر. وأقامت فى بنى سويف حينا، ثم انتقلت إلى بور سعيد، المدينة الصغيرة، المطلة على البحر الأبيض، والتى لم يكن قد مضى على إنشائها أكبر من ربع قرن .. هذه الأسرة هى أسرة (عياد)، ومنها كان حسن عياد، ثم أبنه أحمد شكرى عياد، وكان يشغل وظيفة رئيس قلم المرور بميناء بور سعيد، كان ذا ثقافة عالية يجيد الفرنسية وآدابها إجادة تامة .. وأنجب أحمد شكرى ابنه محمدا، الذى حصل على قسط كبير من التعليم والثقافة، والتحق بوظيفة فى الضبطية فى المدينة، وكان وطنيا مخلصا محبا لبلاده، عاصر ثورة عرابى، وأيده بكل قواه وطاقته، حتى اعتقل بعد هزيمة الثورة، وفصل من وظيفته،وظل فى السجن بضع سنين حتى أفرج عنه، وعاد إلى عمله، معاونا للإدارة هنا فى هذا الثغر الجميل، الذى ولد فيه ابنه عبد الرحمن شكرى، شاعرنا الخالد، الذى كان ميلاده فى الثامن عشر من أكتوبر ١٨٨٦، فى بيت صغير فى شارع أفريقية.

ووجه محمد شكرى طفله الصغير عبد الرحمن شكرى شطر التعليم، فنال الابتدائية من بور سعيد عام ١٩٠٠ وهو فى الرابعة عشرة من عمره.

وفى مشوار حياته الطويل تلقى تعليمه الثانوى فى مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية، ونال منها شهادة البكالوريا عام ١٩٠٤م بتفوق كبير.

وخلال هذه الفترة كان شكرى كثير القراءة فى جميع ألوان الثقافة والأدب والشعر، وكان لوالده مكتبة كبيرة حافلة، أفاد منها شكرى إفادة عظيمة، وفى الشعر قرأ المتنبى وأبا العلاء والشريف الرضى ومهيار وابن الفارض والبهاء زهير والبارودى، والكثير مما وقع فى يده من دواوين الشعراء، وقرأ للشعراء الإنجليز، وبخاصة شعراء المدرسة الرومانسية، وفى مقدمتهم بايرون وشيلى، وسواهما. ممن تضمن مختارات من شعرهم مجموعة الكنز الذهبى.

واتجه بعد ذلك إلى مدرسة الحقوق فالتحق بها عام ١٩٠٤، وفيها اتصل بالحزب الوطني، الذى قاده مصطفى كامل، وعاش الحركة الوطنية آنذاك بكل أحداثها، وفى عام ١٩٠٦م نظم قصيدته الوطنية الثائرة، وهى بعنوان "الثبات" وألقاها زميله عبد الحميد بدوى نيابة عنه فى حفل وطنى أقيم فى الأزبكية وفيها يخاطب الشباب يحثهم على الاستمساك بعرى الوطنية والنضال:

ثباتا فإن العار أصعب محملا

من الذل لا يفضي بنا الذل للعار

سيهزمهم منا أبوة ماجد

وهمة خطار وعزمة مقدار

فاتهم الاحتلال الشاعر بالتحريض على الثورة، وفصل من مدرسة الحقوق. بعد عامين من بدء دراسته بها.

وفى كتابه "الاعترافات" الذى طبعه عام ١٩١٦ تصوير لطفولته ومسارح صباه، وهو سيرة ذاتية له حتى سن الثلاثين .. وفيه وصف لآمال الشباب المصرى وآلامه آنذاك، ولصعوده فى معركة التحدى للاستعمار.

ووجهه مصطفى كامل، بعد فصله من الحقوق، إلى إكمال دراسته العالية فى مدرسة المعلمين العليا، فالتحق بها عام ١٩٠٦، وكان مقرها يومئذ بدرب الجماميز، فى مكان المدرسة الخديوية اليوم، وكانت مدة الدراسة بها ثلاثة أعوام، وكان من أساتذة اللغة العربية فيها: حسن الطويل - أحمد ضيف - محمد بك دياب، عثمان أبو النصر .. وسواهم ..

وقد تخرج شاعرنا شكرى منها عام ١٩١٩م، وكان من أهم الكتب الدراسية فيها "مجموعة الكنز الذهبى"، وهى مختارات من الشعر الإنجليزى الرومانسى، وقد ألفها أحد أساتذة الشعر الإنجليزى فى كلية إكسفورد، وكان منتدبا إلى المعارف المصرية، ويعمل مشرفا فيها، ولما قرأ شكرى هذه الأشعار الرومانسية الحالمة أعجب بها وأثرت تأثيرا شديدا فى شاعريته.

ونظم شكرى فى هذه الفترة مراثيه فى الإمام محمد عبده وفى مصطفى كامل، وفى قاسم أمين، وفى هذه الفترة أيضًا نشر أول دواوينه الشعرية عام ١٩٠٩م وهو ديوان "ضوء الفجر" الذى قال حافظ فيه:

أفى العشرين تعجز كل طوق
وترقصنا بأحكام القوافى

شهدت بأن شعرك لا يجارى
وزكيت الشهادة باعترافى

لقد بايعت قبول الناس شكرى
فمن هذا يكابر بالخلاف

واختير شكرى بعد تخرجه من المعلمين العليا عام ١٩٠٩م فى بعثه دراسية إلى إنجلترا، فسافر إليها، وأقام فيها ثلاث سنوات، نال فى نهايتها شهادة جامعية عليا، حيث كانت دراساته فيها فى التاريخ الدستورى والتاريخ القديم والحديث والجغرافيا والعلوم السياسية والاقتصادية والآداب الإنجليزية.

وفى هذه المرحلة كتب قصائد جميلة ورائعة مثل قصيدة الشتاء فى إنجلترا، وقصيد شاعر فى الغربة، التى يقول فيها:

كنت مثل الغريب جئ به من
روضة والزمان غير ذميم

حيث وجه النهار جذلان بسـ
ـم، ووجه الظلام غير ذميم

ودواع إلى الغناء كثار
من حبيب وموطن وحميم

أنزلوه فى منزل مثل بطن الـ
أرض جهم السماء جهم الأديم

عاش يبكى أيامه حيث صفو الـ
عيش سهل الجناب سهل النسيم

نقضى عيشة غريبا عن الأهـ

ـل قليل العزاء جم الهموم

الهوى والحياة واليأس والحز

ن وريب من الزمان خصومى

ونظم كذلك قصيدته حنين غريب وفيها يقول:

أنشقونى نسائم النيل وأنى

لعليل والنيل حاجة نفسى

أنا فى بلدة يمربها الدهـ

ـر حزينا لا يستضئ بشمسى

وعاد الشاعر إلى وطنه، فبادر عام ١٩١٣ بطبع الجزء الثانى من ديوانه الذى سماه لآلئ الأفكار، وقد صدر بمقدمة بقلم العقاد:

وعين الشاعر مدرسا للإنجليزية بمدرسة رأس التين الثانوية التى درس فيها دراسته الثانوية، وكان آنذاك فى السابعة والعشرين من عمره، ودرس كذلك فى المدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية. وكان من تلامذته فى الشعر: على أدهم، ونقولا يوسف، وعبد الحميد السنوسى، وحسن فهمى .. وسواهم من الأدباء والشعراء.

وفى هذه الفترة صدر له:

١- ديوانه الثالث "أناشيد الصبا" عام ١٩١٥م.

٢- ديوانه الرابع "زهر الربيع" عام ١٩١٦م.

٣- ديوانه الخامس "الخطوات" فى العام نفسه.

٤- كتابه "الاعترافات". صدرت عام ١٩١٦

٥- كتابه "الثمرات". عام ١٩١٦

٦- كتابه "حديث ابليس" عام ١٩١٦

٧- ديوانه السادس "الأفنان". عام ١٩١٨.

٨- كتابه "الصحائف".

٩- ديوانه السابع "أزهار الخريف" عام ١٩١٩.

وهذه آخر دواوين الشاعر التى صدرت فى حياته، وكان حينئذ فى الثالثة والثلاثين من عمره.

١٠- كتابه "الحلاق المجنون" بتوقيع ع. ش. وقد صدر عام ١٩١٩ أيضًا.

ووقف الشاعر بعد ذلك عن طبع شيء من شعره ومن كتبه الأخرى. كما وقف كذلك الشاعر أحمد محرم عند الجزء الثانى من ديوانه الذى أصدره عام ١٩٢١م ولم ينشر بقية شعره حتى وفاته عام ١٩٤٥م، وكنت قد راجعت ديوان محرم المخطوط كاملا وأعددته للنشر وتسلمه المجلس الأعلى للفنون والآداب من أربع سنوات أو يزيد وحتى اليوم لم ير النور.

شاهد شكرى عهد الاحتلال، والحرب العالمية الأولى، وحركة الزعيم مصطفى كامل، وثورة ١٩١٩م، وعاش فى الإسكندرية مكبلا بقيود الوظيفة. يلتف حوله كل شعراء الثغر، من أمثال السنوسى وحسن فهمى وعبد اللطيف النشار وسواهم، وكانوا يلقونه عصر كل يوم فى حديقة الشلالات فى الثغر.

ومنذ عام ١٩١٩ انطوى الشاعر على نفسه، لأنه لم يجد من التقدير ما كان يستحقه، وعاش فى نطاق الوظيفة، أستاذ للغة الإنجليزية، فناظرا للمدرسة الثانوية فى الفيوم بالزقازيق، فحلوان، فالعباسية الثانوية، ثم مفتشا للغة الإنجليزية.

وفى عام ١٩٣٨م قدم استقالته من الوظيفة وهو فى الثانية والخمسين من عمره، وذلك بعد أن غلبه اليأس، واستولى عليه الحزن، وكما قال فى شعره فى مطالع شبابه من قصيدته "شكوى شاعر" التى ضمنها الجزء الثانى من ديوانه:

قد طال نظـمى للأشـعار مقتـدرا

والقوم فى غفلة عنى وعن شـأنى

وقامت الحرب العالمية الثانية، وخلالها وبين الحين والحين كان يرسل نفثاته براعة إلى الرسالة والمقتطف والهلال فتنشرها.

وترك الشاعر بعد استقالته من وظيفته الإسكندرية، وعاد إلى بور سعيد ليعيش مع أسرة أخيه، فى شقة متواضعة من منزلهم فى شارع أفريقية، حيث مسرح طفولته.

ومهد صباه، وحيث قضى فى مدينته وموطنه الأول سبعة عشر عاما (١٩٣٨م - ١٩٥٥م)، وكان الشاعر أعزب لم يتزوج ولم ينجب.

وفى يناير من عام ١٩٥٢م أصيب بالشلل، وكان فى الطريق إلى منزله يحمل بعض كتب اشتراها من بعض المكتبات، ومع مرض السكر أيضًا عاش الشاعر أواخر حياته الحزينة الصامتة.

وفى عام ١٩٥٥ انتقل الشاعر إلى الإسكندرية حيث قضى بها ثلاث سنوات عجاف، مع بعض أقاربه، وبلغه نبأ احتراق منزل أخيه ببور سعيد فى العدوان الثلاثى على المدينة عام ١٩٥٦م، كما علم بأسر ابنى أخيه الضابطين فى القوات البحرية المصرية. وتكاثرت الهموم على الشاعر، حتى لبى نداء ربه ظهر يوم الإثنين الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨م:

وفى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة كنا على وشك أن نزور شكرى فى عزلته الرهيبة حين بلغنا اشتداد وطأة المرض عليه، وكتبنا فى الصحف آنذاك نلفت نظر الدولة إليه، وحين جدت الدولة فى تكريمه وعلاجه مات الشاعر.

وصدق شكرى فيما قال فى قصيدته: "نبوؤة شاعر"، التى نظمها فى سن مبكرة، وضمنها الجزء الثانى من ديوانه المنشور عام ١٩١٣م، وفيها يقول:

لئن خاننى الذكر الجميل وملنى
مسامع قومى أو غلبت على أمرى

سيروى عظامى شاعر بدمائه
وبنثر أزهار الربيع على قبرى

فيا ساكنا فى الغيب هذى نبوؤتى
فذكر بها القوم الألى جهلوا قدرى

مات شكرى وترك خمسة كتب لم تر النور بعد، وكان قد نشرها فصولا فيما بين عامى ١٩١٩م، ١٩٥٢م فى المقتطف والرسالة والثقافة والهلال، وهى:

١- نظرات فى النفس والحياة، نشر مسلسلا بالمقتطف (١٩٤٧م - ١٩٥١م).

٢- الشعر العباسى.

٣- دراسات نفسية.

٤- بين القديم والجديد.

٥- أبحاث ودراسات شتى.

ولعلنا لو قرأنا قصيدة شكرى "ظالمى ما أعدلك" ص٢٥٦ من الديوان لرأينا فيها خصائص مذهبه الشعرى كاملة .. يقول شكرى.

ظالمى ما أعدلك
فاقض أن الحكم لك

أى ذنب جئته
عن ودادى نقلك

أى أمر طارق
عن دعائى شغلك

قد بدا لى يا حبيبى
منك أن لا قلب لك

إن يكن فيك جمال
إن شعرى جملك

ليت لى يا قلب قلبا
طائعا لى بدلك

ما أظن الحب إلا
بالعابى أجلك

ويتمثل تجديد شكرى فى الجزء الأول من ديوانه "ضوء الفجر" الذى صدر عام ١٩٠٩ وأعيد طبعه عام ١٩١٤، وفى الجزء الثانى منه (لآلئ الأفكار) الذى صدر عام ١٩١٣، والثالث (أناشيد) الصادر عام ١٩١٥م، والرابع (زهر الربيع - ١٩١٦م)، والخامس (خطوات - ١٩١٩م) والسادس (الأفنان - ١٩١٨)، والسابع (أزهار الخريف - ١٩١٩م)- ثم أعيد طبع الديوان كله عام ١٩٦٠م، بعد وفاة شكرى فى مجلد واحد

على نفقة عبد العزيز مخيون، وقدم له نقولا يوسف، وأضيف إلى الأجزاء السبعة جزء ثامن جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩م حتى وفاة الشاعر.

كما يتمثل كذلك في كتبه المطبوعة: الثمرات - الاعترافات - حديث أبليس - وقد ظهرت عام ١٩١٦ - وفي كتبه المخطوطة الباقية. والتي نشرت فصولها في المجلات.

وترجع أهمية شكري في الشعر المصري الحديث إلى أنه هو البدء الحقيقي للمدرسة الحديثة، وللحركة الرومانسية في الشعر المعاصر، وأنه منذ كان طالبا في مدرسة المعلمين العليا، كان يدعو إلى القيم الشعرية الرومانسية الأصيلة. من تجربة شعرية، ووحدة عضوية، وحرص على الموسيقى، وعلى أن تكون القصيدة الغنائية ذاتية الطابع، وجدانية المشاعر، ممثلة لشخصية الشاعر الفنية تمام التمثيل، ومن ثم نادى بنظرية جديدة، أسماها شعر الوجدان". وجعلها شعارا له كتبه على الجزء الأول من ديوانه الذى سماه "ضوء الفجر"، ويتمثل هذا الشعار في بيته المشهور:

ألا يـــا طائـــــر الفــــــــردوس

أن الشــــــعر وجـــــــــــــدان

واحتفل شكري في شعره بالقصة الشعرية، وبالطبيعة وبالألم والأنين والحنين، وبكل أدوات الرومانسية، وعناصرها الفنية في القصيدة الشعرية.

وكانت المدرسة الرومانسية هذه هي التي قامت في وجه مدرسة البعث التي قادها شوقي وحافظ وأضرابهما، ودعتها إلى أن تخفف غلواءها في شعر النماذج، وأن تبدأ مرحلة شعر الوجدان، لتكون القصيدة تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته، فيبعد بها عن المناسبات الطارئة، وعن التقليد الضعيف للقدماء.

وشخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر عنده، فإذا كان الشاعر يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذى يجب أن يحتفى به، يقول شاعرنا: "الشعر ما أشعرك بعظمته وجعلك تحس عواطف النفس إحساسا شديدا:

والمضمون الشعرى عنده لابد أن يتخذ فى الشعر الغنائى الطابع الذاتى. سواء استمده الشاعر من الطبيعة أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية.

والأصالة، وصدق الشاعر فى عاطفته وشعوره، وتناوله لشتى الموضوعات الإنسانية، وهيامه بالطبيعة، وبعده عن الزيف والتقليد، وعن شعر المناسبات، وتلقيح القصيدة بالمعانى والأخيلة والصور الغريبة، كل ذلك جزء لا يتجزأ من بناء القصيدة.

وأهم البواعث عنده فى نظم الشعر هو الحب والطبيعة والبطولة والخواطر والتاملات والشعور بشخصية الفنان وتجربته التعبيرية.

ويشرح شكرى مذهبه فى الشعر فى كلمة كتبها مقدمة للجزء الخامس من ديوانه، بعنوان "فى الشعر ومذاهبه" والتى نادى فيها بطلاقة الأسلوب، وشخصية الشاعر، وتعبيره عن ذاته تعبيرا قويا مباشرا، كما نادى بوحدة القصيدة، ونظم الشعر المرسل، وعدد صور القافية، وأعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم.

وبهذا بدأ شكرى دعوته إلى التجديد فى الشعر المصرى الحديث، وبدأ بذلك كفاحا طويلا فى سبيل التحرير الفنى للقصيدة، ومن أجل تطوير أسلوب الشعر ومضمونه وموسيقاه.

وكان شكرى يجمع بين التيار العاطفى والشاكى المتشائم المتمرد والتيار الفكرى المسترسل الهادى، فزاوج بين الجانب التأملى وبين التأثرات العاطفية الوجدانية.

وكان يكرر قوله فى الاحتفاء بالوحدة العضوية للقصيدة: ينبغى أن ننظر الى القصيدة من حيث هى شيء فرد كامل، لا من حيث هى أبيات مستقلة، ذلك لأن قيمة البيت تأتى من كونه عضوا فى جسم القصيدة الكلى.

على أن المذهب الرومانسى الذى دعا إليه شكرى كان له إرهاصات كثيرة ظهرت فى شعر مطران، ونثر المنفلوطى، وفى الشعر الغربى الذى ترجم إلى العربية. وبخاصة شعر لامرتين وهوجو وبايرون وسواهم.

على أن النقاد جميعا يعترفون لشكرى بمنزلة الزعامة والريادة فى الحركة الشعرية التجديدية المعاصرة.

يقول العقاد عنه:

أنه من أوائل من دعا إلى وحدة القصيدة، وجدد في موسيقى الشعر وألف القصة الشعرية العاطفية، والاجتماعية والتاريخية، بل كان شكرى من أوائل من مهدوا للمذاهب النظرية الحديثة في الأدب المصرى الحديث.

ويقول عنه المازنى:

كان الجزء الأول من ديوان شكرى ويوميات العقاد بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب - يريد الأدب الرومانسي - كما كان فاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم، مذهب شوقي وحافظ وأضرابهما.

ورأى فيه مندور أنه شاعر التأمل النفسي والاستيطان الذاتي.

ومدرسة أبولو تقدر شاعرية شكرى وريادته ومواهبه، وتعد شعره ينبوعا من ينابيع الشعر الحديث، ويقول عنه أبو شادى أنه شاعر الأصالة والعبقرية الشعرية، ويسمى مدرسة الديوان مدرسة شكرى، فيقول: مدرسة شكرى التى انتسب إليها المازنى والعقاد مدرسة شعرية متحررة منوعة، ولكن البون شاسع بين الأستاذ والتلميذ، فشكرى شاعر سابق لزمنه، وزعيم مدرسة ماتت لما ابتعدت عن صلته ووحيه المباشر، ولكنه بنى مفاخر لن تموت للشعر العربى الحديث.

ونوه به السحرتي، وجميع نقاد مدرسة أبولو يعدون شكرى رائدا لمدرسة الديوان ويعترفون بفضله على المازنى والعقاد.

يقول عنه رمزى مفتاح في كتابه "رسائل النقد": إنه شاعر عظيم الموهبة، وهو الزعيم الأكبر، ومنشئ المدرسة الحديثة في الشعر العربى.

ويقول عنه د. مختار الوكيل في كتابه "رواد الشعر الحديث في مصر": إن شاعريته تحتضن الحياة جميعها، وتصور الوجود بأسره، لأنه شاعر عبقرى، لا يقف دون التعبير عن شعوره حيال الكون كله.

وفي كتابى "قصة الأدب المعاصر"، والجزء الثانى من كتابى "الأدب العربى الحديث ومدارسه": شكرى من رواد المدرسة الحديثة في الشعر العربى، بل هو أشهر الرواد، وأكثرهم دعوة إلى التجديد، وحرصا عليه، وإيمانا به. وزملاؤه في

الدعوة إلى التجديد العقاد والمازنى .. وممن لهم فى الدعوة التجديدية حظ كبير أيضًا مطران وأبو شادى.

وأهم حدث أدبى فى حياة شكرى هو دعوته إلى المذهب الرومانسى الجديد فى الشعر مع زميليه العقاد والمازنى.

وقد نشأت من آرائهم مدرسة جديدة فى الشعر المصرى، سميت باسم "مدرسة الديوان" نسبة إلى كتاب الديوان الذى أصدره العقاد والمازنى فى جزئين عام ١٩٢١، وبسطا فيه آراء المدرسة فى الشعر والنقد. وقد تزعمت هذه المدرسة حركة التجديد فى الشعر الحديث، وألحت فى الدعوة إليه. ويؤكد العقاد أن "مدرسة الديوان" هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث.

ويذكر العقاد فى كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم" أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية عن طريق الأدب الإنجليزى، وأنها استفادت من النقد الإنجليزى استفادتها من الشعر وكل فنون الأدب الأخرى، وأنها اتخذت هازلت إماما لها فى النقد، وكان مرجعها الأول: "مجموعة الكنز الذهبى" وهى مختارات مشهورة من الشعر الإنجليزى من عصر النهضة إلى نهاية القرن العشرين.

وقد تعرف المازنى بشكرى فى مدرسة المعلمين العليا، وكان شكرى يسبقه فيها، وكتب المازنى فى جريدة السياسة (٥ أبريل ١٩٣٠) مقالا يقول فيه:

غبر زمن كان فيه شكرى محور النزاع بين القديم والجديد، ذلك أنه كان فى طليعة المجددين، إذا هو لم يكن الطليعة والسابق إلى هذا الفضل فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه وكنا يومئذ طالبين فى المعلمين العليا، وكانت صلتى به وثيقة، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه ولم أكن يومئذ إلا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب، ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه، ومن اللؤوم الذى اتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى ودلنى على المحجة الواضحة.

ثم تعرف المازنى بالعقاد فى جريدة الدستور التى كان يصدرها آنذاك المفكر الكبير محمد فريد وجدى، وكان العقاد أحد محرريها، وقاد المازنى العقاد إلى شكرى وعرفه به، ومن ثم أصبح هؤلاء الثلاثة أخوة فى المذهب وفى الفكر وفى الحياة، وأخذوا يدعون إلى مذهبهم الشعرى، ولا يكادون يفترقون، ولا يكفون عن القراءة والكتابة.

وأخذ المازنى والعقاد يتزيدان من اللغة الإنجليزية على يدى صديقيهما شكرى، وينعمان فى آداب الغرب والشرق، فى إعجاب شديد برائدهما شكرى وبثقافته الواسعة. ولم يلبث هؤلاء الثلاثة أن صاروا مثالاً رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر. وهم يميلون إلى الرومانسية وشعرائها، ويقرأون الشعراء الرومانسيين الإنجليز، ويتأثرون بهم تأثرا شديدا، وهم يتخذون من مجموعة الكنز الذهبى زادا فنيا لهم فى الشعر.

وصدر الجزء الثانى من ديوان شكرى عام ١٩١٣، وفى صدره مقدمة للعقاد أثنى فيها على شاعرية شكرى وموهبته الفياضة.

وكتب المازنى أيضًا عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية وازن فيها بين حافظ وشكرى وفضل شاعره شكرى على حافظ. ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى، وعاد المازنى يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية وذلك مما نشره فى كتابه: "شعر حافظ" الذى صدر عام ١٩١٥م.

وفى عام ١٩١٣ أصدر المازنى الجزء الأول من ديوانه وكتب العقاد مقدمته كذلك، رفع فيها من شأن الديوان، ورحب بظهوره، وباتجاهه نحو الرومانسية. وفى عام ١٩١٦ ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد.

وخاض الثلاثة معركة الجديد، مع شوقى وحافظ والمنفلوطى.

ولم تلبث الأيام أن مرقت بينهم فاعتزلهم شكرى، وإن كان يعد دائما الرائد الأول لمدرسة شعراء الديوان، وإمامها الذى اقتدت به.

وهاجم شكرى المازنى ورماه بسرقة شعره من شعراء المدرسة الرومانسية الإنجليزية، وبخاصة شعراء "مجموعة الكنز الذهبى". وذلك فى مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكرى.

وفى عام ١٩٢١ أصدر المازنى والعقاد الديوان وهو كتاب نقدى صغير.

وصدر فى جزئين، نقد فيه أحمد شوقى وحافظا، وهاجم العقادشعر شوقى هجوما شديدا لأنه ليس فيه شىء من تصوير النزعات الإنسانية. وليس تعبيرا عن ذات الشاعر، وليست القصيدة عنده ذات وحدة عضوية واحدة.

وهاجم المازنى شكرى فى الديوان هجوما شديدا. وهاجم رمزى مفتاح الكتاب والعقاد ورماه بالسرقة من شكرى.

وفى عام ١٩٣٠ عاد المازنى إلى الكتابة عن شكرى، وفضله على شعراء الشعر الحديث، فكتب فى جريدة السياسة (عدد ٥ أبريل ١٩٣٠) يعترف بفضل شكرى. كما كتب بعد فى جريدة البلاغ عدد أول سبتمبر ١٩٣٤: يقول:

كنا زميلين فى مدرسة المعلمين العليا، ولكنه كان ناضجا، وكنت فجا، وكان أديبا شاعرا واسع الاطلاع، وكنت جاهلا ضعيف التحصيل، تناول يدى وشد عليهما، وكنت أقرأ ابن الفارض والبهاء زهير ففتح عينى على الثقافة العالمية، وعلى أعلام الأدب الغربى، وصرفنى عن المقلدين، وأغرانى بأصحاب المواهب والابتكار، وصحح لى المقاييس وأقام الموازين الدقيقة، وفتح عينى على الدنيا وما فيها، فأنا مدين له بكل ما أعان على ما صرت إليه.

عباس محمود العقاد

(٢٨ يونيو ١٨٨٩ - ١٢مارس ١٩٦٤)

عبقري موهوب، وأديب مفكر، وناقد زكي، وكاتب عصامي، وإمام من أئمة الأدب والشعر في العالم العربي، كان شاعرا مجددا يجمع بين قوة العاطفة وعمق الفكرة، ظهر في الميدان الأدبي والفكري والسياسي في عصر أوائل القرن العشرين، واشترك في مختلف الحركات الوطنية والفكرية، ونال الصدارة في كل مجال وميدان.

ظهر في سنة ١٩١٣ الجزء الثاني من ديوان عن عبد الرحمن شكري وفيه مقدمة قيمة بقلم الأستاذ العقاد عن الشعر ومزاياه، يقول في مستهلها عن الشعر "ليس الشعر لغوا تهذي به القرائح فتتلقاه العقول في ساع كلالها وفتورها، فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة الناس، لا بل الشعر حقيقة الحقائق ولب اللباب والجوهر الصميم من كل ما له طاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان الناس والناقل الأمين من لسانها".

وفي عام ١٩١٤ ظهر الجزء الأول من ديوان المازني وفيه مقدمة رائعة بقلم العقاد بعنوان "الطبع والتقليد" يقول في أولها: "حسب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على أحدهم إن أراد أن يكون شاعرا إلا أن يرجع إلى شعر العرب بالتحدي والمعارضة، فإن كانت العرب تصف الإبل والخيام والبقاع، وصف هو البخار والمعاهد والأمصار وإن كانوا يشبهون في أشعارهم بدعد ولبنى والرباب، ذكر أسما من أسما نساء اليوم، ثم بحور من تشبيهاتهم، ويغير من مجازاتهم بما يناسب هذا التحدي، فيقال حينئذ أن الشاعر مبتدع عصري، وليس بمقلد قديم، وهذا حسبان خطأ، فما أبعد هذا الشعر عن الابتداع، والأخلق به أن يسمع الابتداع التقليدي، لأنه ضرب من ضروب التقليد، فلولا أن شاعرا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا أن يعارضوه".

وفي سنة١٩١٦ وكان قد ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد الذى أسماه فى الطبعات التالية "يقظة الصباح"، وأذكر أنى أدمنت قراءته حتى استظهرت أكثر قصائده، وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما كان يسميه العقاد "الوحدة العضوية" فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه، فى وحدة مسلسلة، وترابط يكاد يكون منطقيا على خلاف ما ألفناه فى الشعر القديم وفى شعر الشعراء الذين كانوا يتبعون فى نظم قصائدهم طرائق القدماء، وقد أعجبنى هذه الطريقة فى ديوان شكرى وديوان المازنى وديوان العقاد، ولا شك أنهم تأثروا بأدب الغرب فى اتباع هذه الطريقة وبخاصة فى العهد الذى ساد فيه الأدب الرومانسى.

وظهرت الحركة القومية التى قادها المرحوم سعد زغلول، وكان العقاد فى طليعة الكتاب الوفديين المناضلين عن مبادئ الوفد وخطته. فقد ناصر العقاد بقلمه ووقف بالمرصاد لخصومه، وبرز فى الجدل السياسى، والحملات الحزبية، ولم يحل ذلك دون بذله الجهود الأدبية، فظهر فى سنة ١٩٢١ الجزء الأول والثانى من كتاب الديوان، وقد اشترك معه فى تحريره الأستاذ المازنى، وهاجم العقاد فى كتاب الديوان شعر شوقى هجوما عنيفا، ونقده مريرا .. لم يكن دائما البادى، بل كان موقفه موقف المدافع الذى يرد الهجوم، وكان شوقى لا ينفك يغرى به صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهيم قنديل، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد أدخل فى باب الهجاء والسباب منه فى باب النقد الأدبى.

وكان فى العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل وعمق الفلسفة ونفاذ نظراته وسعة إحاطته، وكان العقاد يلتزم القصد فى حياته ويتحرى الاعتدال فيعيش فى كتبه ومطالعاته ولكنه مع ذلك لا ينسى نصيبه من الدنيا ولكن فى غير إسراف، وكان حريصا على حياته وصحته ووقته ولم يكن بخيلا بماله، وكان يعتز بلغته ودينه وعروبته ومع ذلك كان واسع الأفق إنسانى النظرة، يكتب عن غاندى ويشيد به ويكتب عن عمر بن الخطاب وأبى بكر الصديق، ويعجب بالزعيم الباكستانى محمد على جناح كما يعجب بمحمد فريد وسعد زغلول، ويكتب عن عبقرية محمد كما يكتب عن عبقرية المسيح.

وكان يؤمن بالحياة والعظمة والبطولة، ويشك في الذين ينتقصون مواقف الأبطال ويسفهون أحلامهم، ويحيطون بواعثهم بالريب، أو يردونها إلى التماس المصلحة الشخصية وطلب المجد الذاتي.

وكان أدب العقاد وشعره كذلك سواء فيما قدمه من خواطر إنسانية أو فيما جعله صورة كذلك لمجتمعه وبيئته.

وقد استغل هذا المضمون في شعره الوطني والإجتماعي، فهو عندما أراد أن يدعو مواطنيه إلى العزة والصمود والاستقامة والكرامة لم يقف موقف الواعظ، ولكنه وقف موقف الأديب الثائر فصور مجتمعه وكأنه متشائم من الأوضاع والتي يراها، فالمانعون المتعلقون يتولون أسمى الوظائف وأعيان الدولة جماعة ضعفت نفوسهم وقلت علومهم وفشت خستهم ودناءتهم وكثر نفاقهم وتملقهم وجثوا خاضعين تذللا، واللئام قد بلغوا أسمى الدرجات فكأنهم القرود وقد اعتادوا التسلق. فهو الذي يقول في قصيدة جعل عنوانها "زماننا".[1]

سبق اللئام إلى ذراه فقهقهوا
أن القرود بالتسلق أخبر
ما نيل فيه مطلب إلا له
ثمن من العرض الوفير مقدر
وبقدر ما بذل امرؤ من قدره
يجزى فأكبر من نراه الأصغر

كان العقاد مولعا بالتجديد والإبداع والابتكار، وقد دفعه هذا الولع إلى الإسهام في خلق مدرسة شعرية وكذلك مدرسة شعراء الديوان تعد أساسا للأدب الرومانسي في الأدب العربي.

وأهم البواعث عند هاته المدرسة في نظم الشعر هو الحب وصدق العاطفة، وجمال الطبيعة، وتحبيب القيم المعنوية والاعتزاز بالنفس وتخليد مظاهر البطولة

---

[1] الجزء الأول من ديوانه ص١١١.

وإبراز الخواطر والتأملات. فهي قد حررت الشاعر من ربقة العبودية وأبعدته عن التعلق والتكسب.

وكان العقاد يتناول الأغراض الشعرية المتنوعة، ولكنه كان يبدع في الوصف وفي إبراز عواطف الحب الكامنة في نفسه، وفي إبداء خواطره الفلسفية التي اقتبسها من تجاربه ومن ثقافته الواسعة التي روضت فكره على التعمق في البحث والإمعان في الملاحظات.

فقد تحدث في شعره عن الإنسان وعن سر وجوده وعن عجزه وعن معرفة سر الكون الغامض وعن حاجته إلى الإيمان، كما عبر عن كثير من خوالجه وتأملاته وارتساماته التي كانت مرآة لآرائه في الحياة ومن ذلك قوله:

ما وجدنا من البرية إلا

خلقا زائفا وجهلا مبينا[1]

حشـرات لا تـعرف الخـــير والشـــ

ـر وفيــها الهـــلاك للعـــارفيـــنا

وقـــولـــه:

أنصـفت مظلـــوما فأنصـــف طالـــما

في ذلـة المظلـــوم عـــذر الظالـــم

من يرض عدوانـــا عليـــه يضـــيره

شـر مـن العـــادي عليـــه الغـــانم[2]

وقـــولـــه:

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها

تنام إذا طال الصياح على النهم

---

[1] عن الديوان. الجزء الأول صفحة ٢٦.

[2] عن ديوانه: وحي الأربعين.

وقـــهر الفـــتى آلامــه فيـه لـذة

وفى طاعة اللذات شيء من الألم[1]

والذى يتتبع شعر العقاد يجد فيـه طابع التبرم والشكـوى، ويظهر ذلك فـى جل الأغراض التى نظم فيها، ولقد كـان فيـه يحـاول أن يخفف بـالشعر عـن نفسـه مـن حين لآخر، لكنه لم يزده الورد إلا عطشا فهو الذى يقول[2]:

ظمآن ظمآن لا صــوب الغمـــام ولا

عذب المدام ولا الأنـــداء تـــروينى

حيران حيـــران لا نجـم السمـاء ولا

معـــالم الأرض فى الغمـــاء تهدينى

يقظان يقظـــان لا طيب الرقـــاد يدا

نينى ولا سمــــر السمـــار يلهينـــــى

غصـــان غصان لا الأوجـــاع تبلينى

ولا الكـــوآرث والأشجـــان تبكينـــى

شعرى دموعى وما بالشعر من عــوض

عن الدمـــوع نفاها جفـــن محـــزون

وهاته القصيدة تعد نفثة من نفثاته وعصارة حبة، ومرآة وضاءة لنفسـه الرقيقة الحزينة القلقة.

إنه ظمآن حيران يقظان، أنه غصان أسوان حزيـن، يستعمل الشعر للتخفيـف عن آلامه وأحزانه، ولكن الشعر لا يطفى أواره كما لا تطفئ الدموع أحزان المحبـين، إنه يعيش وحيدا فـى هذه الحياة لا يجد قلبا يسعده ولا خلا يأسوه، إنه يتمنـى أن تنتهى حياته وأن يمحوه الموت من الوجود لتفنى حسراته وأناته، وهكذا نجد العقـاد يصور خوالجه وفيها من ونات الأحزان مـا يسترق القلـوب ويستجلب المدامـع، ولعل

---

[1] عن الديوان: الأول ص٢٧.

[2] الجزء الثانى من ديوان العقاد ص١٩٤.

هذا القلق من الحياة هو الذى دفعه إلى الحذر منها وإلى التفكير فى مصير الطارئين عليها، إنها ما دامت حياة آلام وأحزان فلماذا يعمل من جديد على إيجاد أبنائه فيها. لهذا آثر حياة الوحدة. فهو من هذا الجانب شبيه بالمعرى الذى كان يقول:

وإذا أردتـــم بالبنـــين كرامـــــة

فالحزم أجمـع تركـهم فـى الأظـهر

وقد كتب العقاد قصيدة رائعة جعلـها حـوارا بين المعرى وابنه، الابن يريد يخرج إلى الوجـود وإن يستمتع بالحياة. فقد ضاق بالعدم وأحب أن يـرى مفـاتن الطبيعة وأن يستلذ بمحاسنها، إنه يتوق إلى رؤية الوجوه الحسان، ويود أن يرى الورد والأزهار والفلاة والبحار، ولكن الأب يشرح لابنه أسباب إعراضه، فيقول عن الحياة:

زغمـــوها إلـــى الخلـــود تـــؤدى

ما رأينـــا ســـوى فنـــــاء ولـحدا

فيـــه مـــــود على تـجاليد مودى

واعتصـــم بابنى ما استطعــــت منها

وكان العقاد جعل هاته القصيدة تعبيرا عما يحس به، لذلك قدمها بتعليق وجيز قال فيه عن المعرى: أنه والد رؤوف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم، فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه.

وكان العقاد يقصد من تشاؤمه أن يستغله لإثارة غريزة الخير فـى الإنسان فهو إذا صور الرذيلة فإنما يريد بذلك أن ينفر الإنسان منها، وإذا تضايق من معاملة البشر بعضهم لبعض فإنما يريد بذلك أن يخفف من سورة الظلم فى النفوس الطاغي عساها أن تشعر بالشر الذى ترتكبه فترق أخلاقها وتعمل المصلحة الإنسانية عامة، وقد حقق بعض الباحثين أن الأدب كلما كان هادفا إلى إصلاح المجتمعات فهو أدب إيجابى ثورى، وإن قدم فى صورة تشاؤمية.

وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر، وثار على الابتذال والعامية والسوقية ورأى الشعر فنا يجب أن ترتفع الأذواق إلى مستواه، لا أن ينزل هو إلى مستوى الناس، وكتب في "مجلة الهلال"[1] يقول:

ليس في وسع "المتحررين" أن يحاربوا الشعر القديم بتحريره كما يقولون من الوزن والقافية واللوازم الموسيقية، لأن أوزان الشعر أصيلة عميقة القرار في طبيعة الشعب كما نرى من أوزان الأزجال والمواويل وتراتيل الفرح والنواح في كل بيئة من بيئات الحضر والريف .. وبعض هؤلاء المتحررين يجهل معنى العروض فيقول إنه يزن الشعر بالتفعيلة وهي كلمة لا فرق بينها وبين ألوف الكلمات في الأوزان العروضية إذ ليس في اللغة كلمة تتجرد من أوزان التفاعيل بين فعل وفاعل وفعولن وفاعلانن ومستفعلن ومفاعيلن وغيرها من مركبات الفعل والاستفعال، وإنما يأتي الوزن من جمع التفعيلات معا ويختلف بين بحر وبحر باختلاف التركيب واختلاف حركات الحروف ومن قال إن التفعيلة هي "تصميم" البيت فهو كمن يقول إن الحجر الواحد هو "تصميم" المنزل أو الحجرة أو النافذة أو الباب، ولن يقوم بناء فوق وجه الأرض على مثل هذا التصميم.

وقد عجزت هذه الدعوات – قديما وحديثا – عن المساس بتراكيب الأغاني الشعبية التي يمكن أن يقال أنها تستغني بأنغام الآلات عن الأوزان العروضية، وعجزت عن المساس بتراكيب الزجل وهي مقياس للشعر الذي يمكن أن يشيع في اللغة العامية، فإذا عجز هذا الشعر المتحرر – كما يقولون – عن الشيوع في الكلام الدارج فهو أعجز عن الشيوع في اللغة الفصحى وهو على هذا أعجز من أن يتهم بالتأثير في هبوط للشعر الحديث.

ولسنا نبرئ الأسباب الأخرى جميعا، من هذا التأثير إلا لأننا نستبعد أن نجرد الطبيعة الإنسانية من حاسة الشعر في فترة من الزمن، لأن التجرد من هذه الحاسة هو بعبارة أخرى مرادف للتجرد من بواعث الحياة .. وقد تقوى هذه البواعث أو تضعف،

---

[1] عدد فبراير سنة ١٩٦٢.

قد تصح أو تفسد، وقد تحسن أو تقبح، ولكنها لا تموت كل الموت في وقت من الأوقات.

وقد خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات في الأدب والنقد والدفاع عن الإسلام، وتحليل عبقرياته، وكتابه "ابن الرومي" مشهور، ومن أوائل كتبه مراجعات ومطالعات، وسواها.

العقاد وعمود الشعر

- ١ -

أدى العقاد للشعر والأدب والفكر أغلى ما يؤديه مفكر للمعرفة الإنسانية.

وعمود الشعر فى عرف الشعراء والنقاد القدماء، وفى مقدمتهم البحترى (-٢٨٤هـ) شيخ الشعراء فى القرن الثالث، والآمدى (-٣٧٣هـ) شيخ النقاد فى القرن الرابع - هو جميع الأصول والتقاليد الفنية الموروثة الملتزمة فى القصيدة، التى يجب على الشاعر الحرص عليها، وعدم الخروج عنها، ومن ثم قال البحترى مقولته المشهورة، وقد سئل عن نفسه وعن أبى تمام (-٢٣١هـ) "كان أغوص على المعانى منى، وأنا أقوم بعمود الشعر"

وكان ابن الأثير صاحب كتاب "المثل السائر" يقول: أبو تمام والمتنبى حكيمان والشاعر البحترى.

وكان الشعراء الذين خرجوا على عمود الشعر فى القديم موضع نقد شديد من النقاد. وانبرى للدفاع عنهم فريق من النقاد؛ كالآمدى فى دفاعه عن البحترى فى كتابه "الموازنة"، وكالقاضى الجرجانى (-٣٩٢هـ) صاحب كتاب "الوساطة" فى دفاعه عن المتنبى (-٣٥٤هـ)

فما هو رأى العقاد فى عمود الشعر؟:

- ٢ -

قد يظن البعض أن عباس محمود العقاد (-١٩٦٤) قد طرح عمود الشعر طرحا، حينما نقد الشعر الجاهلى فى كتابه "مراجعات"، وحينما أصدر هو وإبراهيم عبد القادر المازنى كتاب "الديوان" الذى أكد فيه أن الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر وذاته وصادرا عن نفسه وطبعه، وأن الدعوة إلى وحدة القصيدة، وإلى التجربة الشعرية، وإلى كل قيم القصيدة الفنية المعروفة، عند النقاد المحدثين

فى الغرب، أمر للازم؛ وحينما نقد شوقيا وحافظا نقدا لاذعا. وقالا: أن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة:

- **أولها:** أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى لغة من اللغات.
- **وثانيها:** أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية.
- **وثالثها:** أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه، فالشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع وليس بشخصية أدبية.

لقد طبق النقاد هذه المقاييس الثلاثة على أمير الشعراء أحمد شوقى (١٨٦٩ - ١٩٣٢)، وقال عنه: إن أحمد شوقى ليس بشاعر على أي مقياس من تلك المقاييس؛ ووازن بينه وبين حافظ إبراهيم (١٨٧٢ - ١٩٣٢)، فرأى أن حافظا أشعر ولكن (شوقى) أقدر.

وقد حارب العقاد التقليد والقلدين وشعر المناسبات؛ ودعا إلى الجانب الذاتى الغنائى وحرص على نظرية "الوجدان الشعرى" حرصا تاما؛ وصار المضمون عنده لابد أن يتخذ فى القصيدة الطابع الوجدانى، وأصبحت شخصية الشاعر عنده هى كل شىء، فالشعر إذا أشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذى يجب الاحتفاء به.

بل إن العقاد نافح من أجل التحرر الفنى للقصيدة، وعن حرية الشاعر فى تعبيره عن ذاته تحررًا من أغلال الشكل والمضمون.

فهل كان ذلك يعنى أن العقاد قد حارب نظرية عمود الشعر القديمة.

فى رأيى أن ذلك لم يحدث، وأن هذا كله لا يعنى أن العقاد قد طرد "عمود الشعر"، ودعا إلى الخروج عليه.

بل أقول: إن العقاد قد صحح نظرية "عمود الشعر"، ونفى عنها ما لحق بها خلال العصور من قيود لا يصح للشاعر أن يلتزم بها، وعاد بالشعر إلى أصول النظرية فحسب، لا إلى فروعها المتشعبة التى لا تمس جوهر العمود الشعرى فى قليل ولا فى كثير.

إن أكثر الباحثين يعتقدون أن العقاد متناقض مع نفسه، وأنه نادى أولا بالخروج على العمود الشعرى ثم نادى أخيرا بالتزامه - وذلك هو الوهم الذى لا يصل إلى أعماق الموضوع، ولا يدخل فى صميمه.

العقاد - فى رأيى - ملتزم بعمود الشعر فى كل أطواره، لم يخرج عنه أبدا، والتحرر من القيود عنده هو التحرر من القيود التى لا ضرورة لها فى عمود الشعر، لا التحرر من القواعد الفنية الأصيلة جملة.

لقد أكد العقاد الدعوة إلى التجربة الشعرية والوحدة العضوية، ودعا إلى الالتزام بقيود الفن الشعرى الأصيلة، ونادى بأنه لا شعر بغير فن، ولا فن بغير قاعدة، وبأن الشعر تفاعل كامل بين اللفظ والمعنى؛ كما نادى الشعر اللازم لزوما يتم فيه المعنى واللفظ بالوزن والقافية، وهاجم الشعر الحر، واعتبره ضربا من النثر، وليس بشعر على الإطلاق إذ ينقصه الموسيقى والوزن والشعر وزن وموسيقى قبل كل شىء؛ وأكد أن سليقة الشعر العربى تنفر من إلغاء القافية كل النفور؛ وأبرز العقاد دور التجربة الشعرية المعبرة عن قيمة تراثية حقيقة.

لقد عاش العقاد مؤمنا بالعربية وبتراثها، وبالشعر العربى الأصيل الملتزم بالعمودية، والسائر على نهج العموديين من غير تقليد ولا احتذاء.

وكان العقاد من أكثر دعاة التجديد، ولكن التجديد عنده ينبع من قيم الشعر الفنية الأصيلة، ولا يخرج عن قيود الفن، لأن الفن فى ذاته - عند العقاد - قيد، ولا فن بغير قيود، فمن القيود ينبع الفن، ويستمد كل مقومات الجمال، والمثل الذائع يقول: لا يحيا الفن بدون قيود، فمن خلال القيود الفنية تظهر عبقرية الشاعر، وموهبته.

موقف العقاد من عمود الشعر هو التزام به، وتأكيد له، ودعوة إلى ضرورة الالتزام به.

والعقاد مفكر ملتزم التزام الإنسان بالصدق والحق والمسئولية، ولما سأله المحرر الأدبى لجريدة المساء فى الثالث من نوفمبر عام ١٩٦١ قائلا: إن الشعراء من الشباب يقولون عنك إنك تهاجمهم؛ رد عليه العقاد بقوله: إن الشعراء وشبابهم يعيشون فى عصرى أنا، عصر العقاد ..

وصدق فى مقولته .. أنهم يعيشون فى عصر العقاد حقا ..

إبراهيم عبد القادر المازني

(١٩ أغسطس ١٨٩٠ - ١٠ أغسطس ١٩٤٩)

فى المعلمين العليا اتصل المازنى بزميله الشاعر "عبد الرحمن شكرى" ووثقت الزمالة الصلة بينهما، واجتمعا ومعهما العقاد على حب الأدب الإنجليزى. وقرأوا للشعراء الإنجليز وخاصة مجموعة "الكنز الذهبى" التى اختارها وجمعها "بلجريف" أستاذ الشعر بإكسفورد، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعانى والصور الغربية، ويكتبون فى وحدة القصيدة، ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر فى العاطفة والإحساس، وفى التعبير كذلك، وإلى ظهور شخصيته الفنية، واستلهام الشاعر للطبيعة، وتناوله لشتى الموضوعات الإنسانية، ويحاربون التقليد والزيف والافتعال والتكلف وشعر المناسبات الطارئة.

وصدر الجزء الأول من ديوان شكرى عام ١٩٠٩، والديوان الأول للمازنى عام ١٩١٣، والأول للعقاد ١٩١٦، من حيث ظهر ديوان مطران عام ١٩٠٨، وديوان أنداء الفجر لأبى شادى عام ١٩٠٩.

وحدثت بين مدرسة شعراء الديوان ومدرسة شوقى وحافظ معارك نقدية ظهر فيها عام ١٩١٥ كتاب للمازنى فى نقد شعر حافظ، عنوانه "شعر حافظ". وأعلن شكرى بعد ذلك انفصاله عن زميليه، وثارت الخصومة بين ثلاثتهم، وأخذ شكرى يعيب على المازنى انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية، مما دون فى "الكنز الذهبى" مما أحفظ صدر المازنى عليه.

وفى عام ١٩٢١ أصدر المازنى والعقاد كتاب "الديوان" فى جزءين ينقدان فيه أحمد شوقى وحافظ إبراهيم، ونقد المازنى فيه المنفلوطى، كما نقد شكرى بعد أن مدحه فى مقدمة كتاب "شعر حافظ".

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه. والشعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية، وعند مطران النزعة الموضوعية - وأساس الحكم بموهبة شاعر عند شعراء مدرسة الديوان هو ظهور شخصية الشاعر في شعره وصدقه في الإحساس والتعبير.

وشكري في الحقيقة هو الذي ألهب إحساس المازني الفني ودله على مناحي التجديد.

وقد بدأ المازني حياته الأدبية شاعرا يتأثر بالشعراء الانجليز وبالشعراء العرب وبخاصة ابن الرومي والمتنبي والشريف ومهيار.

ويأخذ المازني على شعراء المدرسة المحافظة تفكك الوحدة الموضوعية والعضوية في قصائدهم، وإسرافهم في شعر المناسبات وتقليدهم للقدماء، ويصور ذلك في مقدمة كتابه "شعر حافظ" الصادر عام ١٩١٥، ونقد فيه حافظا. ويدعو إلى رومانسية الموضوع ورمزية التعبير الشعري، وإلى الصدق في الإحساس والأداء في كتابة "الشعر غاياته ووسائطه" صادر عام ١٩١٥ أيضًا.

وللمازني من القصص الكثير، وله في فن المقالة الكثير أيضًا، وهو من طليعة الكتاب المحدثين، وأجاد المازني في أدب الترجمة إجادة كبيرة.

الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم

- ١ -

د. عبد اللطيف عبد الحليم من الرموز الشهيرة فى شعرنا المعاصر، بشاعريته المبدعة، ودواوينه الشعرية المتألقة؛ إلى دراساته النقدية عن شعرنا المعاصر. ومذاهبه، ومدارسه، وفى مقدمتها مدرسة الديوان، التى تحتل فى الشعر المصرى بل والعربى كله منزلة الريادة والبعث والتجديد ..

شاعرنا الكبير شاعر ملتزم، يؤمن برسالة الشعر والشاعر، وبحريته الفنية والفكرية، وبأن الشاعر لا يصح له أن يزيف المقاييس، ولا أن يرائى الحياة من حوله. ولا أن يسبح مع التيار الجارف، ولا أن يقيم الموازين على دعائم الظلام والغوغائية والأساطير المنسوجة من الأوهام.

ويمثل شعره نمطا جديدا من التجديد، يقوم على التراث والتأثير الأندلسى والمعاصرة جميعا. إلى الموهبة والمقدرة اللغوية الفائقة والموسيقى الشعرية الرنانة، والرمزية المغلفة بعباءة الرومانسية؛ مع الالتزام بوحدة القصيدة العضوية، والتصرف فى الخيال والصورة الشعرية التى تكسوها الرمزية برداء رقيق.

وللديوان، ولمدرسة الديوان مذهبا وشعراء، تأثيرهم العميق فى شخصية الشاعر ومنهجه وإبداعه الشعرى، بل وفى فكره بواحة.

والمدرسة - الديوان - تدعو إلى الابتعاد عن التقليد فى تصوير العواطف، وإلى توليد المعانى من أحداث الحياة، وإبراز الخواطر والتأملات.

ومن حيث كان مطران ينادى بالشعر الموضوعى والجانب الوجدانى فى الوصف، كانت الديوان تدعو إلى الجانب الذاتى أو الغنائى. أو قل الوجدانى. وإلى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته وأن يبعد عن المناسبات الطارئة، وعن الزيف فى حقائق الشعور والتجربة، والشاعر يستمد موضوعه من الحب

والألم ومن الطبيعة والكون والوجود والحياة. وعندما يقول ورد زورث إن الشعر انفعال يسترجعه الشاعر فى هدوء، يعود شعراء الديوان به إلى مصدره الأول وهو العاطفة والوجدان. وكان شكرى كما يقول العقاد من أوائل من دعوا إلى وحدة القصيدة، ومن جددوا فى موسيقى الشعر، ونظموا القصة الشعرية العاطفية وأبدعوا فى شتى فنون الشعر الوجدانى الغنائى؛ ونعرف إبداع العقاد فى الحب وفى الوصف، وفى الحديث عن الإنسان والكون وعن التأملات العميقة فى نفسه.

كل أفكار شعراء الديوان كانت منهجا واضحا سار عليه الشعراء الذين ساروا فى مواكب المدرسة الزاخرة بالحياة، وتتميز شاعرية الدكتور الكبير عبد اللطيف عبد الحليم من بينهم بالأصالة والتجديد ووضوح الشخصية ومواءمة روح العصر، ويعد مؤرخا لأجيال مدرسة الديوان من الشعراء.

- ٢ -

يقول شاعرنا فيما يقول من قصيدته "القوس" التى أهداها إلى الشاعر (أ - ع - حجازى) ينعى إلى الشاعر (الجديد) القصيدة العمودية التراثية الأصيلة ذات الموسيقى الراقصة، والغناء المرجَّع والأنغام الطليقة:

وهل يغمّ الصواب، يجرفنا
النثر تصير الأنغام معتقلة
وهل تطيش الهداة، ضلٌ لهم
وزن، وتهدى خطاهم الجهلة
وهل يغيب الغناء يخنق فى
الشاعر نبضا مرجَّعا غزله
وأن يقول الأخلاف كان هنا
جيل تبكّى بلا أسى طلله

وفى مطالع هذه القصيدة يعلن الشاعر - فى قوة - التزام بالتراث الشعرى فيقول:

أنا حفيد (الشماخ) أهدانى

القوس، وروحى بالقوس متصلة

تحدرت فى القرون نبعتها

وامتزجت بالأصلاب منتقلة

أعرف وجهى بها، وتعرفه

مشتملا بالهوى، ومشتملة

أعرف وجهى بها، ووجهك فى

أفيائها غير ناكر نُزله

ويثور بالشاعر التزامه بالعمودية، فيعلن سخطه على ما حوله من مظاهر ومشاهد وقراء يغلفها الرياء، فيقول فى قصيدة له أهداها إلى "صديقه" د. أحمد درويش:

لم أخُن الحرف فى طهارته

ولا مشيتُ الضَّرَّاء والخَمَرا

ويقول فى قصيدته .. رسالة إلى "أبى حيان التوحيدى"

يا صاحبى التوحيدىَ أسألك

الغفران، ضاقت بذنبنا الحيل

أخَنتْ علينا الفروق، واستنسر

البغاث فينا، واستنوق الجمل

إلى أن يقول:

معذرة صاحبى إذا جمحت

بى الأمانى، وشدَّنى العذَلُ

عصرك كابٍ، وأنت مغترب

والوزراء الخصيان قد وصلوا

يا صاحبى التوحيدىَ، عصرك قد

نعيشه، والظلال تنتقلُ

نحرق فيه الطروس، تحرقنا

وليتنا بالطروس نشتعل

وقصيدته (المتنبى فى ديوان كافور) يختمها ببيته اللاذع:

أنا هنا فى الديوان بين يدى

جاهك أنضو الإباء مكسورا

ولزوميات أبى العلاء فى شعر الشاعر، وأحزان أبى فراس، وثورات عصر المماليك، كلها صور موحية، تنثر عطرها فى فكر الشاعر وإبداعاته، وتعطينا صورة واضحة لشاعر ملتزم مؤمن بالشعر وبأصالته وعموديته وروحه النابضة بالحياة، وبالتجارب الشعرية العميقة، وبالعاطفة المشتعلة الصادقة

- ٣ -

ويستوحى الشاعر أناشيده الجميلة فى ديوانه "زهرة النار" من الطبيعة حينا، ومن التراث العربى، وبخاصة التراث الأندلسى وحينا آخر، مما نلمسه فى شعره فى قصائد كثيرة له، من مثل قصائده: العودة إلى القرية - حكاية من القرية - ضوء القمر فى المقابر - البدر فى الصحراء - كلمات إلى القمر - أغنية إلى نجمة السماء، وهى قصائد يبلغ فيها الشاعر الذروة.

وصورة الأندلس كبيرة وواضحة فى شعره مما نقرؤه فى مثل قصائده: من المعتمد بن عباد إلى ملوك الطوائف - عينان من غرناطة، وغيرهما .. فى قصيدته عن المعتمد أسير أغمات، يقول الشاعر متحدثا فى أسى وحزن عميق إلى ملوك الطوائف:

جرحى دامٍ وما بنا أمل

والروم من حولنا هم الأمل

وكلنا قادر ومعتمد

أسودنا لا يهابها الحمل

تبرأ منا ربوع أندلس

جزبتها للأدفونش تحتمل

أغمات هذه المأساة أحملها

وفى غد الملهاة تكتمل

أندلسى يا ضياع أندلسى

حسبك منا الكلام لا العمل

إن الشاعر هنا يلذع وجدانه شعور عميق بالاغتراب حيث يفتقد الشاعر حريته وحرية التجربة الشعرية، وحرية الفكر الشعرى التى يخلو قاموس العصر الشعرى اليوم من ظلالها، وحيث النور يغلفه الظلام، والأمل تدب فيه أحزان المساء، وحيث الغناء تذهب بفرحته أشجان النفس والحياة.

– ٤ –

شاعرنا الكبير نبض قلب العصر، وصوت لسانه الصادق الملتزم، وصورة للمؤمن فى محرابه، وللصوفى العابد فى الوادى المقدس. ولا نحدثك عن قصة الاغتراب الطويلة فى شعره فقصائده ودواوينه تعرِّف به، وتنطق بصوته، وترتل أناشيده فى محاريب الحقيقة المضيئة، ولقد تكلمت عن الاغتراب فى شعر الشاعر فى مقال طويل سابق.

ونجد هنا الاغتراب واضحا فى دواوينه:

– أغانى العاشق الأندلسى.

– هدير الصمت.

– الخوف من المطر.

– مقام المنسرح.

أما ديوان "زهرة النار" فتحمّله الحياة أحزانها وآلامها، بجانب ما تجده فيه من عذوبة الشعر، وجمال الصورة، وحلاوة الموسيقى، وغرابة الخيال. وعمق التجربة. تقرأ فيه صورة المتنبى فى ثورته، وحكمة أبى العلاء فى صوفيته، ومأساة التوحيدى فى غربته، وأحزان أبى فراس فى محنته.

إن شعر الديوان – أو الدواوين الثلاثة التى يتضمنها –. يحمل طابع الرومانسية والالتزام معا، واستطاع أن يجمع قضايا الأصالة والمعاصرة، وقضايا الشكل

والمضمون جميعا، إلى جانب التراثية المؤمنة بروح العصر، وبالتجديد المستمر في بناء القصيدة.

الشاعر في شعره يمثل روح التراثية في استقلال شخصية، ووضوح ذات، ولكنه لا يقف موقف المعارضة التي كثيرا ما يطيح معها فكر الشاعر وتجربته والمضمون الذي يريد أن يحدث به القارئ والسامع: ومقدرة الشاعر اللغوية والبيانية الفائقة، وفكره المتوثب المجدد تنأى به كثيرا عن المعارضة، ومن هنا يتضح الفرق بين شعراء المعارضات الناسجين على منوال شعري مألوف وشعراء الوجدان الذين يدعون إلى مشاركتهم أحزانهم وأفراحهم.

ومع رمزية الشاعر في العديد من قصائده التي تجد من الخيال والصور والمعاني والأفكار ما تريده، نجده يمنح العمل الشعري كل طاقاته الفنية، ويثريه بإضافات فنية ذات قيمه بعيدا عن الاغراب والطلسمات، حيث يمسك الشاعر بزمام الصورة حتى لا تغلبه، وتهوى به إلى الابهام والغموض.

وكشأن شعراء مدرسة الديوان يسير الشاعر في قصائده مرجحا جانب الفكرة والموضوع، ملتزما الوحدة العضوية، مستوحيا الطبيعة والكون والحياة في شعره.

ديوان "زهرة النار" الذي صدر بعد عدة دواوين حملت إبداعات شاعر كبير متمكن ومتميز من بين شعرائنا المعاصرين؛ وجمع فيه الشاعر دواوين ثلاثة:

- الخوف من المطر.
- مقام المنسرح
- زهرة النار.

الديوان الأول ضمّ سبعا وعشرين قصيدة من بحور شعرية مختلفة: السريع والمنسرح والمديد والطويل والرمل ومجزوئه، والخفيف ومجزوئه ومخلع البسيط، ومجزوء كل من الكامل والرجز.

والديوان الثاني "مقام المنسرح" يضم خمسة عشر قصيدة. كلها من بحر المنسرح.

والديوان الثالث "زهرة النار" يضم أيضًا خمسة عشر قصيدة من السريع والمنسرح والمديد والخفيف ومخلع البسيط.

والدواوين الثلاثة كلها إلهام شاعر مبدع، وهي دليل عبقرية وشموخ فني ملتزم، تمثله تجربته الشعرية العميقة في بيتيه الجميلين:

قَدْكَ، عذاب الحروف نعرفه

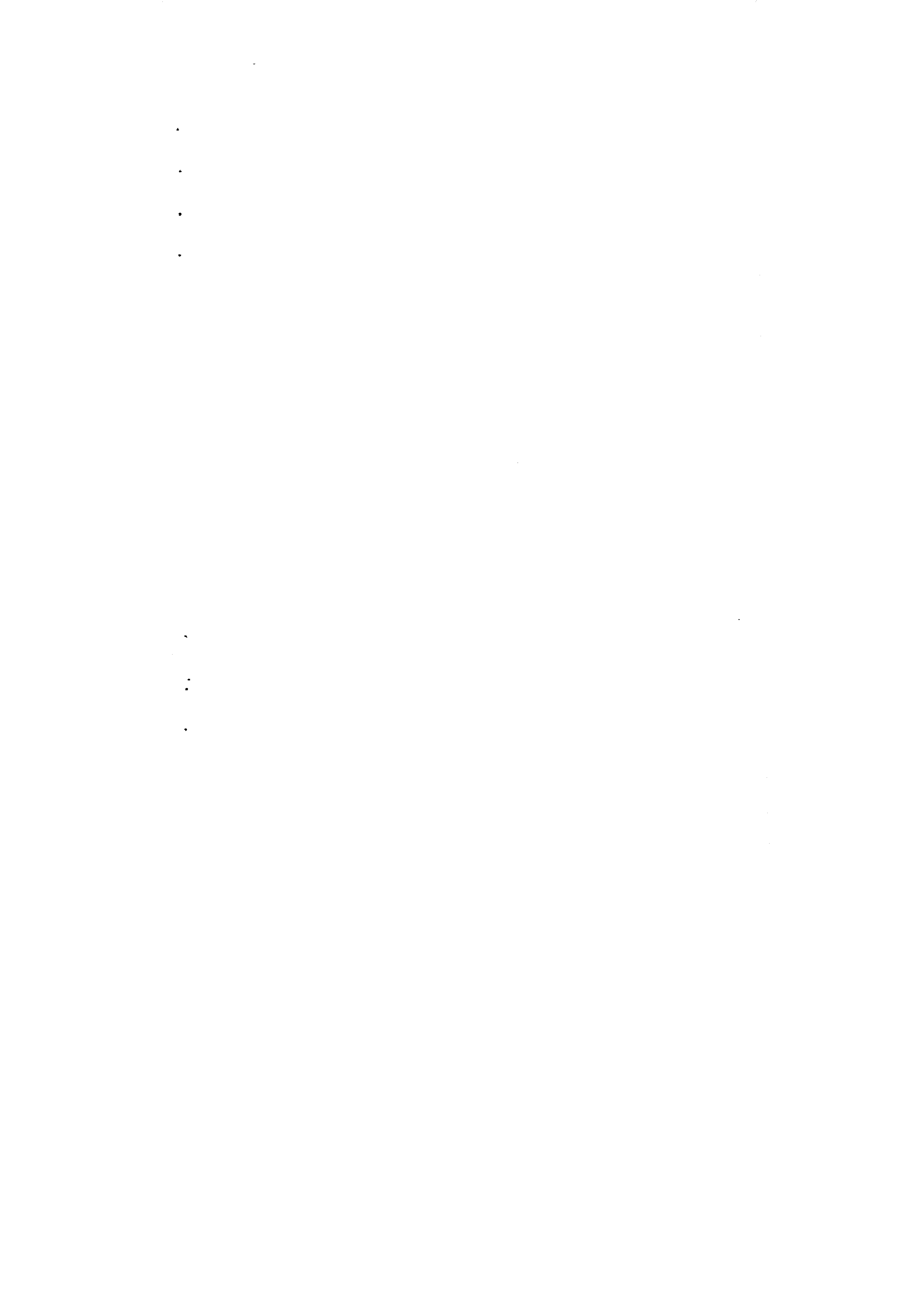
ونرتوى من جراحه الهطِلة

نبيت للحرف بالوصيد، ولا

نلقاه إلا والنار مشتعلة.

الفصــل الثالــث

مدرسة أبولو الشعرية



مدرسة أبوللو الشعرية

أسس أبو شادى جماعة أبوللو الشعرية ولقد حدث فى سبتمبر عام ١٩٣٢ أن أعلن الشاعر المصرى الدكتور أحمد زكى أبو شادى (١٨٩٢ - ١٩٥٥) فى القاهرة ميلاد هيئة أدبية جديدة سماها "جماعة أبوللو" وجعل مركزها القاهرة. وتجمع طائفة من أعلام الأدباء والشعراء والنقاد، ومعهم جماعات "من أدباء الشباب" ومن بين هؤلاء وهؤلاء: أحمد محرم (١٨٧٧ - ١٩٤٥).. وإبراهيم ناجى (١٨٩٨ - ١٩٥٣) وعلى محمود طه (١٩٤٩) وكامل كيلانى (١٩٥٩) وأحمد ضيف. وعلى العنانى. وأحمد الشايب، ومحمود أبو الوفا، وحسن كامل الصيرفى. وغيرهم. وتولى أبو شادى أمانة سر هذه الهيئة الأدبية بصفة دائمة، واختير أمير الشعراء أحمد شوقى (١٨٦٨ - ١٩٣٢) رئيسا لها.

وفى يوم الإثنين العاشر من أكتوبر عام ١٩٣٢ عقدت الجلسة الأولى لها برياسة شوقى فى داره، دار كرمة ابن هانئ بالجيزة، لوضع الأسس العامة لنظامها الإدارى، والأدبى، ولم يعش شوقى بعد ذلك إلا أياما معدودات، ففى فجر يوم الجمعة الرابع عشر من أكتوبر ١٩٣٢ استأثرت به رحمة الله، وضج الشرق العربى لمنعاه. وبعد أسبوع كامل من الحداد والحزن اجتمع الأعضاء فى يوم السبت الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٣٢ فى مقر رابطة الأدب الجديد بالقاهرة واختاروا الشاعر خليل مطران (١٨٧٢ - ٣٠يونيو ١٩٤٩) رئيسا للهيئة.

وكانت أغراض الجماعة كما أعلنت منذ ميلادها هى ما يلى:

أ - السمو بالشعر العربى، وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا.

ب- مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر.

جـ - ترقية مستوى الشعراء ماديا وأدبياواجتماعيا. والدفاع عن كرامتهم.

وكانت عضوية الجماعة مفتوحة فى مصر وجميع الأقطار العربية للشعراء خاصة والأدباء ومحبى الأدب عامة. ممن يهمهم تقدم أغراض الجمعية.

ومنذ ميلاد هذه الهيئة الأدبية صدرت مجلة تحمل اسمها، وتنشر أدبها، وتذيع أفكارها، وهى مجلة "أبوللو" وهى أول مجلة خصصت للشعر ونقده فى العالم العربى . وفى افتتاحية العدد الأول من أعدادها كتب أبو شادى يقول: "نظرا للمنزلة الخاصة التى يحتلها الشعر بين فنون الأدب، ولما أصابه وأصاب رجاله من سوء الحال، بينما الشعر من أجل مظاهر الفن، وفى تدهوره إساءة للروح القومية. لم نتردد فى أن نخصه بهذه المجلة، التى هى الأولى من نوعها فى العالم العربى، كما لم نتوان فى تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هى جمعية أبولو، حبا فى إحلاله مكانته السابقة الرفيعة، وتحقيقا للتآخى والتعاون بين الشعراء، ثم يقول فى ختام كلمته: "وكما كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغنى بأبولو الشمس والشعر والموسيقى، فنحن نتغنى فى حمى هذه الذكريات، التى أصبحت عالمية، بكل ما يسمو بجمال الشعر العربى، وبنفوس شعرائه". وفى صدر العدد الأول نفسه قصيدة لشوقى حيا بها ميلاد هذه الجماعة ومجلتها وجاء فيها:

أبولـــو!! مرحبـــا بـــك يـــا أبولـــو	فـــإنك مـــن عكـــاظ الشعـــر ظـــل
عكـــاظ، وأنـــت البلغـــاء ســـوق	علـــى جنباتـــها رحلـــوا وحلـــوا
عســـى تأتيننـــا بمعلقـــات	نـــروح علـــى القديـــم بـــها نـــدل
لعـــل مواهـــبا خفيـــت وضـــاعت	تـــذاع علـــى يديـــك وتستـــغل

ولم تلبث هذه الجماعة ومجلتها أن أحدثت دويا فى الأدب والنقد والشعر فى مصر وسائر أنحاء العالم العربى، وانضم إليها - ما بين عضو ومؤازر - الكثير من الأدباء والشعراء والنقاد من مثل: مصطفى عبد اللطيف السحرتى، وصالح جودت وعبد العزيز عتيق، ومختار الوكيل، وسواهم. وأفسحت المجلة صدرها للأدب والنقد والشعر، فكانت تنشر لشوقى ومطران ومحرم والعقاد والرافعى (١٩٣٧)، ولإبراهيم ناجى (١٩٥٣) وزكى مبارك (١٩٥٢) وعلى محمود طه (١٩٤٩) والسيد حسن القاياتى. ومحمد الأسمر (١٩٠٠ - ١٩٥٦)، ومحمود غنيم، وعبد الحميد الديب (١٨٩٩ -

١٩٤٣) ومحمود عماد ومحمد مصطفى الماحى وعتمان حلمى، ومحمد الهياوى وفخرى أبو السعود، وخليل شيبوب، وسيد قطب، والعوضى الوكيل وعامر بحيرى. وبشر فارس، وطاهر الطناحى، ومحمد صادق عنبر، ومحمد فريد عين شوكة، ومحمد عبد المعطى الهمشرى (١٤ ديسمبر ١٩٣٨)، وسواهم ..

كما كانت تنشر لشعراء البلاد العربية والمهجر، ومن بينهم: أبو القاسم الشابى (١٩٠٩ - ١٩٣٤)، وإيليا أبو ماضى، وإلياس أبو شوكة، وشفيق المعلوف، ورياض المعلوف، والجواهرى، والتيجانى بشير (١٩١٢ - ١٩٣٧) وسواهم.

ومن ثم صار شعراء أبولو، ممن كانوا أعضاء فى جمعيتها يكونون مع رائدهم أبى شادى مدرسة متميزة فى الشعر المعاصر، لها خصائصها وآراؤها. وقد أطلق أبو شادى عليها هذا الاسم، مدرسة أبولو"، ففى صدر عدد أبريل ١٩٣٣ يقول: "إن مدرسة أبولو مدرسة تعاون وإنصاف وإصلاح وتجديد". ولما كتب بعض الأدباء يتساءلون عن السر فى اختيار اسم إغريقى لهذه الجماعة ولمجلتها رد عليهم أبو شادى فى عدد فبراير ١٩٣٣ - يعلل سر اختيار هذا الاسم بأنه الرغبة فى أن تحمل اسما فنيا عالميا يلائم صيغتها.

أصدرت الجماعة - فضلا عن المجلة - الكثير من كتب ودواوين أعضائها، ومن مثل ديوان الينبوع، وأطياف الربيع، والشعلة، وفوق العباب، وأشعة وظلال وكلها لأبى شادى ومثل ديوان وراء الغمام لناجى، والألحان الضائعة للصيرفى. وديوان عتيق، وديوان مختار الوكيل، وأصدرت كذلك كتيبا له عنوان "رواد الشعر فى مصر"، ونشرت دراسات أدبية أصيلة من مثل "أدب الطبيعة" للسحرتى. وأعلن أبو شادى فى عدد يناير عام ١٩٣٤ من أعداد مجلته "أبولو" قرب ظهور ديوان الشابى "أغانى الحياة" إلا أن مرض الشابى ووفاته بعد ذلك فى التاسع من أكتوبر عام ١٩٣٤ حالا دون ظهوره آنذاك.

وأصدرت المجلة بعض الأعداد الخاصة القيمة فى ذكرى شوقى وحافظ، كما صدر من مجلة الإمام التى أخرجها أبو شادى بعد ذلك عدد خاص عن الشابى وذلك عام ١٩٣٦ .. واستمر صدور مجلة "أبولو" حتى عام ١٩٣٥. حيث نقل

أبو شادى من القاهرة إلى الإسكندرية، وطلب إليه أن يقلل من نشاطه الأدبى. فتوقفت المجلة عن الظهور وإن كان قد أصدر عوضا عنها مجلتى: "أدبى" و"الإمام" وظلت جماعة أبولو باقية، وإن كان نشاطها الأدبى قد فتر، إلا أن الامتدادات الفكرية والأدبية للجماعة بقيت مستمرة حتى اليوم، وأحدثت آراؤها دويا فى الأدب والشعر والنقد.

الدكتور أحمد زكى أبو شادى
رائد مدرسة أبوللو

أبو شادى فصل فى كتاب الشعر الحديث .. فقد ولد عام ١٨٩٢ من أبوين كريمين، وحصل على الشهادة الثانوية من المدرسة التوفيقية بشبرا عام ١٩١٢، وسافر إلى لندن ليدرس الطب فى جامعته، حيث قضى فيها عشر سنوات ..

ثم عاد إلى القاهرة عاد ١٩٢٢ ليعمل فى وزارة الصحة المصرية طبيبا فى مستشفياتها، وتنقلت به الوظيفة من القاهرة إلى السويس إلى الإسكندرية سنين طوالا .. ثم عمل عميدا لكلية الطب فى جامعة الإسكندرية بعد إنشائها عام ١٩٤٢، وظل فى هذا المنصب أربع سنوات، توفيت فى نهايتها زوجته الإنجليزية، حيث عزم على الهجرة إلى الولايات المتحدة ليعمل قريبا من هيئة الأمم المتحدة مستشارا لبعض الوفود العربية.

وقبيل هجرته بأربع عشرة سنة أسس جماعة أبولو للشعر، كما أنشأ مجلة أبوللو أيضًا، وصارت هذه المدرسة أعظم إنجاز أدبى قام به شاعر فى العصر الحديث، حيث ضمت صفوة الشعراء فى مصر والعالم العربى، وحيث تخرج منها أعلام الشعر فى نصف القرن الذى تلا تأسيسها.

وعاش الشاعر فى نيويورك بعد هجرته ست سنوات (١٩٤٦ - ١٩٥٢)، ثم استقر فى واشنطون أخيرا ..

انتقل الشاعر من نيويورك إلى واشنطون لارتباطه مع إذاعة صوت أمريكا بالعمل فيها وذلك فى أواخر عام ١٩٥٢ وكتب فى فترة هجرته ديوانه "من السماء" وعدة دواوين شعرية أخرى هى:

(الإنسان الجديد - النيروز الحر - أناشيد الحياة - إيزيس) وقد طبع الديوانان الأولان بعد وفاته لسنين طوال ..

ثم أهلكه المرض والدأب على العمل، والحزن العميق لفراق وطنه ففاضت روحه فى ١٢ أبريل ١٩٥٥م ودفن فيها، ورثاه الشعراء والنقاد والأدباء وأصدقاؤه وتلاميذه بقصائد كثيرة.

(٢)

ويقول الشاعر عن نفسه ملخصا مبادئه وأفكاره[١] :

١- كان مقدمة خدمتي بالتأليف العلمي - إلى جانب التطبيق والعمل، الاقتصاد الزراعى فى النحالة والدجانة والصناعات الزراعية، علاوة على طب المعمل والبكتريولوجيا لأنى رأيت فى ذلك خدمة لمقومات هامة للأمة هى اقتصادنا العام وزراعتنا وصحتنا.

٢- خدمة أدب المقال بتأليفي النثرية المنوعة، وأدب الترجمة الرفيعة بأمثال ترجمتي لـ "العاصفة" لشكسبير و"رباعيات حافظ الشيرازى" و"رباعيات عمر الخيام" نظرا لإيماني بأن اللغة هى من أهم مقوماتنا وأن محبتها لا تتجلى إلا فى خدمتها فى جميع أبواب الأدب والعلم. ومن هذا القبيل بوادر بحوثي اللغوية التى أذاعها صوت أمريكا، والمصطلحات العلمية والأدبية الكثيرة التى صغتها خدمة للتحرر الفكرى والاجتماعى بأمثال محاضراتى ورسائلى المعروفة "مذهبى" و"عظمة الإسلام" و"عقيدة الألوهية" و"لماذا أنا مؤمن" والمال فى الإسلام" و"رسالة محمد".

٤- خدمة النقد الأدبى بدراساتي المتعددة التي امتحنت فيها نفسى أشد امتحان، فلم أخسر احترام نفسى لنفسى، وأنشدت مع أستاذى مطران وسط آلامى وتضحياتي.

وما خفت فى آن عتـابا وأن قسا
به الناس، لكنى أخاف عتابى
فما أنا من فى كل يوم له هوى
ولا كل يوم لى جديد صواب

---

[١] المقتطف عدد يونيو ١٩٥١ ص٥٢، ٥٣.

٥- خدمة فن الشعر الذى كان وما يزال أهم فنون العربية وخدمة رجاله، وتحرير الشباب الشعراء والأدباء من سيطرة الحكام والأحزاب السياسية ومن روح الاحتكار والاقطاعية التى أراد أن يفرضها الكبار عليهم إلى الأبد، كما فرضها أمثالهم فى ميادين الاقتصاد حتى ما تزال ملكية الأراضى فى مصر كما كانت عليها منذ قرون عدة قبل الميلاد.

٦- جعلى السلوك الشخصى التطبيقى معيار الإخلاص للمبادئ، وإرضاخ جميع المبادئ للاعتبار الإنسانى، أى لاعتبار الإنسان الهدف الاسمى للحياة الذى تلمسه ونفهمه، وهذا معناه رفض المساومة فى المثل العليا ..

(٣)

ولقد نشر وألف عن أبى شادى وشعره دراسات كثيرة متعددة باللغة العربية بأقلام: سلامة موسى، وإبراهيم المصرى، وإبراهيم ناجى، وأحمد الشايب، ومحمد عبد الغفور، وحسن كامل الصيرفى، وعبد العزيز عتيق، ومصطفى عبد اللطيف السحرتى، ومحمد سعيد إبراهيم، ومحمد صبحى، وعلى محمد البحراوى، وعبد القادر عاشور، ومحمد لطفى جمعة، ووديع فلسطين، ورضوان إبراهيم مصطفى، ومحمد رضوان أحمد، وجميلة العلايلى، ومحمد على حماد، وخليل مطران، ومحمد صادق عنبر، ومختار الوكيل، ومحمود حسن إسماعيل، وعبد العزيز عبد الحق، ومحمد مبروك نافع، ومصطفى جواد، وعبد العزيز البشرى، وعبد الحميد سالم، وعبد الفتاح فرحات، وعبد الحميد فؤاد .. وغير هؤلاء .. وبعض هذه الدراسات نشرت دواوينه المختلفة. هذا كله عدا ما كتب عن أبى شادى من الدراسات باللغة الأمريكية واللغات الأوربية.

ومما كتب عن الدكتور أيضًا كتاب "رائد الشعر الحديث" للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وقد نشر مؤلفه عدة بحوث ودراسات عن أبى شادى فى مجلة المقتطف ومجلة الأديب البيروتية ومجلة الأهداف وسواها ومما كتب عن ذلك:-

١ - كتاب بعنوان "أبى شادى فى الميزان" وقد نشر فى القاهرة عام ١٩٣٢ بقلم محمد عبد الغفور.

٢- بحث قيم للشاعر أحمد محرم عنوانه "أبو شادى" شعره فى ديوان الشعلة فى ٦٤ صفحة.

٣- أبو شادى الشاعر .. وهو كتاب باللغة الإنجليزية الدكتور اسماعيل أحمد أدهم، ودرس فيه شخصية أبى شادى الأدبية دراسة عميقة، وأدهم أديب ناقد ولد فى ١٩١١/٢/١٧ - بالإسكندرية وتوفى منتحرا بها فى ١٩٤٠/٧/٢٣.

٤- نظرات نقدية فى شعر أبى شادى. بقلم الأستاذ حسن صالح الجداوى.

٥- شعر الوجدان وهو مختارات رائعة من نظم الشعر، وقد طبع بالقاهرة بمطبعة السلفية عام ١٩٢٥، فى ١٢٠ صفحة من الحجم المتوسط. بقلم محمد صبحى، وفى صدره مقدمة للناشر، ثم دراسة لحياة الشاعر حتى عام ١٩٣٤ ثم عرض لأقوال الأدباء عن أبى شادى، ثم مقالة عنوانها "انتحال المعانى الشعرية" سبق أن نشرت فى مجلة المقتطف عدد مارس ١٩١٧ ثم كلمة بعنوان "الشعر" لأحمد محرم، ثم كلمة أخرى بعنوان "صدى الشاعرية" لحسن الجداوى، ثم بحث بعنوان "النقد الأدبى" بقلم سلامة موسى، ثم بحث بعنوان "الشعر والمطمع القومى لمحب الدين الخطيب"، وبحث آخر بعنوان "معنى الإلهام فى الأدبيات والحياة" للناقد الأستاذ عبد العزيز عبد الحق. ثم كلمحة بعنوان "شعر الوجدان" لمحمد صادق عنبر، ثم يلى هذا مختارات من شعر أبى شادى والكتاب قيم وله خطره فى معرفة أبى شادى فى طور شاعريته الأولى.

٦- وقد أخرج الدكتور مختار الوكيل كتابا عام ١٩٣٤ سماه "رواد الشعر الحديث فى مصر" وهم عنده "مطران وشكرى وأبو شادى والعقاد" وقد درس المؤلف هؤلاء الشعراء الأربعة دراسة نقدية خصبة.

٧- واخرج روكسن بن زائد العزيزى عنه كتابه "شاعرية الإنسانية" الذى نشرته رابطة الأدب الحديث.

٨- ومن الكلمات التى كتبت عن أبى شادى دراسة بعنوان "جولة فى شعر أبى شادى بقلم عبد الغنى محمود على، وهى منشورة فى مجلة أبوللو عدد ديسمبر ١٩٣٤ صفحة ٦٣٨ وما بعدها.

٩- بحث عن أبى شادى فى مجلة "لغة العرب" للمرحوم الكرملى عن سيرة الشاعر الأولى.

١٠- جماعة أبوللو الشعرية للدكتور عبد العزيز الدسوقى.

١١- أبو شادى - للدكتور كمال نشأت.

(٤)

ودواوين أبى شادى الشعرية كثيرة، وهى:

١- أنداء الفجر - أول ديوان للشاعر، وهو مختارات من نظمه فى سنة ١٩١٠، يحوى خمسين قصيدة ومقطوعة، تنظيم نحو خمسين وأربعمائة بيت. ظهرت الطبعة الأولى له عام ١٩١٠ وأعاد الشاعر طبعه عام ١٩٣٤ بمطبعة التعاون بالقاهرة .. وفى صدر الديوان تحية من حافظ إبراهيم للشاعر، ويلى ذلك تصدير نقدى بقلم محمد عبد الغفور. وفى الديوان صور تنم عن تلمذة أبى شادى فى الشعر على مطران الذى عده أبو شادى أستاذا له .. وفى آخر الديوان دراسة بقلم الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى عن شاعرية أبى شادى، الذى كان ديوانه هذا، نفحة من نفحات ثورته الفنية، وآية من آيات التجديد فى أغراض الشعر ومعانيه وأسلوبه[1] .

ثم يعقب هذه الدراسة بحث عن شخصية أبى شادى ومميزات شعره بقلم عبد العزيز عتيق، ويختم الديوان ببحث قيم بقلم أبى شادى نفسه عنوانه "مطران وأثره فى شعرى" والديوان فى نحو ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط.

٢- أنين ورنين وصور من شعر الشباب.

٣- مصريات وهو قصائد من شعر الوطنية.

---

[1] السحرتى فى دراسة عن شاعرية أبى شادى فى ذيل "أنداء الفجر" ص٨٧ المرجع نفسه.

٤- الشفق الباكى وهو ديوان ضخم جدا لم يظهر ما يشبهه من الآثار الشعرية فى مصر خلال تاريخنا الأدبى المعاصر - وقد ظهر عام ١٩٢٤ فى ١٣٣٤ صفحة من القطع الصغير.

٥- شعر الوجدان وهو مختارات من شعر أبى شادى.

٦- وطن الفراعنة وهو مجموعة من الشعر القومى.

٧- المنتخب من شعر أبى شادى - ١٢٤ صفحة.

٨- مختارات وحى العام من نظم أبى شادى فى ٨٠ صفحة من الحجم الكبير. وقد نشرت فى ديسمبر عام ١٩٢٨ بدار العصور بشارع الخليج المصرى بالظاهر بالقاهرة.

٩- ذكرى شكسبير - قصيدة شعرية.

١٠- ديوان الينبوع.

١١- ديوان الشعلة.

١٢- ديوان أشعة وظلال وقد نشر عام ١٩٣١ فى ١٤٤ صفحة من القطع الكبير وطبع بمطبعة الشباب وكان الشاعر يقيم آنذاك بضاحية المطرية.

١٣- الكائن الثانى وهو مجموعة الفلسفى.

١٤- فوق العباب وهو ديوان شعرى فى ١٤٠ صفحة، وقد ظهر فى يناير عام ١٩٣٥ وطبعته مطبعة التعاون بالقاهرة، ويحتوى ١٤٧ قصيدة تشمل ٢٢٤٨ بيتا وفيه كثير من الشعر الذى نظمه الدكتور عام ١٩٣٤، وكان يقيم بالمطرية، وفيه مقدمة له يدعو فيها الشاعر إلى الطلاقة الفنية والتأمل النفسى العميق الدقيق وسوى ذلك من دعواته التجديدية فى الشعر وفنه.

١٥- أطياف الربيع وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الديوان فى سبتمبر عام ١٩٣٣ .. ويحوى الديوان ١٥١ قصيدة ومقطوعة، تشمل ٢٠٨٤ بيتا وفى أوله تصدير لمطران، ثم إلمامة عن الشعر الحديث ومكانة أبى شادى فيه لإبراهيم ناجى، وفى آخره دراسة واسعة لأبى شادى وشعره بقلم الشاعر الأستاذ حسن كامل الصيرفى، ودراسة أخرى عن شاعريته بقلم إبراهيم المصرى، ثم كلمة ختامية

بقلم أبى شادى هو دعوة إلى التجديد فى الشعر الذى يقوم على توكيد حرية التعبير وإبراز الشخصية والتغلغل فى صميم الكون.

١٦- عودة الراعى .. وهو أحفل إنتاج الدكتور الشعرى .. ظهر فى يناير ١٩٤٢ فى طبعة أنيقة خاصة عددها خمسون نسخة فقط. وقد طبعته مطبعة التعاون بالإسكندرية فى ١٦٠ صفحة من القطع الكبير .. وفى صدره تحية شعرية لعودة الراعى من نظم الأديب الكبير الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى مطلعها:

أيـها الرائـد فـى صـمت الرعـاة

عد إلـى دنـياك واهـتف للحـياة

وفى الديوان الكثير من شعر الحب والطبيعة، ومن القصائد الإنسانية ذات النزعات العالية والنسيج والتصوير، وفيه قصيدة رثى بها الشاعر المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار أستاذه الأول كما يقول فى مطلعها:

إذن هذه الدنـيا وهـذى المصـائر

يمينا سيحيى ذكـرك الدهـر شاعر[1]

١٧- ويشير أبو شادى فى مجلة أدبى إلى ديوان آخر له اسمه "ديوان الريف"

١٨- من السماء وقد طبع فى نيويورك فى عام ١٩٤٩.

١٩- ديوان الإنسان الجديد وقد طبع فى القاهرة عام ١٩٨٥ بفضل الأديب الكبير الأستاذ وديع فلسطين، وفيه خمس وتسعون قصيدة، وفى صدره مقدمة فنية شعرية، ويمتاز بروحه الوطنى والإنسانى، ويشمل شعره من أواخر عام ١٩٤٩ حتى أوائل عام ١٩٥٢ وقصائد أخرى نظمها الشاعر قبل هجرته.

٢٠- ديوان النيروز الحر، وقصائده سبع وسبعون قصيدة ويشمل شعره من منتصف مارس ١٩٥٢ إلى نهاية العام، وفيه كذلك الكثير من شعره الوطنى والإنسانى، وقد طبع فى القاهرة كذلك بإشراف الناقد الأستاذ وديع فلسطين.

٢١- وله ديوان "إيزيس" نظمه بالمهجر - وهو مخطوط.

---

[1] ٨٩ عودة الراعى.

٢٢- وكذلك ديوان أناشيد الحياة وهو مخطوط أيضا.

٢٣- ومن دواوينه المهجرية المخطوطة أيضًا ديوان إيزيس ..

وله بالإنجليزية ديوانان هما:

١- أغاني العدم.

٢- أغاني السرور والحزن.

وقد صدرا في طبعة خاصة من دار أورنيتاليا للنشر في نيويورك عام ١٩٥٣.

كتب في النقد والأدب والاجتماع:

١- حداثتي الأدبية ..

٢- قطره من يراع في الأدب والاجتماع - طبع عام ١٣٢٧هـ - ١٩٠٨م - في جزئين يمثل الجزء الثاني منه أقدم نثره الأدبي في صباه، أما الجزء الأول فيمثل نثره في أول طفولته الأدبية وكذلك شعره ما بين عام ١٩٠٤ - ١٩٠٧م.

٣- مسرح الأدب وهو كتاب في ٢٥٢ صفحة في الأدب والنقد.

٤- الأدب الجديد وهو كتاب نقدي.

٥- البناية الحرة.

٦- قطرتان من النثر والنظم في ٤٢ صفحة.

٧- وقد نشر الدكتور كتابا عن والده "محمد (بك) أبو شادي" كتبه بعض الأدباء الشبان وطبع في ١٤٤ صفحة بمطبعة حجازي بالقاهرة.

٨- أصدقاء الحياة.

٩- الطبيعة في شعر المتنبي وهو دراسة جديدة قيمة في الأدب والنقد والتحليل.

١٠- من نافذة التاريخ وهو كتاب ضخم وقد نشر جزءان منه في مجلة المقتطف بالقاهرة عام ١٩٥٢م عدد يونيو وعدد نوفمبر من العام نفسه.

١١- "دراسات أدبية - ٦٤ صفحة من القطع الكبير طبع بعد وفاته في واشنطون".

١٢- الأحاديث المائة: وهو مجموعة الأحاديث التي أذاعها الدكتور من (صوت أمريكا) ولا يزال مخطوطا لم يطبع للآن ويتناول شئون الثقافة والعلم والفكر والأدب والشعر والفن والأدباء والشعراء بالدراسة والتحليل.

١٣- وللشاعر كتاب مخطوط آخر كتبه وهو مهاجر فى أمريكا وسماه "سفينة الهجرة".

١٤- وفى عام ١٩٥٨ نشرت كتابا بعنوان "أبو شادى فى المهجر" تضمن الكثير من آرائه فى الأدب المهجرى.

كتبه العلمية وسواها:

١- أوليات النحالة، تأليف أبى شادى سكرتير رابطة مملكة النحل، ورئيس تحرير مجلة مملكة النحل.

٢- وله محاضرة مطبوعة عنوانها "إنهاض النحل فى مصر".

٣- وله كتاب "مملكة العذارى" فى النحل وتربيته. وقد نشرته دار المعارف فى سلسلة "اقرأ" المشهورة رقم ٦٦ مايو ١٩٤٨ فى ١٥٤ صفحة وللدكتور تعليقات عليه وتصحيحات لم ينشرها.

٤- وقد ترجم أبو شادى كتاب نكلسون فى أدب اللغة العربية، ولكن ترجمته ضاعت مع ما ضاع من آثاره الأدبية، المختلفة، والكثير من شعره ومترجماته وتصانيفه فى خلال إقامته بإنجلترا وأكثر من عشر سنين قد فقد بمصادرة الرقابة له فى عودته، ما كان أثره شديدا على نفس أبى شادى.

٥- ولأبى شادى ست رسائل إسلامية مشهورة "عقيدة الألوهية"، لما أنا مؤمن، عظمة الإسلام، والمال فى الإسلام.

٦- ولأبى شادى كتاب بالإنجليزية سماه "كيفما اتفق".

مجلات أخرجها الشاعر:

١- مجلة الإمام، وهى مجلة أدبية شهرية كانت تصدرها جماعة الأدب المصرى بالإسكندرية ورئيس تحريرها الدكتور. وتولى أيضا الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى رئاسة تحريرها فى فترة من الفترات.

٢- مجلة مملكة النحل وكانت لسان حال رابطة مملكة النحل وكان الدكتور الشاعر صاحب امتيازها ورئيس تحريرها، وكانت إدارتها أخيرا بشارع منشا رقم ٦-٦٠

بالإسكندرية، وقد صدر العدد الأول من هذه المجلة فى القاهرة فى يناير ١٩٣٠، وقد استمرت، هذه المجلة مدة كبيرة.

٣- مجلة أبوللو الشعرية.

٤- مجلة الأدبى.

٥- مجلة الدجاج، ومجلة الصناعات الريفية.

٦- ويحدثنا أبو شادى بأنه أخرج عام ١٩٠٨ وهو فى السادسة عشر من عمره مجلة قصصية اسمها "حدائق الظاهر"[1].

قصص شعرية ومسرحيات للشاعر:

١- معشوقة ابن طولون.

٢- نفرتيتى، مأساة للشعر.

٣- نكبة نافارين وهى قصيدة قومية تاريخية.

٤- مفخرة رشيد وهى قصيدة وطنية تاريخية.

٥- عبده بك، قصة شعرية مصرية اجتماعية، وهى من بحر واحد وكل بيتين من قافية.

٦- مها وهى قصة غرامية شرقية فى ١٢٨ صفحة.

٧- إحسان وهى مأساة مصرية تلحينية وقد طبعت بالمطبعة السلفية بمصر فى ١٦٠ صفحة من القطع الكبير المتوسط. عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م، وتقع هذه المأساة فى نيف ومائتين من الأبيات الغنائية المتنوعة، وتدور حوادث المأساة بين الحب والحرب .. وقد نظمها أبو شادى لخدمة الشعر القومى عن طريق المسرح، أى لخدمة الشعر التمثيلى، وفى صدرها تصدير بقلم أبى شادى ثم مقدمة لرابطة الأدب الجديد .. والقصة كانت فاتحة عهد جديد فى التأليف الشعرى بعد أن طال زمن المعارضات للمتقدمين .. وفى القصة شرح لموضوعها

---

[1] ١١٣ أنداء الفجر.

وكلمة للأستاذ محمد لطفي جمعة عن الشعر والمسرح ودراسة للأستاذ حسن صالح الجداوي عنوانها "الشعر الحي ونزعة التجديد".

٨- والدكتور أول من نظم الأوبرات في اللغة العربية ومنها: الآلهة وهي أوبرا رمزية ذات ثلاث فصول، ومنها: اخناتون، والزباء ملكة تدمر، وبنت الصحراء وغيرها ..

ومن تمثيلياته الشعرية الجديدة: ابن زيدون في سجنه، احتضار امرئ القيس، اردشير.

٩- ومما ترجمه أبو شادي:

أناشيد حافظ الشيرازي[١]، رباعيات الشيرازي[٢]، وعمريات الخيام وقد ترجمها عن فتزجرالد ونشر بعضها في مجلة أبوللو، وضاع الباقي منها مع ما ضاع من آثاره الأدبية. فأعاد الشاعر ترجمتها وهو مقيم في نيويورك ..

وكان أبو شادي قد نشر في عام ١٩٣١ رباعيات الخيام نظما اعتمادا على ترجمة الزهاوي النثرية من الأصل الفارسي، ولكنه عاد بعد ذلك بعام فنشر ترجمة شعرية لرباعيات الخيام عن الإنجليزية اعتمادا على ترجمة فنزجرالد وسماها "عمريات فنزجرالد"[٣].

١٠- ومن القصص التي ترجمها أبو شادي نثرا إلى العربية رواية العاصفة لشكسبير وقد نشرها في المقتطف (عدد أكتوبر ونوفمبر ١٩٢٩) ثم جمعت في كتاب.

وفي مقتطف ديسمبر ١٩٥٢ تمثيلية شعرية للدكتور أبي شادي بعنوان "الطبيب الشاعر" وهي تصوير تاريخي بليغ ولكن ما أجدرنا أن نعدها تعبيرا دقيقا عن مشاعر أبي شادي ورأيه في الجمع بين مهنة الأدب وحرفة الطب. هذا ولا يكاد يخلو كتاب أو ديوان حديث ظهر في مصر في الفترة ما بين ١٩٣٠ و١٩٤٠ من مقدمة للدكتور أبي شادي وخاصة من كتب أصدقائه وأنصار مدرسته الأدبية .. وقد اطلعت على تصدير ممتع له في صدر كتاب "أدب الطبيعة" تأليف الأستاذ مصطفى عبد

---

[١] راجع ص١١١ - ١١٢ أنداء الفجر.

[٢] في ١٠٧ من شعر الوجدان قطعة منه.

[٣] راجع بعضها في مجلة أبوللو - نوفمبر عام ١٩٣٢.

اللطيف السحرتي. وعلى تصدير آخر له في صدر ديوان "أزهار الذكرى" للسحرتي أيضًا .. إلخ.

هذا كله عدا دراساته الأدبية في مجلة أبوللو التي كان يصدرها أبو شادى في القاهرة وفي سواها من المجلات الأخرى والصحف المشهورة.

وفي كتاب "الكشكول الجديد" في عشرين جزء يحوى الكثير من آثاره الأدبية الحديثة بعد الهجرة، وهذه هي بعض بحوث الجزء الأول:

"أكبر خان (تمثيلية)، ابن فضلان الحفيد (تمثيلية)، أوهام شعراء العرب في المعاني، هل الأدباء بشر؟، في كارنجي هول، حفلة السمر، البريسان، الفنان الجبار، نظرات في الشعر، محمد بن عبد الوهاب، المتاحف الأمريكية الأمثال العامية، بولس سلامة، عنوان النشيد، رسالة محمد والمدنية الإسلامية، عيد الاستقلال الأمريكي.

مصادر البحث:

١- الشعر المعاصر - السحرتي - القاهرة ١٩٤٨.

٢- رائد الشعر الحديث - د. محمد عبد المنعم خفاجي - ١٩٥٣ القاهرة.

٣- أبو شادى - د. كمال نشأت - القاهرة - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٥٨.

٤- مجلة المقتطف من ١٩٣٠ - ١٩٥٥.

٥- مجلة أبوللو من ١٩٣٢ - ١٩٣٤.

٦- مجلة أدبي ٣٥ و٣٦.

٧- مجلة الإمام ٣٥ و٣٨.

٨- كتب أبو شادى ودواوينه المختلفة.

٩- مدارس الشعر الحديث - د. محمد عبد المنعم خفاجي - ١٩٩١ الأنجلو المصرية. القاهرة.

١٠- شاعر الإنسانية ١٩٥٦ - روكسي العزيزي - القاهرة.

دواوين أبو شادى الشعرية

١- أنداء الفجر ط١/ ١٩١٠ بمطبعة التعاون بالقاهرة - ١٣٠ صفحة - قطع متوسط ط١٩٣٤/٢.

٢- أنين ورنين صور من شعر الشباب.

٣- مصريات قصائد من شعر الوطنية.

٤- الشفق الباكى ١٩٢٤م ١٣٣٤ صفحة - قطع متوسط.

٥- شعر الوجدان مختارات شعرية.

٦- وطن الفراعنة مجموعة من الشعر القومى.

٧- المنتخب من شعر أبى شادى - ١٢٤ صفحة.

٨- مختارات من وحى العام - ١٩٢٨ - ٨٠ صفحة - دار العصور.

٩- ذكرى شكسبير - قصيدة شعرية.

١٠- ديوان النبوع.

١١- ديوان الشعلة.

١٢- ديوان أشعة وظلال ١٩٣١ فى ١٤٤ صفحة - مطبعة الشباب.

١٣- الكائن الثانى مجموعة من شعره الفلسفى.

١٤- فوق العباب يناير ١٩٣٥ - ١٤١ صفحة - ١٤٧ قصيدة (٢٤٨) بيتا - مطبعة التعاون - تصدير لمطران.

١٥- أطياف الربيع سبتمبر ١٩٣٣ - ١٥٠ قصيدة (٢٠٨٤ بيتا) - تصدير لمطران. دراسة لناجى ودراسة للصيرفى .. إلخ.

١٦- عودة الراعى يناير ١٩٤٢ - مطبغة التعاون بالإسكندرية - ١٦٠ صفحة.

١٧- ديوان الريف (يشير إليه فى مجلة أدبى ص٣٦٨ عدد يوليو ١٩٣٦)

١٨ – ديوان الإنسان الجديد – ٩٥ قصيدة (٤٩ – ١٩٥٢) وقد صدر في القاهرة منذ سنوات عن دار المستقبل – بمراجعة الناقد المعروف الأستاذ وديع فلسطين.

١٩ – النيروز الحر – ١٧٧ قصيدة (مارس ١٩٥٢ – ديسمبر ١٩٥٢). وقد صدر في القاهرة كذلك منذ سنوات عن الدار نفسها وراجعه الأستاذ وديع أيضًا.

٢٠ – ديوان من السماء – نيويورك ١٩٤٩ – ٦٩ قصيدة (٢٧٠٠ بيتا).

٢١ – أناشيدى.

٢٢ – إيزيس.

٢٣ – عودة الغريب.

٢٤ – رباعيات الخيام.

قصص ومسرحيات شعرية:

١ – معشوقة ابن طولون.

٢ – نفرتيتى – مأساة شعرية ومسرحية.

٣ – نكبة نافارين.

٤ – مفخرة رشيد.

٥ – عبده بك.

٦ – مها (١٢٨ صفحة)

٧ – إحسان مأساة مصرية ١٦٠ صفحة – ١٩٢٧.

٨ – أوبرا: الالهة – الزباء – اخناتون – بيت الصحراء – أوديتو – رباعيات الخيام.

السحرتى ناقد أبوللو

فى جماعة أبوللو يقـول الناقد الكبير مصطفى عبد اللطيف السحرتى عن مدرسة أبوللو "جماعة أبولو" كانت واحة خضراء فى حياتنا الأدبية المقفرة، وصارت أما لرابطة الأدب الحديث فى مبادئها وتقاليدها، واتجاهاتها الأدبية.

ونحن إذ نتحدث عن هذه الجماعة إنما نتحدث عن مدرسة حقيقية، كانت تعتمد فى الغالب، الاتجاه الرومانسى، وكانت تمنح من بئر واحده هى بئر الفن الصافية، وكانت تضم أدباء وشعراء من ذوى الرهافة والحساسية، مع وفاق كبير فى التفكير والمزاج.

فكان من بين هذه الجماعة الدكتور إبراهيم ناجى فى ذكائه النادر، وذاكرته العجيبة، وحساسيته البالغة أقصى درجة من درجات الرفاهة، والذى كان شعره الوجدانى، ولا يزال، أرق شعر وأنداه فى كل زمان ومكان، وتأثر به شعراء العربية، وفى مقدمتهم كوكبة من شعراء الحجاز، والسودان.

وكان من بينها الشاعر حسن كامل الصيرفى، وهو شاعر وجدانى تأملى، له ضمير حى .. وقد كان ديوانه "الألحان الضائعة" فتحا جديدا فى تأملاته وموسيقاه الشفافة الهامسة.

وكان صالح جودت فى ديوانه "صالح" من أشهى أوتار هذه الجماعة، وأحلاها وأعذبها وفى شعره الغزلى دفء، ورغبة جامحة فى الحياة ومسراتها.

وكان مختار الوكيل من أنبغ شعراء هذه الجماعة، وقد اعتمد اللهفة والحيرة وجمع بين الغزل والطبيعة فى سلك واحد.

وكان من أبرز هؤلاء الشبان محمد عبد المعطى الهمشرى، الذى تفرد بالتعبير عن المجهول وهام بمراثى الطبيعة.

ولم يكن هؤلاء الشعراء الخمسة هم الممثلون الوحيدون للجماعة، ولكنهم كانوا من أبرزهم، فقد كان هناك شعراء موهوبون يسيرون في فلك الجماعة. نذكر منهم محمد سعيد البحراوي المحامي الآن بدكرنس، ومحمد حسن حبشي، أستاذ التاريخ بالجامعة المصرية، ومحمد أحمد رجب الوكيل السابق لإدارة قضايا الحكومة، والمرحوم محمد عبد الفتاح إبراهيم الذي كان سكرتيرا عاما لوزارة الشئون الاجتماعية، وجميلة العلايلي صاحبة ديوان "صدى أحلامي" وعبد العزيز عتيق صاحب ديوان "أحلام النخيل" والسحرتي الذي كان محاميا آنذاك واهتم بشعر الطبيعة، وأخرج ديوانا أسماه "أزهار الذكرى" جامعا فيه قصائده من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٤٠.

فهؤلاء الشعراء كانوا يكونون مجموعة متكاملة متعاطفة تتغنى بالموضوعات الرومانسية، وجدانية وغزلية وتأملية وطبيعية، وكان أغزرهم شعرا وأكثرهم انسيابا هو عميد هذه المدرسة الدكتور أحمد زكي أبو شادي. ولكنه لم يقف عند الموضوعات الرومانسية، بل تعددت ألوان شعره فتناول النواحي الصوفية والنفسية والإنسانية والواقعية والرمزية، والسريالية، والعصرية، متأثرا بمذاهب التصوير الجديدة من مثل مذهب السريالية، وأبدع قصائد متأثرة بهذه المذاهب في قصائده التي كتبها بعد هجرته إلى أميركا.

وقد كان أبو شادي بلا مراء ملهم المدرسة في مذهبها الابتداعي، وحامل لواء التجديد منذ شبابه إلى أن فارق الحياة، وإن كان هذا المعلم أقفل عينيه، فقد فتح عيونا كثيرة وأذهانا عامة، بسعة علمه، وطلاقة بيانه، وقوة تعبيره ودقة معانيه وتصويره، ولا أدري ما يكون معنى المدرسة إن لم تكن هذه الجماعة مدرسة حقيقية، وإذا كانت قد تآخت مع عدد من الشعراء، الذين يدينون بالكلاسيكية، وضمت عددا من الأدباء ذوي النزعات المخالفة لنزعاتهم، فهذا ما رأته موائما في وقتها للنهوض بالأدب والشعر، ولا غبار عليها في سبيل هذا النهوض إذا تسامحت مع مخالفيها في النزعة الرومانسية، وبهذا يسقط قول بعض النقاد الذين خلعوا عنها صفة المدرسة.

ولا يجوز القول بأن هذه المدرسة قد غابت شمسها بعد غياب الرومانسية. لأن شعراءها الأحياء يتناولون موضوعات واقعية، ووطنية، وإنسانية. كما يفعل الصيرفى، وصالح جودت وعامر بحيرى، بل لأن عميد المدرسة ترك تراثا مقدورا من ألوان الشعر المختلفة، لم يطاوله فى مثلها شاعر من شعراء العربية، شعرا تقدميا وإنسانيا وعصريا صالحا لكل زمان ومكان، شعرا مستوعبا لحقائق الحياة والحقائق النفسية، والحقائق الأزلية.

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

كان مثالا إنسانيًا حيًا على الأخوة الإنسانية والتعاون الأدبي، والروح المتوقدة لخير الأدب والأدباء، والفكر المتوثب من أجل خدمة كل قضية شريفة، تعود على الإسلام والعروبة والوطن والإنسانية عامة بالخير .. ولقد بدأ حياته الأدبية بعد النضج، وجال قلمه في المجالات الأدبية والصحف اليومية والإقليمية، ودبج المقالات النقدية والاجتماعية والسياسية، كما دبج تراجم العظماء وكبار الأدباء من غربيين وعرب.

والسحرتي (ديسمبر ١٩٠٢ - مايو ١٩٨٣) في حقبة من عمره، نظم الشعر، وأخرج ديوانًا جديدًا أسماه: "أزهار الذكرى" ذكرى عشر سنوات قضاها في بلده الصغير الجميل "ميت غمر"، وتقع هذه الحقبة بين عامي ١٩٣٤ و١٩٤٣م.

ويقول د. أحمد زكي أبو شادي في تقديمه لهذا الديوان في شعر السحرتي: "هو شاعر مفكر ذو غاية رفيعة في شعره، هي الإنسانية التي يؤمن بحقها الأول عليه إيمانًا عميقًا، وثاني ما نلمسه في شعره إقباله على الطبيعة في حب وهيام شديدين، ثم روح الإصلاح الاجتماعي الذي يتناوله تناولا شعريا جميلا، ثم شعر الحب الممزوج بالروح الفلسفية الصادقة الحرارة، وما في شعره من قدرة وصفية قرينة لطاقته الشعرية الممتازة، وهو موسيقى الطبع في كل ما ينظم، على تباين شعره. إنه شاعر رومانطيقي، أحب الطبيعة والريف حبًا خالصًا، فاندمج في روحيهما، وعبّر عنهما بشعر عذب صادق في طلاقة جميلة لا تحمل تنافرًا لفظيًا، ولا يشينها خلل موسيقي، ولا تأسرها قيود صناعية، ولا تنزل بها رغبة لإرضاء الجماهير". وليس السحرتي ممن يحترم مبدأ الفن للفن، ولكنه يؤمن بأن الفن للحياة في أسمى معانيها .. إنه ليس له وثبات ناجي ولا رمزيات الصيرفي، ولا غنايات صالح جودت، ولا وجدانيات الشابي، ولا وصفيات الشوباشي، ولا ديباجة السنوسي أو الجهني، ولا

ترسل عثمان حلمي. ولكن له أسلوبه الموسيقي المتحرر، وروحانيته الساذجة الحلوة، وريفياته الجميلة، وعواطفه الإنسانية الحارة، وطاقته الشعرية النابغة. وله قبل ذلك وبعده فنه الذي يعتز به ويدعو إلى الاعتراف به بين شعراء المدرسة الحديثة الموهوبين، وكيف لا يكون ذلك وهو الجامع ما جمع من الطلاقة البديعة والخيال الرائع والموسيقى المستحدثة في نظام هو نظامه لا يقلد فيه أحدًا، وإن تجاوب مع أقرانه من أعلام النهضة الشعرية في العالم العربي، وهذا التجاوب الشامل علامة من علامات الشاعرية القوية. كما أن احتفاظه بشخصيته علامة أخرى من علاماتها القوية. وحسبك أن نفترض حرماننا من نماذج هذا الشعر الحديث، فتشعر بالفراغ الذي تشغله شخصية السحرتي الشاعر، وإن أبى عليها إلا التواضع أو التواري، كأنما ذلك من أصول فنه العميق.

ثم هجر ميدان الشعر وتحول إلى ميدان النقد، والبحث الأدبي، وصار علمًا من أعلام هذا الميدان، بما اتّسم به من ثقافة واسعة وحيدة نادرة، وخلق كريم.

وكتابات السحرتي من نبع شخصيته الناضجة، وإنسانيته العميقة، وليس أوصف للسحرتي من قول "الدكتور أحمد زكي أبو شادي" عنه أيضًا في تصديره لكتابه "أدب الطبيعة":

"ليس مصطفى عبد اللطيف السحرتي إلا الأديبَ الإنساني بأوفى معانيه، وهو بفطرته شاعر الطبيعة المطبوع في جمالها ومعانيها إلى أبعد ما تلهمه الشاعرية الصحيحة، وهو رجل مكتمل الأخلاق، ناضج الإحساس، متزن التفكير، يدين بالإنسانية في صميم وجدانه، وينبض فؤاده بنبضات هذا الكون العظيم".

شاعر الفرح

توثقت علاقتي بالسحرتي سبعة وثلاثين عامًا، أي منذ عام ١٩٤٦م. فعرفت فيه إنسانًا طيب السيرة والسريرة، إنسانًا هادئ النفس، دمث الخلق، حلو الحديث، إذ لاقيناه تفتحت نفسه في نفوسنا، وأفاض روح المرح والفرحة والأمن في قلوبنا.

ويقع قارئ ديوانه "أزهار الذكرى" على شواهد من هذه النزعة المتفائلة من قصائده، ونذكر على سبيل المثال قصيدته "الفرحة" التي جاء فيها:

فمـالي لا أسـرُّ بـلا قيـود

وأبسـم في غـدوي أو رواحـي

وأنسـى الهـمّ إن الهـم ثقـل

يهـدد في المسـاء وفي الصبـاح

وأمـرح مثـل عصفـور سعيد

وألتمـس المنـى في كـل ساح

فمـا الدنيـا سـوى جـذل وأنس

ولـذاتٍ جنيـن مـن الكفـاح

وليـس يـدوم للإنسـان شـيء

سـوى البسمـات واللهـو المباح

وللبسمـات سحـر أيُّ سحـر

ووحي مشـرق في القلـب ضاحي

هذا هو العلاج الروحي القوى الذى عالج السحرتى به دواءه، وشفى به كثيرًا من المتصلين به، الدواء الذى استخلصه من تجاريب الحياة الجادة المريرة. وتغلب به عليها، فإذا طاف به طائف من الهم أو الكدر نحّاه بروحه المرحة، وفلسفته الرواقية التى لا تأبه بالهموم والآلام، وفى قصائده "الوحدة" و"المرح" و"شفاء الروح" و"ضحكة"، يكشف لنا عن مطاردته للهموم، باللواذ إلى الطبيعة واللواذ إلى نفسه القوية، وفلسفته الرواقية، فيقول مثًلا فى قصيدته "ضحكة":

سأضحك للوجـود بمـلء قلـبى

وأهـتف للطبيـعة حلـو هـتفِ

وأهـزأ بالهـموم وإن توالـت

فتنقشـع الهـموم سـحاب صيـفِ

وأرسل ضحكتى فـى الجـو تسـرى

فيحضنـها الأثـير كخـير إلـفِ

وحياة السحرتى التى عرفنا لمحات منها تدل على أنه رجل عجيب، يختلف عن الناس ويسمو على بيئته، ويميل إلى أن يعيش عيشة فكرية وروحية خالصة، ولم يقبس من وراثته وبيئته إلا ما اتسق مع هذا النزوع.

فقد تقوت محبة الطبيعة لديه فى موطنه "ميت غمر" وهو بلد رومانتيكى جميل، تحيط به مياه النيل من جهاته الأربع، وتحف به الحدائق والحقول. وورث من والده الحاج عبد اللطيف السحرتى وكان من كبار تجار هذا البلد: الصراحة والذكاء والميل إلى الفكاهة، ومن والدته الطيبة: التواضع ورقة الحاشية. وتفرد فى أسرته بالعزوف عن المادة، لما وقر فى روحه من شفافية، ولهذا كان أكبر من بيئته ووراثته.

وكان ميلاده فى الثالث والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٠٢م .. وفى جميع مراحل دراسته من ابتدائية وثانوية وعالية، كان ميله إلى الناحية الأدبية بارزا، وتأثره بأساتذة اللغة العربية والأدب تأثرا قويا، ويحدثنا السحرتى عن هذه الناحية من حياته فيقول:

"تلقيت أول تعليمى "بالكتاب" وحفظت به بعض سور القرآن الكريم، ثم أتممت دروسى الابتدائية بمدرسة "ميت غمر"، ونلت الابتدائية عام ١٩١٦م، وكنت مغرما باللغة العربية والإنجليزية والتاريخ، وأذكر بحنان عميق أستاذى الشيخ مصطفى الزفتاوى، ونماذج الإنشاء التى كان يمليها علينا ونحفظها عن ظهر قلب، أعدها بذرة أولى فى تحبيب العربية إلى نفسى، وتلقيت تعليمى الثانوى بمدرسة كشك بزفتى، ومدرسة الأقباط بميت غمر، حيث نلت شهادة الكفاءة، وأكملت دراستى الثانوية بمدرسة الزقازيق الثانوية، حيث نلت البكالوريا عام ١٩٢٢م، ولا أذكر من أثر الأساتذة فى نفسى فى هذه المرحلة إلا أستاذ اللغة الإنجليزية بمدرسة الأقباط مصطفى البلقينى، وأعزو الفضل فى إجادتى لهذه اللغة إلى هذا الأستاذ الضليع، ولا

أنسى فضل أستاذين كبيرين كانا بمدرسة الزقازيق، هما: الأستاذ مصطفى عامر أستاذ الجغرافيا، والأستاذ أحمد العدوى أستاذ التاريخ فى ذاك الوقت، وما كان يفيضان علىَ وعلى زملائى من مودة، وما كان يطرقان فى أثناء دروسهما من موضوعات اجتماعية وفكرية يثيران بها شوقنا إلى البحث، ويزرعان بها فى نفوسنا بذور الحرية الفكرية.وعند انتهائى من المرحلة الثانوية، وقفت مترددًا بين الالتحاق بمدرسة المعلمين والحقوق، وانتهيت إلى إيثار الثانية، حيث نلت إجازة الحقوق عام ١٩٢٦م. وظل شوقى إلى الأدب متوهجا بنفسى فى غضون دراستى القانونية. وكان وقتى موزعًا بين الأدب والقانون، فكنت أبدأ بمطالعاتى الأدبية لأفتح شهيتى إلى الدروس القانونية، واستساغة مادتها الجافة".

فـى بـاريـــس

وما كاد السحرتى ينتهى من دراسته القانونية بالقاهرة حتى أحس بصدوفه عن المحاماة، ووجد حلا ظاهريًا فى الذهاب إلى باريس لنيل دكتوراه الحقوق، ولكنه ما كاد يستمع إلى الدروس حتى احتواها، وانصرف عنها إلى الأدب فالتحق بجامعة السربون عام ١٩٢٦م، أيضًا.

كما التحق بكلية الدراسات العالية لدراسة الصحافة، وأنفق باقى وقته بالمكتبة الأهلية، والاختلاف إلى المحاضرات العامة التى كانت تلقى فى المعاهد المختلفة فى الأمسيات، ولكنه لم يستمر طويًلا بباريس، إذ عاد بعد أشهر إلى القاهرة، واشتغل بالمحاماة ستة عشر عامًا حتى أواخر عام ١٩٤٢م، وتعد الفترة القصيرة التى قضاها فى باريس نقطة تحول فكرية فى حياته، وفى توسيع آفاق معارفه، وتقوية إيمانه بالحرية والديمقراطية الحقة.

يقول السحرتى: "فى جو باريس امتلأت رئتاى بنسيم الحرية، وتأيد إيمانى بالديمقراطية، وأحببت باريس الأدبية التى فاضت حساسيتها على نفسى وأثار ذكاؤها ذهنى".

وقد سجل أثر باريس فى سبع مقالات طوال كتبها عنها بمجلة السياسة الأسبوعية فى عدد ٥ مارس (آذار) ١٩٢٩م، إلى عدد ٢٥ أبريل (نيسان) ١٩٢٩م، وهى مقالات نابهة تليق بأن تضم فى كتاب مفرد. وسجل إلهامات باريس فى عدة بحوث طويلة كتبها بجريدة وادى النيل فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٨م، والشرق الجديد فى يناير (كانون الثانى) ١٩٢٩م، والبلاغ فى يوليو (تموز) عام ١٩٣٠م، وهذه المقالات جديرة بأن يضمها كتاب مستقل.

ولا ينسى السحرتى أثر هذه الرحلة فى حياته فيقول: "قد لا أكون مغاليًا إذا قلت: إن رحلتى على الباخرة من الإسكندرية إلى مرسيليا هى أجمل رحلة فى حياتى، وآثرها إلى قلبى، لما امتلأت به عيناى من مشاهد خلابة. ولست أنسى ما حييت لقائى على الباخرة بتاجر هندى مثقف، كان يبيع الماس فى باريس. فقد كان يروى لى فى هذه الرحلة تاريخ الهند وأعمال رجالها العظام، وبخاصة الزعيم الهندى غاندى".

ويقول السحرتى: "إن غاندى أثر فى توجيهى تأثيرًا كبيرًا فى حقبة من حياتى، فلقد تجاوبت روحى معه تجاوبًا قويًا.

واتخذت شخصيته مثالا لى فى كثير من أعمالى، وبلغ من تأثرى بتعاليمه أنى كنت أقضى يومًا من أيام الأسبوع صائمًا ومعتكفًا عن الناس، للتأمل والمطالعة. كما أثرت شخصية "سعد زغلول" الجذابة، وبلاغته الساحرة، واتجاهاته الديمقراطية الوطنية فى نفسى أعظم التأثير".

أعماله الأدبية

اشتغل السحرتى بالمحاماة ببلده "ميت غمر" ستة عشر عامًا، كان فيها مثالا للمحامى النزيه الشريف الكفء، وقرن إلى جهوده فى المحاماة جهوده الأدبية الممتازة، فكتب فى المجلات الأدبية والصحف اليومية مقالات أدبية واجتماعية نابهة، نذكر منها: مجلة السياسة الأسبوعية، ومجلة الأدب الحى. ومجلة السفير، والرسالة، ومجلة الطلبة المصريين، وجريدة البلاغ، والوادى. وكانت مجلة السياسة

الأسبوعية هى مجلته المفضلة، التى لم يخل عدد من أعدادها منذ عام ١٩٢٦م، إلى عام ١٩٣١م، من مقال له، ودارت مقالاته حول الأدب الفرنسى. وتراجم العظماء والأدباء غربيين ومصريين ونذكر من هذه المقالات:

١- الروماتيزم ولامارتين (٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٧م).

٢- الصحافة فى البلاد المتمدينة (١٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٧).

٣- العبقرية والعبقريون (٢٨ أبريل (نيسان) سنة ١٩٢٨م).

٤- الحزبية والوطنية.

٥- أثر الخبر فى الجمال والفن (٥ مايو (أيار) سنة ١٩٢٨م).

٦- أسباب الحرب الكبرى ونتائجها (١٦ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٨م).

٧- الإجرام فى مصر أسبابه وعلاجه (سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٨م).

٨- الأدب القومى (١١ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٣٠م).

٩- الخيال وأثره فى الحياة (١٤ أبريل (نيسان) سنة ١٩٣٤م).

ويعد السحرتى من خيرة كتّاب التراجم، فقد كتب ترجمات فنية موفقة بالسياسة الأسبوعية، وغيرها من المجلات، وهى جديرة بكتاب منفرد، ومن هذه التراجم: سقراط بمجلة السياسة الأسبوعية فى ٧ يناير (كانون الثانى) سنة١٩٢٨م، وترجمة الأديب الألمانى جوته ونشرت بمجلة السياسة الأسبوعية فى ١٠ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٧م، وترجمة بديعة للشاعر الفارسى "السعدى الشيرازى" ونشرت بمجلة السياسة الأسبوعية، وترجمة "تولستوى" بمجلة السياسة الأسبوعية فى ١٨ مايو (أيار) سنة ١٩٢٩م، وترجمة للأديب الفرنسى "روسو" بمجلة السياسة الأسبوعية فى ٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٨م، والشاعر الأميريكى الجهير "هويتمان" بمجلة السياسة الأسبوعية فى ٢ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٩م، والصحافى المصرى الجرئ "أمين الرافعى" وهى منشورة بمجلة السياسة الأسبوعية فى ٣ يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٣١م، كما نشر ترجمة بمجلة "الطلبة المصريين" عن شكسبير فى ١٩ يناير "كانون الثانى" سنة ١٩٢٨م، وترجمة أخرى لغاندى، وترجمة لطاغور بالمجلة السابقة فى ٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٨م، وكتب مقالا مفصلا بجريدة البلاغ عن

"المنفلوطي" في ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٩م، وبمجلة الرسالة عن شخصية ابن خلدون في ١٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٤م، كما تناول غير هذه الشخصيات الاثنتي عشرة، شخصيات أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

نشــاط متعـــدد

ولم تقف جهود السحرتي على عمله الخاص بالمحاماة، ولا على أعماله الأدبية، بل إنه أسهم إسهاما إيجابيا في الحركة الوطنية في مصر، وكان مثالا للوطني النزيه، المجرد من الغايات، والمترفع عن التحزب والتعصبات، ويدخر له بنو وطنه المحبة والتقدير كلما جرى اسمه على الأفواه، ويذكرون له خطبه الوطنيه المهذبة، الداعية إلى الإصلاح والحق والعدل والحرية، كما يذكرون له جهوده الثقافية والاجتماعية الإيجابية في إقليمه، وجهاده في رفع معنوية الجماهير، وإيقاظ أرواحهم وتنقيتها. ونذكر من هذه الجهود تكوين جمعية اجتماعية فريدة لتعليم المشردين، وأبناء الفقراء، بعض الحرف والصناعات، وإنشاء فصول ليلية بالمدارس الإلزامية لتعليم العمال والكبار الأسنان القراءة والكتابة، وإسهاماته الفعلية في معاونة المتعففين من الفقراء والعاجزين عن العمل، وتحريره جريدة الإقليم "الوقت" لتنوير الناس وتوجيههم توجيهًا طيبًا، وقد كان يملأ قلمه صفحات هذه الجريدة، وقد اطلعنا على بعض من أعدادها فإذا بنا نعجب من هذا الجهاد القلمي الدائب الذى كان يبذله لتثقيف أبناء إقليمه، ففي العدد ٤٦٢ المؤرخ ٢٧ يوليو (تموز) سنة ١٩٣٩م، نجد مقالا بعنوان "بين الجمود والتجديد"، ومقالا آخر "في المرآة" بقلم: م. لطفي، وهو الاسم القلمي الذى استعاره لمهر مقالاته به، وكل عدد وقفنا له عليه كان يحوى أكثر من مقالين، ولمحتين أو ثلاثًا متناثرة في كل عدد.

ولقد تخللت الفترة التي قضاها بالمحاماة فترة تعد من أخصب الفترات في حياته الأدبية، إذ اتصل في أوائل عام ١٩٣٤م، بجماعة "أبولو" وتعرف إلى رائدها الدكتور أحمد زكي أبو شادي، وكان واسطة التعارف بينهما الشاعر عبد العزيز عتيق مدير إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم فيما بعد. كما تعرف على أدبائها وشعرائها،

وعلى رأسهم على محمود طه، وناجى، والصيرفى، وزكى مبارك، وصالح جودت. ومختار الوكيل، ومحمود حسن إسماعيل، والسحراوى .. وغيرهم من أدباء الحركة الابتداعية فى مصر.

وكانت صداقته لأبى شادى من أكرم الصداقات، وفى ذلك يقول السحرتى: "كانت صداقتنا صداقة نقية عاملة، صداقة فكرية وروحية معًا. وكانت آراؤه فى ذلك الحين مصدر إلهام زاخر لى، كما كانت كتاباته النثرية المركزة من العوامل القوية التى جذبتنى إليه. ولم أكن بنزعتى الواقعية أميل إلى الشعر الخيالى، ولكنه حببنى إلى الشعر، وأوحى إلىّ تأليفه، حتى تمكنت فى عام ١٩٤٣م، من إخراج ديوان "أزهار الذكرى" الذى جمع أكثر شعرى من عام ١٩٣٤م، إلى عام ١٩٤٣م". وأذكر بالامتنان تصديره النبيل الجامع لهذا الديوان، الذى يفسر روحه الكريمة الوفية، والذى جاء فيه عن الديوان:

"وأنا إذ أتناول شعره بالعرض إنما أمازج نفسه الحلوة وفكره الناضج وطبعه النبيل ومواهبه المتألقة، التى طالما جذبتنى إليه فنهلت من عذوبتها وقبست من إشراقها". حقا لقد تأثرت فى يفوعتى وصدر شبابى بأدب المنفلوطى وأسلوبه، كما تأثرت بعده بروّاد الأدب وأعلامه فى الجيل الماضى، وعلى رأسهم الدكتور طه والدكتور هيكل وغيرهما، ولكن أحدًا منهم لم يؤثر فىّ تأثير الدكتور أبى شادى".

وفى أفياء جماعة أبولو تجلت طاقة السحرتى الأدبية، فكتب فى أبولو ورأس تحرير مجلة الإمام، كما أسهم هو والدكتور إسماعيل أدهم فى تحرير مجلة أدبية، التى اقتصرت على أدب أبى شادى وأدب أصدقائه الحميمين، كما أخرج فى عام ١٩٣٧م، كتابه المدرسى البديع "أدب الطبيعة"، وقد صدره الدكتور أبو شادى بمقدمة جاء فيها: "إن أدب الطبيعة: هو من صميم الأدب العالى، وهو كتاب أخلاق رفيع، وسجل ثمين للوجود الحى، وهو تعريف متزن بالشعر العصرى، وعرض جميل لآداب مأثورة عند العرب والإنجليز والفرنسيين والأميريكيين قديمًا وحديثًا، إلى جانب روائع الأدب المصرى القديم، وصفحات الكتاب على وفرتها تضم أكثر مما تبدى، لأن الأسلوب المركز الذى اشتهر به المؤلف هو خير ما قل ودل، وهو مع

ذلك بعيد كل البعد عن الإبهام أو التعقيد". وفى مجلة الإمام جال قلمه جولات موفقة وكتب مقالات نابهة، ونذكر من هذه المقالات: ثلاث مقالات كتبها فى نقد وتحليل كتاب "ابن الرومى" للعقّاد، ومقالة عن "البارودى" فى عدد خاص أخرجه، ومما يستحق التنويه بحثه الفياض عن "سعد" وقد صدر به عدد خاص من الإمام فى ست وعشرين صفحة. وهو من أمتع البحوث التى ظهرت عن سعد زغلول. ولم تقف جهود السحرتى فى هذه الفترة على الكتابة فى مجلات أبولو، بل دبج مقالات فى المجلات المصرية، ومن بينها: مجلة "الرسالة"، ومجلة "الأدب الحى" التى كان يصدرها الأستاذ إبراهيم المصرى، ومجلة "الأسبوع الأدبية" التى كان يصدرها فرنسيس دوس، ومجلة "أبو الهول" ومجلة "السفير" التى كانت تصدر بالإسكندرية.. وغيرها من المجلات.

السحرتى .. موظفًا

وفى أواخر عام ١٩٤٢م، ضاق السحرتى بحياة الريف،ولم يجد كثيرًا من اللذة فى المحاماة، فالتحق بالعمل الحكومى بالعاصمة فى أوائل عام ١٩٤٣م، وكيلا بقسم الدعاية والنشر بوزارة الوقاية لكى يجد فى جو العاصمة مجالا لدراساته الأدبيةوة وقراءاته. ولكنه ما كاد يدخل الوظيفة حتى شعر من أول يوم، أنه وضع نفسه باختياره فى سجن، وفى ذلك يقول السحرتى "لقد شعرت بعد طلاقتى فى الريف، بأنى وضعت اللجام فى فمى، وخلفت من ورائى ذكريات سعيدة، وهجرت أعمالا خيرة لا أستطيع إتيانها فى العاصمة، وحثوت الرماد على تراث كان يمكن أن ينمو ويزدهر لولا مفارقة البلدة الصغيرة". وقد وقعنا له على قصيدة لم تنشر يعرب فيها عن لواعج نفسه وضيقه فى بداية اشتغاله بالحكومة، ويقول فيها:

أقصيت نفسى عن فضاء واسع
وحبستها فى أضيق الجدران

وشعرت أنى قد أضعت طلاقتى
وهى الملاذ الحر للإنسان

فرجعت أعذل هذه الروح التى

هامت بمصر وأضرمت تحنانى

أشبعت بغيتها بهجرة موطنى

وأتيت أنشد فرحة الوجدان

فإذا الهناء الآن فى هذا الورى

وإذا الحقيقة مُرّة لجنانى

ولم يعرف فضل السحرتى فى عمله الحكومى، مع إخلاصه وتفانيه فى عمله، وشجاعته فى إبداء رأيه، فقد نقل إلى وزارة التجارة بعد إلغاء وزارة الوقاية. واشتغل بالقسم التشريعى بها بالتحقيقات، ثم ضمر أخيرًا إلى النيابة الإدارية، حيث اشتغل رئيسًا لقسم النيابة بوزارة العدل. ثم نقل إلى وزارة الثقافة مديرًا عامًا لإدارة الثقافة فيها، والمعروف أن الوظيفة لم تقيده بأغلالها ولا روتينها، فقد كان لا يزال كالعهد به، الإنسان الحر والأديب المترفع الزاهد عما يجرى وراءه الموظفون عادة من التماس الحظوة، أو الجرى وراء ترقية.

رابطة الأدب الحديث

وعمل مع صديقه الشاعر الدكتور إبراهيم ناجى فى "جمعية الأدباء" التى أسست عام ١٩٤٥م، وبعد هجرة أبى شادى إلى أميريكا فى أبريل (نيسان) عام ١٩٤٦م، تفرغ للأدب والنقد.

ويتوج جهوده الأدبية فى هذه الفترة كتابه "الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث"، الذى أخرجه فى عام ١٩٤٨م، ويعد من المراجع القيّمة فى دراسة النقد الأدبى المعاصر.

ويذكر له جهوده البناءة فى قيام ودعم رابطة الأدب الحديث، وما كان يلقيه فى ندوتها من محاضرات نفيسة مدروسة، ونذكر منها محاضرته عن "فن القصة القصيرة"، و"فن الشعر"، و"فن النقد الأدبى"، و"فن الصحافة"، و"فن المسرحية".

و"فن المقال الأدبي"، و"الأصالة الفكرية"، و"الجموح القلمي" وغيرها من المحاضرات التي لا يتسع المجال لذكرها، وتؤلف كتابًا ضخمًا.

ولم تقف جهود السحرتي عن التأليف والمحاضرة، ولكنه كان يكتب بين حين وآخر في المجلات الأدبية الشهيرة، وقد خص "المقتطف" من قبل بمقالات نابهة، كما جال قلمه في مجلة الميزان والأديب المصري في عام ١٩٤٩م. ونشر طائفة من المقالات في مجلة "الأديب" البيروتية وغيرها من المجلات، ومما كتبه في الأديب البيروتية دراسات عن شخصيات الشعراء: ناجي، وأبي شادي، ومحمود أبو الوفا، والتيجاني، والشابي، وهي دراسات سيكولوجية فريدة في بابها، وقد ضمها كتاب "شعراء مجددون".

وكان السحرتي في كهولته عازفًا عن نشر إنتاجه الأدبي، يؤثر إيداعه سجلاته الأدبية والسيكولوجية، وما يزال الكثير منه مخطوطًا، ومن هذه البحوث نذكر بحثه عن "الأصالة الفكرية" الذي نشر منه كلمة في مجلة "ليالي الأدب" التي أخرجتها عن "سيكولوجية الشخصية"، و"سيكولوجية الحب"، وبحثه عن "فن الكتابة" وغيرها من البحوث، وكثيرًا ما يقول: "نحن لا نزال نقف على عتبة المحراب، فلنقف في خشوع وسكون وابتهال!".

نشاطه النقدي

وبعد هجرة أبي شادي وجه السحرتي جهوده إلى النقد الأدبي، وهو يرى أن مهمة الناقد مهمة شاقة عسيرة، ومسؤولية خطيرة أمام نفسه وفنه ومجتمعه.

وهو يصور منهجه في النقد قائلا: "النقد الأدبي اليوم قضية مركبة عويصة تحتاج إلى قضاة عدول صارمين في الحق، ولا يساغ النقد، بدفعة من دفعات العاطفة، أو نزوة من نزوات النفس، أو خطوة من خطوات الهوى، ولا بلمحة من لمحات الذكاء، بل لابد من ضمير حي، وبراءة من الميل، وتجاوب مع روح المنقود. واقتران بآثاره واقتران مودة، والرجوع إلى جوه وبيئته وشخصيته، ودراية ذكية بالأصول النقدية، وبأحدث مذاهب النقد المعاصرة، فإذا تعذر التجرد النفسي

وعسرت الزمالة شدا فيه الأثر الأدبى وترعرع، وتجوهلت شخصية المنقود. وقلبت الزكانة بالقواعد النقدية، فلن يصح نقد، ولن ينصف منقود".

والنقد التأثرى الجمالى هو الغالب على فكره النقدى، وإن أخضع ذلك كله لمنطق المذهب الفنى فى النقد.

والسحرتى فى نقده الأدبى يحرص على الاعتدال والاتزان فى الحكم، مع الميل إلى التجديد، واختير السحرتى محاضرًا لطلبة معهد الدراسات العربية العالى فى النقد، كما اختير عضوًا فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فترة طويلة، ثم عضوًا فى هيئة تحرير مجلة "الثقافة" التى صدرت عن وزارة الثقافة فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣م.

أعمال المطبوعة

وقد صدرت للسحرتى كتب رائدة منها:

١- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث.

٢- شعراء مجددون.

٣- شعر اليوم.

٤- أدب الطبيعة.

٥- الفن الأدبى.

٦- النقد الأدبى من خلال تجاربى.

٧- شعراء معاصرون - بالاشتراك مع الأديب العراقى الكبير هلال ناجى.

٨- الرصافى الشاعر - بالاشتراك مع الدكتور خفاجى، والأديب العراقى الأستاذ قاسم خطاط.

٩- أيديولوجية عربية جديدة.

١٠- دراسات نقدية - وقد نشرته الهيئة المصرية للكتّاب فى أوائل عام ١٩٧٤م.

١١- دراسات نقدية فى النثر -صدر عن الهيئة المصرية للكتّاب عام ١٩٧٩م.

١٢- الأصالة الأدبية - صدر عن مكتبة الأنجلو المصرية بعد وفاته.

١٣- وديوانه أزهار الذكرى.

وقد تناول النقّاد والكتّاب شخصية السحرتي وأدبه بالدراسة. فأصدرت "رابطة الأدب الحديث" عن أدبه كتابًا حافلا بعنوان "دراسات في النقد المعاصر" .. وفي كتاب "مدرسة أبولو" للدكتور محمد سعد فشوان، فصل عن السحرتي.

كما تناوله د. محمد مندور في كتابه "الشعر المصري بعد شوقي".

وهناك العديد من الدراسات التي كتبت عنه في حياته وبعد وفاته، وما أجدرها بأن تجمع في كتاب.

شاعر الجندول على محمود طه

فى السابع عشر من نوفمبر ١٩٤٩ رحل الشاعر الأبوللى على محمود طه عن دنيانا للقاء الله: ودّعنا شاعر الجندول، ومؤلف العديد من الأغانى. وصاحب الدواوين العديدة المشهورة، ومن بينها: الملاح التائه (١٩٣٤) - ليالى الملاح التائه (١٩٤٠) - زهر وخمر (١٩٣٤) - والشوق العائد (١٩٤٥) - وشرق وغرب (١٩٤٧) - وأرواح وأشباح - وأرواح شاردة.

وكان على محمود طه فى طفولته المرحة فى بلده (المنصورة) وفى شبابه المتوهج، بروحه العذبة، وموهبته المبكرة، وخياله المستغرق فى نشوة الأحلام، يحب الحياة، ويغنى لها وتلهمه قصائد شجية، فى الغزل وأوصاف الطبيعة والجمال. فى رومانسية حالمة. وكان متفائلا يفيض قلبه نشوة وبهجة، إذ لم يكن من طبعه أن يتحمل الألم والحزن مما جعله يميل إلى شعراء البحيرة الإنجليز؛ وكان أجدر الشعراء بلقب شاعر الحب والجمال ..

ومن شاطئ المنصورة ركب زورق الملاح التائه، أو زورقه الهائم - كما يقول أحمد حسن الزيات - ثم مَخَرَ به العباب فى خضّم الحياة، يختفى تارة، ويظهر أخرى؛ إلى أن طواه الموت، ولكنه لم يطوه النسيان، فذكراه خالدة حية فى ضمير الزمان، وفى قصائده ودواوينه التى صور فيها كل ساعة من ساعات مرحه، وكل خطرة من خطرات وجدانه .. لقد عاش يسبح مع الحياة والأوهام، ويردد قوله: أنا من ضيّع فى الأوهام عمره، ثم انتهى به سر الحياة، فغاب عن الشاطئ، ولّى ولم يعد، كما قال فيه ابن المنصورة الشاعر محمد عبد الغنى حسن:

يا أيها الملاح مالك لم تعد

الشاطئ المهجور بعدك مظلم

حلم من الأحلام عودة ذاهب

لا تحلمــــوا بمجيئـــه، لا تحلمـــوا

قـــل للمفـــرد فـــوق كـــل خميلـــة

مـــا بـــال صوتـــك لـــم يـــعد يترنـــم

وبعض النقاد[1] يعدون أول الشعراء امـرؤ القيـس، وآخرهـم شوقـى وعلـى محمود طه. وقد يكون لهؤلاء هوى فى شعر الوصف والتصوير والطبيعة. والكثيرون يعجبون بموسيقى على محمـود طه، وبإحسانه فى الوصف والتصوير، وأغلب شعره وصفى غنـائى، وموضوعاتـه رومانسية؛ تنـاول الغـزل والطبيعـة، والتجـارب الذاتيـة والأساطير والشعر القصصى، والوطنى والوجدانى والغنائى الخالص من أمثال قصيدة الجندول. إنه شاعر التجارب الذاتية والصور الوصفية والتصويرية.

وهكذا غنى ابن المنصورة الحالم الذى يقول فى قصيدته "ميلاد شاعر":

وهنا جدول على صفحتيه

يرقص الظل والسنا الوضّاحُ

وعلى حافتيه قام يغنينا

من الطير هاتف صدّاحُ

وفراش له من الزهر ألوان

ومن ريّق الشعاع جناحُ

وهنا ربوة تلألأ فيها

خضرة العشب والندى اللّماحُ

وما أصدق ما قال عن نفسه:

أنا من زعمتم غير أنى شاعر

أرضى البيان بما يصوغ ويرسم

إنى بنيت على القديم جديده

فرفعت من بنيانه ما هدّموا.

---

[1] د. عبد الله الصالح العثيمين - فى ديوانيه: بوح الشباب - لا تسلنى.

نازك الملائكة شاعرة من أبوللو

- ١ -

الشاعرة العربية، نازك الملائكة، شاعرة محلقة، ذاعت شهرتها وشعرها وشاعريتها فى كل مكان واقترن اسمها بميلاد الشعر الجديد؛ وكان مع ذلك ميلادها الشعرى مقترنًا بأبوللو والأبولليين، حيث كانت تدرس الآداب فى دار المعلمين العليا ببغداد على طائفة من أساتذتها من كبار الأدباء، ومع طائفة من زميلاتها الأدبيات والشاعرات، ومن زملائها الشعراء؛ ومن بين هؤلاء وهؤلاء: بدر شاكر السياب، وعاتكة الخزرجى، ورباب الكاظمى؛ وفى يمنى يديها دواوين المهجرين والأبولليين وبخاصة ناجى وعلى محمود طه ومحمود حسن إسماعيل، وفوق ذلك كله كانت هناك تأثراتها بأبويها الشاعرين: صادق الملائكة وأم نزار الملائكة التى أهدت إليها ديوانها "قرارة الموجة" عام ١٩٥٧ بجملة موجزة: إلى أمى أول شاعرية خصبة تتلمذت عليها، وفى هذا الديوان ثلاث مرات فهيا (٣٠٩ - ٣٢٠) نظمتها فى ١٥ و١٧ و١٩٥٣/٨/٢١.

- ٢ -

ولما ذاعت شاعريتها، وتفوق إبداعها الشعرى فى هذه السن المبكرة، أصدرت دواوينها:

- عاشقة الليل عام ١٩٤٧.
- شظايا ورماد عام ١٩٤٩.
- ثم ديوانها "قرارة الموجة عام ١٩٥٧، الذى جاء مؤكدًا لنبوغ شاعرة عربية رائدة.
- وفى عام ١٩٦٨ أصدرت ديوانها الرابع "شجرة القمر".
- ثم صدر لها عام ١٩٧١ ديوان "مأساة الحياة وأغنية للإنسان" وفى هذا الديوان قصيدة بعنوان "ذكريات الطفولة" (١/٣٦٥ الديوان دار العودة)، وهى من أجمل

القصائد. وفى هذا الديوان أيضًا مطولة نظمتها الشاعرة، أو قل نظمت أكثرها عام ١٩٤٨، وهى فى الثالثة والعشرين.

وتضمن ديوان "عاشقة الليل" قصيدة بهذا العنوان تقول فيها الشاعرة:

أعـــبر عمـــا تحـــس حيـــاتى
وارســـم إحســـاس روحـــى الغريـــب
فـــأبكى إذا صدمتنـــى الســـنين
بخنجرهـــا الأبـــدى الرهيـــب
وأضحـــك ممـــا قضـــاه الزمـــان
علـــى الهيـــكل الأدمـــى العجيـــب

وهى هنا تصور مشاعرها ونفسيتها الثائرة، وفى الديوان كذلك قصيدة أخرى بعنوان "الحياة المحترقة" كتبتها الشاعرة حينما ألقت بمذكراتها فى النار .. وصارت نازك حينذاك من أشهر الشعراء والشاعرات البغداديات، ومن بينهم: السياب، عاتكة الحزرجى، لميعة عماره، رباب الكاظمى، صدوف العبيدية.

بل لقد صارت نازك من رواد الشعر العربى الحديث، وقد عنيت بفتح مغاليق النص الشعرى، وبمد الجسوربين التجربة الرومانسية العربية الثرية والإبداع الحديث، وأخرجت القصيدة من الفردية الذاتية إلى النص الجماعى.

وهى كذلك من رواد النقد العربى الحديث، وكتابها "قضايا الشعر المعاصر" مشهور.

- ٣ -

إن ملامح القصيدة عند شاعرتنا هى ملامح أبوللية رومانسية، من تعدد القوافى وتنويع الأوزان والتفاعيل، والهيام بالطبيعة التى اقتربت منها، وذابت فيها، وصاغت منها ألحانها، إلى الشعور الشديد بالاغتراب، والحلم بالمستقبل؛ مع الالتفات إلى الماضى بين الحين والحين، والحياة مع الذات والنفس والوجدان والعاطفة والتجارب الحزينة.

وفى مدرسة أبوللو انطلقت الدعوة إلى الشعر الجديد وكان من أكثر الشعراء حماسا له: أبو شادى والسحرتى.

وقد التفتت الشاعرة التفاتة زكية، إلى رواد أبوللو، واهتمت بالصورة الشعرية - وبموسيقى القصيدة اهتماما شديدًا، متبعة فى ذلك خطا على محمود طه[1] الذى كانت القصيدة عنده بصورها الدقيقة، وموسيقاها الشجية، وتجربتها العميقة، أدق تعبير عن مشاعرالشاعر ووجدانه وذاته، وأظن أن ديوان "أغنية الرياح الأربع" لعلى محمود طه له ملامحه التى تظهر من بعيد فى القصائد الخمس التى سجلتها الشاعرة بعنوان "أنشودة الرياح" فى ديوانها "مأساة الحياة".

وتكثيف الرمز فى شعر الشاعرة مع العناية بالموسيقى والهيام بالطبيعة، والشعور الشديد بالاغتراب، والحياة مع القلق والدجى والليل والأشباح، هى كلها من سمات القصيدة عند الشاعر محمود حسن إسماعيل والشاعرة نازك الملائكة .. تقول من قصيدة "دعوة إلى الأحلام" التى كتبتها عام ١٩٤٨.

سنحلم أنا صعدنا
نزور جبال القمر
ونمزح فى عزلة اللا
نهاية واللابشر
سنحلم أنا نسير
إلى الأمس لا للغد
وأنا وصلنا إلى بابل
ذات فجر ندى
حبيبين نحمل عهد
هوانا إلى المعبد

---

[1] سجلت الشاعرة آراءها فى الشاعر الأبوللى الخالد على محمود فى كتابها "الصومعة والشرفة الحمراء".

يباركنـــا كـــاهن بـــابلى

نقـــــــى اليـــــــــــد

وبحق نرى ظاهرة الشعور بالاغتراب، بالخوف والقلق والحيرة، والليل الذى تعشقه الشاعرة بأسراره الرهيبة التى تنكشف أبدًا، والحلم بالمستقبل حينًا والارتداد إلى الماضى حينًا آخر، واضحة جلية فى شعر شاعرتنا المبدعة وهى فى قصيدتها "الأرض المحجبة" تبحث عن أرض السعادة فلا تجدها؛ وتقول فى قصيدتها "صائدة الماضى".

سأصيد الأحلام من أمسنا الهـا

رب حلمًـا حلمـــا وراء الزمـــان

وألم الأفـراح فـــى كـــل ركـــن

ضائـــع فـــى مقابـــر الأحـــزان

– ٤ –

والشاعرة تؤمن بالحرية، وتكره القيود، وتطوف بمقلتيها صور الغد، كما نراها فى قصيدتها "الرحيل" (٣٥٥/ ٢ الديوان) التى تقول فى ختامها:

وقـــولا لـــه إننـــا لـــن نعـــود

لأرض القيـــــــــــــــود

فقد أشرق الفجـر منـذ عصـــور

وفى قصيدتها "خائفة" (٢/٣٩٨ الديوان – قرارة الموجة التى نظمتها عام ١٩٤٨) تقول:

ارجـع فـالليل تثـير مخاوفـه قلقـى

وأنا وحدى والنجم البعيد فى الأفـق

يخدعنـى أمـل فـى فجـر لم ينبثـق

وصبابـــة دمـــع بـــارد لم تحـــترق

ارجع أواه ألا تسمع صوتـى الموهـون

لن أبقى وحدى فى هذا الدرب المجنون

إلى أن تقول فى خاتمتها:

خذ بيدى ولنترك هذا الأفق المهجور

لا تتركنى روحًا صارخة فى الديجور

وفى نهاية قصيدتها "عاشقة الليل" (١/٥٤٦ الديوان) تقول:

ليس يدرى العاصف المجنون شيئًا يا فتاة

فارحمى قلبك لن تنطق هذى الطلسمات

وهو استشفاف للمجهول الذى لا يبوح بسره أبدا، وفى قصيدتها "صراع" التى نظمتها عام ١٩٤٧ تقول الشاعرة

أحـــب وأكـــره حبـــى شقـــاء

أحـــب وأكـــره كرهـــى ألم

ففـــيم أعيـــش سئمـــت البـــقاء

وفى قصيدتها "وجوه ومرايا" تقول:

أه لو تدركين كيف أحسن الـ

ـكون صحراء خلفها صحـراء

والمعنى فى البيت الأخير جاء فى شعرى عرضًا وعن غير قصد إذ قلت فى قصيدتى "ملحمة الأجيال":

لـو رأيـت الصحـراء وهـى شتـات

ورأيـت الصحـراء وهـى كيـان

ورأيت الصحـراء قـد أصبحت بركان

بعـث مـن بعـده بركـان

قلـت مـاذا أرى هنـا أخيـال

وأنـا فـى الأحـلام أم يقظـان؟

ونازك رائدة "الشعر الجديد" الذى تحدثت عنه، ورسمت ملامحه. فى كتابها "قضايا الشعر المعاصر" بل ونظمت منه وكان أول ما نظمت منه قصيدتها الكوليرا عام ١٩٤٧ إثر ظهور هذا الوباء فى مصر.

وسأدرج بعضها فيما يلى، وهى من الوزن المتدارك (الخبب):

طلع الفجر

إصغ إلى وقع خطى الماشين

فى صمت الفجر، إصغ، انظر ركب الباكين

عشرة أموات، عشرونا

لا تحص، إصغ للباكينا

إسمع صوت الطفل المسكين

موتى، موتى، ضاع العدد

موتى، موتى، لم يبق غد

فى كل مكان جسد يندبه محزون

لا لحظة إخلاد لا صمت

هذا ما فعلت كف الموت

الموت الموت الموت

تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

وتلك القصيدة تصور بها مشاعرها نحو مصر الشقيقة خلال وباء الكوليرا الذى دهمها. وقد حاولت فيها التعبير عن وقع أرجل الخيل التى تجر عربات الموتى من ضحايا الوباء فى ريف مصر. وقد ساقتها ضرورة التعبير إلى اكتشاف الشعر الحر.[1]

---

[1] تتحدث الشاعرة عن قصة كتابة قصيدتها هذه وعن اكتشافها المثير للشعر الحر فى ديوانها "بغير ألوانه البحر" ٥ - ١١الديوان.

فكانت ميلادًا للقصيدة الجديدة، وكانت قد سبقتها محاولات عديدة لأبى شادى وناجى وباكثير ولويس عوض والسياب، وسواهم؛ إلا أن القصيدة الجديدة لم يكتمل نموها إلا على يدى شاعرتنا. فهى الرائدة للشعر الحر.

ولما رميت الشاعرة بجحودها للتراث الشعرى الأصيل كتبت عام ١٩٦٨ فى ديوانها "شجرة القمر تقول:

"لم أدع يومًا إلى الاقتصار على الشعر الحر، وإنى لعلى يقين من أن تيار الشعر الحر سيتوقف فى يوم غير بعيد، وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطرية وليس معنى هذا أن الشعر الحر سيموت، وإنما سيبقى قائمًا يستعمله الشاعر لبعض أغراضه، دون أن يتعصب له أو يترك الأوزان العربية الجميلة.

- ٦ -

وبعد، فإذا كنت أقول عن نازك الملائكة: شاعرة أبوللية؛ فلقد ظهرت الخصائص الأبوللية الشعرية فى إبداع الكثير من الشعراء العرب، ومن بينهم على سبيل المثال:

- الشابى فى تونس
- التيجَانى يوسف بشير فى السودان، ثم تلاه الفيتورى ومحيى الدين فارس فى السودان.
- محمد حسن عواد فى السعودية، ثم حسن عبد الله القرشى.

وغير هؤلاء كثير من مختلف أرجاء العالم العربى من الشعراء، وهذا لا ينفى أن لشاعرتنا ولكل شاعر من هؤلاء الشعراء شخصيته المتميزة.

- ٧ -

وقد ولدت نازك فى بغداد (العراق) ١٩٢٣ من أسرة يجمعها الأدب والشعر، فوالدها صادق الملائكة ووالدتها سلمى عبد الرازق وأخواها نزار الملائكة وأخوالها شعراء. وفى رواية متوارثة أن لقب (الملائكة) تسمية مجازية أطلقها على العائلة جيرانها بسبب الصمت والهدوء الذى كان يطبع بيت الأسرة فشاع وانتشر.

تخرجت في دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٤ بدرجة ليسانس في اللغة العربية ولحبها للموسيقى انتمت إلى معهد الفنون الجميلة وتخرجت في قسم الموسيقى (العود) سنة ١٩٤٩، درست اللغات اللاتينية والإنجليزية والفرنسية وآدابها وشعراءها، أكملت دراستها في أمريكا وحصلت على شهادة الماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكنسن سنة ١٩٥٩. مارست التعليم في جامعات بغداد والبصرة والكويت.

زارت مصر كثيرًا، وأجمل أوقات تعيشها أن تمشي على ضفاف دجلة أو على ضفاف النيل.

دواوين الشاعرة هي:

عاشقة الليل (١٩٤٧) - شظايا ورماد (١٩٤٩) - قرارة الموجة (١٩٥٧) - شجرة القمر (١٩٦٨) - يغير ألوانه البحر (١٩٧٠)[1] - للصلاة والثورة (١٩٧٣) - مأساة الحياة وأغنية للإنسان (١٩٧٠).

ومن كتبها:

الصومعة والمشرفة الحمراء (١٩٦٥) - قضايا الشعر المعاصر (١٩٦٢) - سيكولوجية الشعر (١٩٩٢) - الشمس التي وراء القمة (قصص) ١٩٩٧ - التجزيئية في المجتمع العربي (١٩٧٤).

---

[1] صدرت طبعة منه في القاهرة عام ١٩٩٩.

صالح جودت ..

شاعر الوجدان العاطفى

صالح جودت، لا نزال نذكره، ولسوف نظل نذكره، شاعرا رائع الشاعرية، عبقرى الإلهام، حلو النغم، رفيع الصياغة.

الأجيال لن تنسى هذا الشاعر الكبير، الذى كان يصوغ شعره من روحه ودمه، ويترنم به الناس فى أفراحهم وأحزانهم وينشدونه فى أمسياتهم، مع ندى السحر، وضوء الفجر، أغنيات عذابا، وألحانا تحسبها السحر مذابا، والعطر مستطابا.

وحياة صالح جودت كلها كانت أفراحا إلا السنة الأخيرة، من حياته التى قضاها مرضا وعذابا، وتنقلا بين المستشفيات وأيدى الأطباء أملا فى الشفاء، ودعاء بالعافية.

كتب إلى من لندن فى السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٧٥ يقول: لقد كانت **الرحلة التى اجتزت محنتها طوال هذا العام رحلة عذاب، لم أكن لأحتمله لولا لطف الله، وما ثبته الله فى قلبى من الإيمان، فمن مستشفى المعادى، إلى مستشفى تلمسان بالجزائر، إلى مستشفى برومنتون هنا حيث أجريت لى عملية خطيرة، شاءت عناية الله أن تمر بسلام، ثم المستشفى الذى أنا فيه الآن Roual Marsdem Sutton hospital surry, u.k. وهو مستشفى فى الريف الإنجليزى الجميل على بعد ساعتين من لندن، حيث أعالج بالأشعة الذرية لتغطية العملية لمدة تقارب الشهرين، وقد أسلمت أمرى لله، وهو الرحمن الرحيم .. فى غربتى ووحدتى وسرير مرضى أشعر بأن معى عناية الله.**

وبعد عشرين يوما يرسل لى من مستشفاه رسالة ينبئنى فيه بأن العلاج ماض فى الطريق المرسوم، ويكل فيها أمره إلى القدر المحتوم.

وهكذا عاش الشاعر عامه الأخير مترنحا فى فراشه بين مستشفى وآخر، وبين غرفة انعاش وأخرى؛ وبين عملية جراحية وثانية، فى القاهرة وفى إنجلترا، وهو لائذ بالصبر الجميل، ومتحمل للألم العبقرى، وعاد من لندن، ليقضى أياما قصارا، أسلم فيها أمره لله، وهو يردد الحمد لله (خلاص)، وكانت لحظة الوداع.

يقول صالح جودت فى قصيدته (أكذوبة الموت) ديوان صالح جودت ص ٨٢ يؤكد فيها خلود الروح:

قد حرت فى الموت وفى أمره

وما طواه الله من سره

وكلما سألت عنه امرأ

أجابنى: والله لم أدره

أليس فى القبر حياة امرئ

تطول بالمرء إلى حشره

فكيف قالوا: إنه ميت

من يوم أن غيب عن دهره

وراجع هذه القصيدة فى مجلة أبوللو - مايو ١٩٣٤ ص ١٢٥.

ومن مستشفاه فى إنجلترا كتب يقول:

ذبلت نضرتى وجف الإهاب

وتوالى إلى الختام الكتاب

من معينى على ثلاثة آلام

سقام ووحدة واغتراب

محنة جاوزت من العمر عاما

وإلى أين ينتهى بى العذاب

مرض تفزع المسامع منه

وتشيب الردى وتعنو الرقاب

فهو الاخطبوط ينهش فى الصدر

كما تنهش العظام الذئاب

أنا فى غرفة يضج بها الصمت

وينعى أركانها الاكتئاب

كتب عنه الشاعر الأبوللى عامر محمد بحيرى يقول (الجمهورية فى ١٩٧٦/٧/٣٠).

فى أبوللو عرفت كوكبة من شعراء الشباب كان فى مقدمتهم صالح جودت. لأنه كان أرقهم شاعرية، وأوفرهم خصوبة ونشاطا، وكان منهم الهمشرى، ومختار الوكيل وحسن كامل الصيرفى وصالح كان شاعر الغناء وشاعر الغزل.

وكتب فكرى أباظة فى مجلة المصور عقب وفاة صالح يقول: طالما استمتعت الملايين بشعره فى مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والقومية والوطنية والعربية من ألوان شعره الذى عبر الحدود، وكان عزاء لكل حزين وسلوى لكل منكوب ومكروب، وشبعا وريا لكل جائع وظمآن وكتب د. عبد العزيز الدسوقى (مجلة الثقافة أغسطس ١٩٧٦) يقول: صالح جودت إلى جانب أنه شاعر وجدانى كبير، شاعر إنسانى من أعمق شعراء الإنسانية.

وكتب حافظ محمود يقول (جريدة الجمهورية - يوليو ١٩٧٦) أحسبنا وقد ودعنا صالحا إلى مقره الأخير أننا ودعنا جيلا من الشعراء ابتداء منذ مئات السنين بأبى نواس وانتهاء بصالح جودت، وما أحسب أن صالحا ينتظر من محبيه دمعة، فقد كانت حياته ابتسامة.

وقال عنه صديقه وزميله الناقد المعروف مصطفى عبد اللطيف السحرتى: كان صالح جيلا كاملا من الشعر والشعراء.

وقال الدكتور عبد العزيز شرف: لقد جعل صالح الشعر لغة الشعب جميعا، وحبيب الجماهير فى سماعه وفى إنشاده.

وقال صديقه الدكتور مختار الوكيل (الهلال عدد أغسطس ١٩٧٦) شاعرية صالح تستند إلى دعائم مكينة من الفصحى ومن ألفاظ مختارة أنيقة، وصور رائعة، وموسيقى خلابة.

وكتب الشاعر محمد عبد الغنى حسن (مجلة الثقافة عدد أغسطس ١٩٧٦)
يقول: كان صالح يمتاز بأسلوب شعرى متميز يجعله فريدا فى طرازه بين شعراء العصر الحديث، كما أنه يمتاز بقافية رقيقة مواتية طيعة. ولقد كان شعر الشاعر الكبير الخالد صالح جودت صورة رائعة لمصر الخالدة، وكانت مصر ملهمته وينبوع شاعريته وعبقريته معًا، وكانت مصر الوطن دائمًا فى روحه وفى قلبه، تغنى بها وبالنيل فى العديد من قصائده، وكان متعدد المواهب، واضح الشخصية، محبوبا ذائع الشهرة فى كل مكان من بلاد العروبة، كان صالح شاعرا فى مقدمة الشعراء، وكاتبا مع كبار الكتاب، وصحفيا مع نجوم الصحافة، وإذاعيا مع الرجال من الرواد الإذاعيين، كما كان مؤلفا مع المؤلفين، وظريفا مع الظرفاء، وبالجملة لقد كان أديبا مع أعلام الأدباء، وكان جميل الإلقاء لشعره، حاضر البديهة فى جده ومزاحه صياغته الشعرية تتمثل فيها روح العروبة والإسلام، وروح مصر وحضارتها.

الحب هو الملهم الأول والأخير لشاعريته، حب الفن، وحب الجمال، وحب الناس، وحب وطنه، نسيج بديع يميز فنه الشعرى الأصيل.

وموسيقاه الشعرية، وصوره الجميلة، وروح القصة فى شعره. تتمثل كلها فى قصائده تمثلا كاملا. تأثر كل التأثر بشوقى، وكان يتمم خطى شكرى والعقاد والمازنى وأبى شادى وعزيز أباظة وإيليا أبى ماضى وعلى محمود طه والشابى فى الشعر ودواوينه الستة:

ديوان صالح جودت ١٩٣٤، ليالى الهرم ١٩٥٧، أغنيات على النيل ١٩٦٢، حكايات قلب ١٩٦٥، ألحان مصرية ١٩٦٨، الله والنيل والحب ١٩٧٢.

فيها جميعها أصداء من مدرسة أبوللو، ومن مدارس الشعر المختلفة فى القديم والحديث. وقال عنه رائد مدرسة أبوللو الشعرية الدكتور أحمد زكى أبو شادى: إن الروح الشعرية جوهر، كما أن الموسيقى جوهر آخر، وقد جمع صالح جودت بينهما.

وكان صالح جودت يعرف الشعر بأنه موسيقى، ومن ثم سادت الموسيقى والأنغام الجميلة شعره، حتى ليلوح لقارئ شعره أنه لا يطالع شعرا، وإنما يستمع إلى

ألحان عذبة ليست بحاجة إلى ملحن. ومن هنا آثر شعر شوقى بحلاوة موسيقاه وكان يحفظه كله عن ظهر قلب، وموسيقى الشعر عند صالح مقدمة على التصوير.

ويمتاز أسلوبه الشعرى بالسهولة والحلاوة ورشاقة التعبير، مع اللمحة الذكية التى تسعفه فى المناسبات الكبرى.

ولشعره مذاق خاص حيث تسوده الروح المصرية المرحة الفكهة.

وصالح جودت شاعر غنائى رقيق، حلو العبارة، فياض العاطفة، ومن هنا كان لأغانيه صدى خاص فى آذان المستمعين، ومن بينها قصائده التى غنتها أم كلثوم، ونجاة الصغيرة، وفايزة أحمد، وكارم محمود ونور الهدى، وليلى مراد، وإبراهيم حمودة، وعقيلة راتب، وغيرهم.

وقد ظفر ديوانه (ليالى الهرم) المطبوع عام ١٩٥٧ بجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٨. ولقد يصح أن يقال فى صالح ما قيل فى البحترى: أراد أن يشعر فغنى.

وينتمى صالح إلى مذهب الأصالة الشعرية الذى يحمل فى طياته روح الإبداع والتجديد فى صياغة القصيدة وموسيقاها، وهو شاعر رومانسى، أبوللى الانتماء.

وكم كان لمواقفه القومية فى شتى المناسبات العربية الكبرى صدى كبير على منابر العروبة .. كقصائده.

من القاهرة إلى تل أبيب. على بردى، وألقيت فى مهرجان الشعر الثالث بدمشق عام ١٩٦١: رائد القومية العربية، التى أنشدت عام ١٩٦٠ بفندق هيلتون فى حفل تكريم الشاعر القروى، ثورة الروح التى ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة عام ١٩٦٠ احتفالا بدخول ثورة الجزائر فى عامها السابع.

بلقيس وهى من وحى رحلته إلى اليمن عام ١٩٦٢ وقد ألقاها فى مهرجان الشعر الخامس بالإسكندرية عام ١٩٦٦.

ليلى التى ألقيت فى مهرجان الشعر السادس ببغداد عام ١٩٦٥ ويتعادل ميزان الشعر فى يد صالح بين العاطفة والوجدان ومشاعر الانتماء.

وله فى شعره نظرات تأملية ظهرت فى بواكير شعره، كما فى قصيدته (الراهب المتمرد) على أن الغالب على شعره هو تلك النزعة العاطفية العميقة. كما أن له لمسات إنسانية فى شعره أراد به الشاعر الاعتذار عن الضعف البشرى. وقد ولد الشاعر صالح جودت فى ٧ ديسمبر ١٩١٢ بمدينة الزقازيق، وأتم تعليمه الثانوى بمدرسة المنصورة الثانوية حيث التقى هناك بزميله الشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى، كما التقى فى المنصورة كذلك بشاعرين يكبرانه سنا، وهما الشاعران إبراهيم ناجى (١٨٩٨ - ٢٥ مارس ١٩٥٣) وعلى محمود طه (١٧ نوفمبر ١٩٤٩)، وصار هؤلاء الشعراء الأربعة أصدقاء العمر والأدب والشعر، وانضم إليهم الشاعر الدكتور مختار الوكيل ودخل كلية التجارة بجامعة القاهرة وتخرج منها عام ١٩٤٩ فى العلوم السياسية.

وعمل فى بنك مصر، ثم تركه إلى الصحافة، محررا بصحيفة الأهرام، فرئيسا لمجلة الإذاعة، فمراقبا للبرامج الثقافية، بالإذاعة المصرية، فمديرا لتحرير مجلة المصور، فرئيسا لتحرير مجلة الهلال، فنائبا لرئيس مجلس إدارة دار الهلال.

وشارك صالح جودت فى مؤتمرات الأدباء، ومهرجانات الشعر، التى عقدت فى طائفة من العواصم العربية والمدن التاريخية فى القاهرة والإسكندرية وبغداد، ودمشق وغزة، وتونس وتلمسان.

كما شارك فى كثير من مؤتمرات عالمية، كالملتقى الإسلامى فى الجزائر فى صيف عام ١٩٧٣، وكالأسبوع الثقافى العربى الألمانى الذى عقد فى مدينة ثوبنجن عام ١٩٧٤.

ومثل مصر فى مهرجانات عربية كبرى: كالمهرجان الذى أقيم فى لبنان عام ١٩٦١، وكان ممثلا للصحافة، المصرية والعربية فى حفلات إيران بذكرى كورش الأكبر بمناسبة مرور ألفى عام، وذلك أيام حكم الشاه رضا بهلوى. اختير عضوا فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب منذ إنشائه، وفى عام ١٩٧٣ اختير مقررا لها بعد وفاة الشاعر الكبير عزيز أباظة، وهو ثالث مقرر للجنة بعد العقاد، وعزيز أباظة كما كان عضوا فى جمعية الأدباء، ووكيلا لجمعية المؤلفين والملحنين.

ويقول السحرتي في صالح كان في شعره الباكر وعند اتصاله بمدرسة أبوللو من أعذب أوتارها الشعرية، وأمتاز بشعره الغزلي وغنائيته الحلوة الخلابة، وبعبارته الصافية العذبة، في مثل قصائده العيون الزرق - ظمآن.

وصالح جودت هو شاعر القصيدة العمودية بكل أصالتها وبساطتها ورقتها، وجمالها وموسيقاها وصورها الخلابة وبلاغتها الآسرة، أحبها، ونظمها ودافع عنها طيلة حياته.

وأهم حدث أدبي في حياته كان هو انضمامه إلى جماعة أبوللو الشعرية التي قامت على ١٩٣٢ برياسة أمير الشعراء أحمد شوقي وأمانة سر مؤسسها، الدكتور أحمد زكي أبو شادي، والتي انضوى تحت لوائها أعلام الأدب والشعر في مصر والعالم العربي والتي كانت تتغنى بأبوللو إله الشعر، والرومانسية، والشعر الوجداني تيار العصر في الشعر، كما تغنت بكل عناصر الشعر وروحه الملهمة الحالمة.

وبالإضافة إلى مكانة صالح جودت المرموقة في الشعر كان كاتبا ممتازا من كتاب السير والتراجم، ويتجلى ذلك في كتبه عن أحمد فتحي شاعر الكرنك ومحمد الهمشري، وناجي (حياته وشعره)، وفي كتابه (بلابل من الشرق) الذي كشف فيه الستار عن نواح مجهولة لطائفة من الشعراء المعاصرين.

وكان كذلك مجيدا في كتابة القصة القصيرة والقصة الطويلة، التي تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي، والتي يتحاشى فيها الإثارة والجنس.

ويتميز في كتاباته الصحفية بالصراحة وإصابة الهدف والإنصاف وتشجيع المواهب والأدباء الناشئين وتمثل مقالاته في الهلال التي كانت تنشر تحت عنون (رحلة الشهر) وكذلك مقالاته الأسبوعية في مجلة المصور، تمثل لونا طريفا منصفا من الصحافة الأدبية والسياسية.

وقد خلف صالح جودت لنا ثروة كبيرة، من المؤلفات من بينها:

١ - في مجال الشعر:

ديوان صالح جودت صدر عام ١٩٣٤، ليالي الهرم صدر عنها ١٩٥٧، أغنيات على النيل صدر عام ١٩٦٢، حكاية قلب صدر عام ١٩٦٥، ألحان مصرية صدر عام ١٩٦٨، الله والنيل والحب صدر عام ١٩٦٨.

٢- في مجال القصة الطويلة: عودى إلى البيت، وداعا أيها الليل، بنت أفندينا والشباك.

٣- في مجال القصة القصيرة: كلنا خطايا، صدر عام ١٩٥٧، في فندق الله صدر عام ١٩٥٩، كلام الناس صدر عام ١٩٥٩، أولاد الحلال، خائفة من السماء.

٤- في مجال السير والتراجم الأدبية: ناجي حياته وشعره، ملوك وصعاليك صدر عام ١٩٥٩، بلابل من الشرق طبع مرتين، والمرة الثانية صدرت عن دار المعارف المصرية. شاعر الكرنك صدر في كتاب الهلال الشعرى عام ١٩٧٣، شعراء المجون صدر في كتاب الهلال الشعرى عام ١٩٧٢، محمد عبد المعطى الهمشرى صدر عام ١٩٥٩ عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

٥- في مجال جمع الدواوين وتحقيقها: ديوان الهمشرى صدر عن المجلس الأعلى للفنون عام ١٩٧٤، ديوان ناجي حيث شارك في جمع شعر ناجي مع الدكتور الأستاذ أحمد هيكل والشاعر أحمد رامي، وشقيق ناجي الأستاذ محمد ناجي ديوان أحمد فتحي.

٦- كتب متنوعة: قلم طائر، تصوير أدبي لرحلاته خارج وطنه، أساطير وحواديت.

وبعد فهذا هو صالح جودت في شاعريته وشعره وأدبه وتراثه وفي سجل حياته، وصفحات نشاطه .. إنه قصة طويلة، من المجد والخلود، وحسبنا هنا أن نذكر بعض أبيات من قصيدته (سراب):

سراب وكل حياتي سراب
وفي وهمه قد أضعت الشباب
سراب، وأسلمته خاطري

فعللني بالأماني الكذاب

وتابعته رغم يأسي به

ومعرفتي أنه لا يصاب

واجهدني السير في أثره

فلا القلب مل ولا العقل ثاب

رحمه الله، وأكرم مثواه.

الصيرفى شاعر من أبوللو

شاعر رومانسى أبوللى، الاتجاه اتصل بأبوللو فى مطلع حياته الأدبية، وعاش فى رحابها، وعرفه الشعراء بقصائده فى مجلة أبوللو ثم بديوانه الألحان الضائعة.

يقول الشاعر حسن كامل الصيرفى عن أبوللو:

"كان تكوين "جماعة أبولو" حدثا تاريخيا فى عالم الأدب، كما كانت مجلة أبوللو حدثا تاريخيا فى عالم الصحافة حيث تنفرد صحيفة بالشعر فتناصره على شتى ألوانه ومذاهبه، وتحتفى بالشعراء من كل قطر على تفاوت أعمارهم ومواهبهم وتفتح فى رحابة ذراعيها لتحتضن كل المواهب، ما عرف منها وما لم يعرف، وما كان قد كشف عنه الغطاء وما لم يكشف.

وحسبى أن أذكر هنا أنه بين دفتى أربعة وعشرين عددا صدرت من هذه المجلة منذ سبتمبر سنة ١٩٣٢ حتى ديسمبر سنة ١٩٣٤ ضمت ثلاثة آلاف وثلثمائة صحيفة احتوت على أكثر من سبعمائة قصيدة وأربعمائة وخمسين دراسة ونقد، وذلك بأقلام ثلثمائة وعشرة من الشعراء والكتاب، بعضهم كانوا قمما، وبعضهم لم تكن أسماؤهم قد طرقت أسماع العالم العربى إلا من فوق هذا المنبر، وكانت المجلة تتلقى من الأقطار العربية القريبة فيضا زاخرا من القصائد والبحوث، وامتدت هاتان الذراعان القويتان لتجتذبا إلى روضها المشرق المونق بلابل كانت تصدح بعيدا بعيدا فلا تسمع فى أرجاء العالم العربى من سنغافورة والهند شرقا، ومن تونس ومراكش غربا، ثم من الأمريكتين حيث يعيش عدد غير قليل من الشعراء العرب.

وحسبى أن أسجل لهذه المجلة فضلا خالدا هو احتضانها لشعر ابن تونس الخضراء أبى القاسم الشابى فعرف العالم العربى من مشرقه إلى مغربه هذا الشاعر عن طريقها.

وكانت "أبوللو" تنشر فى العدد الواحد العشرات من القصائد، بل تنشر لشاعر واحد قصيدتين أو ثلاثا، على حين كان الشعر لا يشغل من كثير من الصحف الأدبية فى النادر إلا أضيق حيز، بل كان لا ينشر منه إلا شعر الكبار من الشعراء. واستنت منهجا لم يعهد من قبل، ذلك أنها كانت تنشر قصيدة لشاعر شاب لم يسمع به من قبل، سابقة لقصيدة شاعر كبير ذاع اسمه وملأ الأسماع شعره، وبدون أن تذكر ألقاب التعظيم والتفخيم.

ولقد صدق حدس "شوقى" حين قال فى تحيته لأبولو:

عسى تأتيننا بمعلقات ... تروح على القديم بها ندل

لعل مواهبا خفيت وضاعت ... تذاع على يديك وتستغل

وما زلت أتذكر تلك الغرفة الضيقة التى لم تزد مساحتها عن أربعةأمتار فى أربعة مثلها، القائمة فى شقة صغيرة من مسكن قديم، حارة عمر شاه بميدان السيدة زينب، وأتمنى لو أن محافظة القاهرة أطلقت على هذه الحارة المتواضعة اسم "جمعية أبوللو"، ولقد جمعتنى تلك الغرفة بوجوه غضنت الشيخوخة جباهها المتألقة، ورسمت عليها السنون سطورا ناطقة بكفاح مرير، أمثال: أحمد شوقى وخليل مطران وأحمد محرم وشيخ العروبة أحمد زكى والشيخ محمد الغنيمى التفتازانى وعلى العنانى وأحمد ضيف، ووجوه بدأت تستسلم جباهها ليد الزمن حتى تخط عليها ما تشاء ولكنها ما زالت تكافح فى عزم وإصرار مثال: إبراهيم ناجى وعلى محمود طه وأحمد الشايب زكى مبارك وكامل كيلانى ومحمود أبو الوفا وسيد إبراهيم واسماعيل مظهر ومصطفى صادق الرافعى وحسن القاياتى وأحمد الزين وعبد الرحمن شكرى، ووجوه فتية تتحدى الزمن بجباه صلبة تريد يده أن ترسم عليها شيئا من عبثه فتنزلق هذه اليد عن تلك الجباة، أمثال: مصطفى عبد اللطيف السحرتى وحسن الجداوى وتوفيق أحمد البكرى ومحمد أمين حسونة ومحمد عبد المعطى الهمشرى وصالح جودت ومختار الوكيل وعبد العزيز عتيق والعوضى الوكيل ومحمد سعيد السحراوى وعامر بحيرى ومحمود حسن إسماعيل ومصطفى الجنزورى وكامل الشناوى ومأمون الشناوى ومحمد عبد الفتاح إبراهيم ومصطفى جواد ورمزى مفتاح

وطلبة محمد عبده وغيرهم .. وبين هذه الوجوه جميعا يجلس صوفى متبتل أحنى الزمن ظهره، هو الدكتور أحمد زكى أبو شادى .. وعلى مقربة منه يجلس الناقد المسرحى يوسف أحمد طيرة.

وأستعيد صورة أبى شادى وهو يشعر بالبهجة لما استطاع أن يحقق أمله بإنشاء هذه الجماعة وتكاد الدنيا لا تتسع لفرحته، ثم صورته وقد تألبت عليه قوى عاتيه، فأوقت نشاطه فى القاهرة، وحمل متاعه ومطبعته إلى الإسكندرية ولكن تلك القوى تلاحقه، حتى دفعته إلى أن يهجر كل شيء ويتجه بأجزائه إلى أمريكا ليسلم أنفاسه بعد جهاد شاق هناك.

وأستعيد فى خاطرى تلك الأمسية الرهيبة من اليوم العاشر من أكتوبر سنة ١٩٣٢ عندما اجتمعنا كأول مجلس إدارة فى الشرفة المطلة على النيل فى كرمة ابن هانئ لأخذ صورة تذكارية وقد بدأت الشمس تسكب دموعها على صفحة الماء الجارى وهى تتوارى شيئا فشيئا، ثم ننتقل إلى غرفة الطعام نتناول الشاى بدعوة من رئيس الجمعية أحمد شوقى فانقل الطرف بين هذا اللون القانى وبين الشيخ الماثل بيننا يتحدث وكأنما ينتزع ألفاظه انتزاعا، يتكلم دقيقة ويسكت دقائق، وعيناه اللتان كانتا مشهورتين بالحركة الدائبة وبالزئبقيةالرجراجة تكادان أن تستسلما لحلم طويل قريب، ولم يكن يدور فى خلدنا أن بعد أيام أربعة سيتوارى هذا الكوكب اللامع فى مغيب.

حينما أعلن الدكتور أحمد زكى أبو شادى سكرتير هذه الجماعة ورئيس تحرير مجلتها عن الحاجة إلى وجود هذه المجلة للنهوض بالشعر العربى وخدمة رجاله والدفاع عن كرامتهم وتوجيه مجهوداتهم توجيها فنيا ساميا، لم يكن يهدف من وراء هذا إلى تغليب مذهب على مذهب، ولا تأليب فريق على فريق، ولكنه قصد إلى انتشال الشعر من الوحدة التى تدلى إليها من وراء إصابة الشعراء بالخصاصة التى ما كانت لتدركهم فى عصور الحفاوة بالأدب الخالص حيث لم يكن يعاب التكسب بالشعر، لذلك قامت جمعية أبوللو لتحقق التآخى بين الشعراء دون حزبية للون بعينه، وضم مجلسها الأول شعراء يمثلون كل لون ومذهب، قديم وحديث، ومضت "أبوللو"

فى طريقها، ولكن السدود كانت توضع أمامها، ومما يؤسف له أن نسمع شاعرا يشوه مطلع قصيدة شوقى من:

أبولـــو! مرحـــبا يـــك يـــا أبوللـــو فإنـــك مـــن عـــكاظ الشـعر ظـــل

إلــــــى:

أبولـــو! ضلـــة لـــك يـــا أبوللـــو فإنـــك أنـــت لسفـــهاء ظـــل

على أن الحكومة التى كانت تتربع على كرسى الحكم لم تساعد هذه الجمعية بقرش واحد أو تشترك فى نسخة واحدة من مجلتها على حين كانت وزارة المعارف العراقية قد اشتركت فيها لجميع مدارسها.

وانتهز بعض الحاقدين على هذه الجمعية فرصة نقد أحد دواوين العقاد فوسعوا شقة الخلاف بين الرجلين:العقاد وأبى شادى، وبدأت رسل تسعى بين الرجلين مختلقة عنهما ما لم يقولاه لتزداد النار حدة ..

وأثارت هذه المجلة حركة متطورة فى الشعر خشى معها أصحاب بعض المذاهب الأخرى على مكانتهم، وتسرب إلى أذهانهم أنها ستقضى علىمراكزهم بهذه الشعبية التى تدعو إليها، فاندفعت أقلام إلى النيل من أبى شادى ومن حوله، وعلت الصرخات لتشوه وجه هذه الحركة حتى اضطر محررها أن يوقف إصدارها بهذه الكلمة الحزينة المجروحة "ربما ختمنا بهذا العدد الممتاز المجلد الثالث من هذه المجلة كما نختم بختام هذه ألسنة جميع جهودنا العامة إلى غير عودة".

وتوقفت "أبوللو"، وتوقفت الحرب التى شنت عليها، ومضى الزمن متعاقبا، والبلابل التى كانت تشدو فى روضها تفرقت جموعها يردد كل منها نغمة كل غصن يلقاه.

وما زلت أذكر من شعراء أبوللو فنان القلم الرقيق فى خلقه وشعره سيد إبراهيم وصاحب الأنفاس المحترقة محمود أبو الوفا بأناته المشجية الجائرة، وعاشق الجمال وغريدة صالح جودت بأغانيه الفتانة الساحرة .. والناقد العاشق للشعر والمشرع له مصطفى السحرتى، وصاحب الزورق الحالم مختار الوكيل بأهازيجه الناعمة الآسرة. والعائد فى كل مساء من وراء الأفق محمد عبد الغنى حسن، وصاحب اليخت الذهبى عامر بحيرى. والناقد مصطفى السحرتى بآرائه المتحررة الثائرة.

وتوفى الصيرفى فى العشرين من مايو ١٩٨٤.

الدكتور مختار الوكيل[1]

شاعر أبوللي رومانسي كبير، نشأ في رحاب أبوللو، وبتشجيع رائدها الدكتور "أحمد زكي أبو شادي .. وقد بدأ ينشر شعره في الصحف والمجلات ابتداء من عام ١٩٣٠ ولا سيما في مجلة الصباح لصاحبها المرحوم الأستاذ مصطفى القشاشي، وكانت تلقبه بالأديب والشاعر والأستاذ. والحق أن مجلة الصباح قد نشرت له الكثير من شعر الشباب الباكر، الذي لم ينشر منه شيء في الجزء الأول من ديوانه (الزورق الحالم) الذي ظهر فيما بعد (عام ١٩٣٦) ولكنه يحتفظ به للذكرى ولأنه يتناول الوصف الصادق للحياة في أعماق الريف المصري العزيز.

كذلك بدأت الجرائد اليومية. ولاسيما جريدة الأهرام تنشر له الكثير من آرائه ابتداء من عام ١٩٣١، فلقد نشرت له الأهرام، جملة مقالات أدبية واجتماعية وانتقادية تحت عنوان (في الحياة) ظهر بعضها في صفحاتها الأولى.

وكانت جماعة (أبولو) قد أنشئت في ذلك العام وعلى رأسها المرحوم أحمد شوقي أمير الشعراء، وكان سكرتيرها العام المرحوم الدكتور زكي أبو شادي فانضم إليها عضوًا عاملا وبدأ ينشر في مجلة (أبولو) شعرا ونثرا ونقدا.

وظهر له في أخريات سنة (١٩٣٣) ترجمة قصة (سعادة الأسرة) لتولستوي الفيلسوف الروسي الكبير، وكان الأستاذ محب الدين الخطيب هو الذي تولى نشرها وقدم الدكتور أبو شادي للترجمة. وكان مما قاله في مقدمته "قلما يتاح لنا أن ننعم بترجمة لأثر أدبي عالمي يقوم بها الشاعر ناثر قدير وفق الشاعر النابه مختار الوكيل في هذه الترجمة البديعة لقصة (سعادة الأسرة) للفيلسوف الأديب العالمي تولستوي. ومختار الوكيل قصصي وشاعر بفطرته، خبير بالطيبات، وله أسلوب رشيق في نثره

[1] راجع كتاب الأدب العربي - الجزء الثاني - ص١٦١ - تأليف الخفاجي.

وشعره، وله عناية خاصة بالأدب العربى لمحناها فى ترجماته ودراساته للشاعرين شيلى وكيتس ولغيرهما من زعماء الأدب الأوروبى".

"فالتفاته الآن إلى قصص تولستوى مسبوق بحنانه إلى ذلك الأدب، ومقرون بغيرته على الأدب العربى الذى يخدمه بمثل ذلك النقل للروائع الأدبية العربية، حيث تصبح جزءا من أدبنا الحى،فهل لى غير أن أرحب كل الترحيب بهذا النشاط المستمر، وهل لى غير أن أرجو له التوفيق فى نقل جميع تواليف تولستوى إلى لغة الضاد ما دام قد وجد الناشر القدر لهذه الخدمة الأدبية الشريفة؟".

ولم تكد تمضى شهور على ظهور هذه القصة حتى صدرت له دراسة نقدية تحت اسم "رواد الشعر الحديث فى مصر" تناول منها أربعة من مشاهير الشعراء فى مصر حينذاك، هم: الأساتذة خليل مطران، وعبد الرحمن شكرى، وعباس العقاد، وأحمد زكى أبو شادى. وقال فى تقديم تلك الدراسة: "إن السبب فى الجمع من هؤلاء الشعراء الأربعة فى كتاب واحد هو أنهم مهدوا لنهضة الشعر الحديث فى هذه الديار تمهيدا قويا، وليس السبب أنهم يتشابهون فى المبدأ أو الثقافة أو يتكافأون فى الطاقة الشعرية!"

ولقد أثار هذا الكتاب على صغره وقلة عدد صفحاته مناقشات كثيرة تجاوزت كلماتها بكثير عدد صفحات الكتاب نفسه فقد تحركت مختلف الأقلام إلى الكتابة عنه فى نشاط عجيب لم يكن الكاتب يقدره أو يتوقعه حينما دفع به إلى القراء.

وكان قد كتب فى ذلك الكتاب فصلا عن الأستاذ عبد الرحمن شكرى ذكر فيه أنه قد أنشأ مع زميليه العقاد والمازنى ثالوثا متشابها فى الاتجاه الأدبى الحديث، وكان يوجهه عبد الرحمن شكرى. وذكر أن الأستاذ العقاد رجل عصامى (صنع نفسه بنفسه) وإن كان أثر صديقيه شكرى والمازنى فى اتجاهه نحو المطالعات الأفرنجية غير متكور، وقال إن ذلك لا يضير الأستاذ العقاد مطلقا، فالفضل فى نجاحه إنما يرجع إلى همته العالية ونفسه الطموح المتوثبة المتطلعة إلى السمو والإبداع فى الأدب...

ولم يلبث الأستاذ المازنى أن كتب مقالا عن الكتاب صدر فى جريدة (البلاغ) عدد أول سبتمبر ١٩٣٤ تحت عنوان: عبد الرحمن شكرى وكتاب رواد الشعر

الحديث، تحدث فيه عن ذلك الكتاب حديثا طيبا ثم نوه بعلاقته بشكرى مما يؤيد ما ذهب إليه مختار الوكيل من توجيه لتلك المدرسة الثلاثية. فقد جاء فى مقال المازنى فى حديثه عن شكرى ما نصه: "كنا زميلين فى مدرسة المعلمين العليا. ولكنه كان ناضجا وكنت فجا، وكان أديبا شاعرا واسع الاطلاع وكنت جاهلا ضعيف التحصيل قليل العقل فتناول يدى وشد عليها، وأبت عليه مروءته أن يتركنى ضالا حائرا أنفق العمر سدى، وأبعثر فى العبث ما لعله كان فى نفسى من الاستعداد. وكنت أقرأ ابن الفارض والبهاء زهير. وقرأ فى الحماسة والشريف الرضى والبحترى والمعرى وابن المعتز وأبى نواس وغيرهم، وكانت مطالعاتى فى الإنجليزية قاصرة على أمثال (مارى كوريللى) وغيرها من أضرابها، ففتح عينى على شكسبير وبيرون ووردزورث وشيلى وبيرون وبيرنز وميلتون وكوليردج وهازلت وكارليل ولى هنت وماكولى وجوته وشيللر وهينه ورختر وليسنج وموليير وراسين وروسو ومئات غيرهم من أعلام الأدب الغربى، وصرفنى عن المقلدين فى أدب كل أمة وأغرانى بأصحاب المواهب والابتكار، وصحح لى المقاييس وأقام الموازين الدقيقة، وفتح عينى على الدنيا وما فيها وكنت كالأعمى لا أنظر وإذا نظرت لا أرى، وكان لفرط أدبه يتوخى معى سلوك الند ولا يتعالى تعالى الأستاذ على التلميذ ..).

واستطرد الأستاذ المازنى قائلا:

ولو أردت أن أتقصى لما فرغت فأنا مدين له بكل ما أعان على ما صرت إليه، أقول ذلك مباهيا شاكرا فضل الله على أن لم يضعينى وأن كتب لى نعمة الاتصال بشكرى! وإنى لأرجع البصر فى حياتى وأتساءل ماذاعساى كنت أكون لولاه، فلا أجد عندى لهذا جوابا وأدير عينى فى نفسى وأبحث عن نزعة لم يكن هو غارس بذرتها - إذا لم يكن هو الموحى بها - فلا أهتدى ..

واختتم الأستاذ المازنى فصله الممتع هذا قائلا: (ولقد سرنى أن يكتب مختار الوكيل عن شكرى وأن يحاول فى هذا الفصل إنصافه فهو وحده المظلوم المغمور، ولا نكران أنه هو الذى حجب نفسه عن العيون وطوى آثاره وكف عن نشرها..).

ولا شك أن هذه العاطفة الصادقة من الأستاذ المازنى تجاه صديقه عبد الرحمن شكرى عاطفة نبيلة تقابل بالغبطة والارتياح، فلقد اعترف المازنى بفضل شكرى عليه، وهذه حقيقة رائعة تنبئ أن الدنيا لا تزال بخير وإن كان هنالك من يترددون فى الاعتراف بالفضل لأهله وذويه. ولقد جاء اعتراف المازنى على هذا النحو متفقا مع ما ذهب إليه مختار الوكيل فى كتابه (رواد الشعر الحديث).

ومضت أيام ثلاثة على ظهور مقال المازنى وإذا مقال يظهر فى جريدة الجهاد بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩٣٤ بقلم العقاد تحت عنوان (اعترافات الأستاذ المازنى) بدأه بالإشارة إلى ولع المازنى (بالغض من شأن الأدب وشأنه) واستطرد متحدثا عن مقال المازنى فى (البلاغ) واعترافه بأستاذية شكرى له. ثم أعلن الأستاذ العقاد أنه عندما قابل الأستاذين شكرى والمازنى عام ١٩١٣ كان قد وضع لنفسه منهجا فى دراسة الأدب لم يحد عنه من بعد. بل نوه بأن صاحبيه (هما اللذان غيرا منهجيهما فى القراءة، فالتفتا إلى النقد العلمى والفلسفى بعد أن كانت القراءة عندهما شاخصة كلها - من هذه - الناحية إلى النقد الأدبى المحض على أسلوب ماكولى ومن إليه وظهرت فى كتابتهما أسماء ماكس نوردو ولايدوزو وليسنغ ونيتشة، بعد أن كانت خلوا منها، وهم النقاد الذي عنيت بهم منذ البداية وأشرت إليهم فى (خلاصة اليومية) وفى مجلة (البيان)!! واستطرد العقاد قائلا:

"إننى بدأت بقراءة الأدب الانجليزى قبل ١٩٠٣ وأنا بعد تلميذ بالمدرسة الابتدائية فى بلدى أسوان".

وهكذا اتضح أن الأستاذ العقاد أبعد عن نفسه بكل وسيلة ممكنة شبهة التأثر بأدب شكرى على النحو الذى اعترف به الأستاذ المازنى.

والحق أن كتابة العقاد والمازنى كان لها أثرها فى الجو الأدبى العام الذى حركه صدور ذلك الكتاب، وسرعان ما تقدم كثيرا من الكتاب والنقاد يدلون بآرائهم حول هذا الكتاب، وفيما يلى أسماء بعض أولئك الكتاب: الأساتذة محمد عبد القادر حمزة، محمد على غريب، إسماعيل كامل، محمد سعيد السحراوى، سيد قطب، كامل الشناوى .. إلخ.

ووجه الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى رسالة خطية إلى مؤلف الكتاب أعرب فيها عن تقديره لما ذكره عنه، ولكنه أبدى حرصه على ألا يقحم اسمه فى خصومات كان يخشى عاقبتها على نفسه، باعتباره أحد كبار رجال التربية والتعليم، فقد كان حينذاك ناظرا لمدرسة حلوان الثانوية، بيد أن شكرى والحق يقال، نشط من عقاله بعد صدور الكتاب، وبدأ ينشر الكثير من شعره ونثره فى الصحف والمجلات وكان من قبل عازفا عن ذلك كارها له.

ولم تكد تهدأ الضجة التى أحدثها صدور كتاب (رواد الشعر الحديث فى مصر) حتى بدأ مختار الوكيل ينشر بجريدة الأهرام سلسلة من المقالات حول موضوع (مدرسة التحرير الأخلاقى)، وكان يعنى بها حرية التفكير وعدم التأثر بأفكار الآخرين حتى تتمكن من تكوين الرأى الصائب من النظر فى الأمور، ولكن تلك الآراء جلبت عليه - عن سوء فهم - حملة مسعورة اشترك فيها لفيف من الكاتبين منهم المجدد ومنهم المبقى على الآراء القديمة، ومن جملتهم: على كامل وعامر بحيرى ومحمد محمد راشد وسواهم.

وفى ربيع عام ١٩٣٦، وقبيل سفر مختار الوكيل إلى إنجلترا لمواصلة دراسته الجامعية صدر الجزء الأول من ديوانه الشعرى باسم (الزورق الحالم) وقد اهتم العقاد بدراسته، وألقيت عنه المحاضرات والدراسات، ونجتزى هنا ببعض ما كتبته عنه جريدة الأهرام، فى قصيدة (إلى السماء) أبيات جميلة كهذه الأبيات:

لن يشغل الناس أمرى
فعل ميت سينسى

وليس فى ذاك ضيرى
إذ قد تطهرت نفسا

لئن قسوا عند ذكرى
فإن روحى أقسى

أو حقروا شأن شعرى
سموت معنى وحسا

وهذا شعر صادق العاطفة، جميل التعبير، ويقول الشاعر في هذه القصيدة:

تعــــالى يــا مــــوت خـــــذني
عجـــــل، فديـــتك عجــــــل
قد ضاعــف العيـــش حــــزني
فنجـــــني، لا تـؤجــــــــل!

وهذا قول جميل، وقد اعترض أحد أدبائنا على تعبير (خذني) وقال إنه يمت إلى العامية بسبب، ولسنا من رأى ذلك الأديب فإنها في موضعها تماما. وقد استعملها المرحوم إسماعيل صبرى باشا في قوله:

يا موت خـذ مـا أبقـت الأيـام مـنى

وذوق صبرى معروف بالدقة والجمال.

ويغلب على شعر الدكتور الوكيل روح التشاؤم ونلمح هـذا بوضوح في قصائده (الجدول الحالم) و(يا طبيب) و(غرفة الذكرى) و(إلى السماء) و(العمر حلم).

وقد أعجبنا بقصيدته (بين الجسم والروح) حيث يقول:

إليـك يـا أمنـا الأرض قـد رجعــت مشوقـا
أنت الصديق إذا كنت قد فقـدت الصديـقا

ولقد استوقفنا من الشاعر محاولته الموفقة في استلهام القرآن الكريم موضوع قصيدة جعل عنوانها هذه الآية الكريمة: (قال فاخرج منها فإنك رجيم)، وحبذا لو قام شعراؤنا الشبان بمثل هذه المحاولة ولا نستطيع أن نختم كلامنا على (الزورق الحالم) قبل أن تعجب بقصيدة (النيل) التى يقول فيها صاحب الزورق:

بـــين جنبيــــه خــــافق مشـــدوه ... نــــاطق كلمـــــا تعــــثر فــــوه
ذكرا ليـــلة الوصــــال علـــى النـــيل ... (م) وأفـــواهـــــه تـــكاد تفـــوه!

والشاعر مختار الوكيل أديب طموح إلى الكمال ولا تنقصه أسباب ذلك ودواعيه. وإنه لواصل لما يرجوه فيه كل العارفين بروحه الوثاب.

وكان شاعر الأقطار العربية خليل مطران قد تولى رياسة الفرقة القومية للتمثيل في أوائل ذلك العام (١٩٣٦) وطلب إلى مختار الوكيل أن ينقل إلى العربية

مسرحية إنجليزية يختارها هو، فوقع اختياره على مسرحية (تلميذ الشيطان) للكاتب البريطاني برناردشو. ولقد أجازتها لجنة القراءة مع الثناء عليها. وكانت هذه اللجنة مكونة من المرحومين الأستاذين: الشيخ مصطفى عبد الرازق وإبراهيم المازني.

وقد مثلت هذه المسرحية فيما بعد على مسرح الأوبرا ونالت نجاحا كبيرا نظرا لأنها تتناول موضوع استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن الامبراطورية البريطانية، وكنا نحن في مصر نناضل حينذاك بشدة في سبيل الاستقلال والتخلص من نير الاستعمار البريطاني البغيض!

وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية في خريف عام ١٩٢٩ التحق بجريدة (الدستور) محررا وناقدا، وكان من كتابها الأستاذ العقاد، ونشأت بينه وبين مختار الوكيل علاقة مودة صادقة.

ولقد استفاد مختار الوكيل كثيرا من عمله الصحفي فقد اعتاد أن يخاطب الجماهير بصورة متصلة تكاد تكون يومية، واتسعت دائرة معارفه من مختلف الأوساط والبيئات، وراح يكتب في المجلات الأدبية ولاسيما في مجلة (الرسالة) التي كان مصدرها حينذاك أستاذه أحمد حسن الزيات. واتصل بالإذاعة وألقى شعره وأحاديثه الأدبية والاجتماعية من مذياعها.

ولما التحق بجامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ التحق بعد فترة وجيزة بالإدارة الثقافية، التي كان يتولاها المرحوم الدكتور أحمد أمين.

وقد ألقى خلال عام ١٩٤٧ سلسلة من الأحاديث الإذاعية في شئون الإصلاح الاجتماعي، تبين أهمية إصلاح البيت داخل الوطن باعتبار ذلك أفضل دعاية للوطن في الخارج، لأن الضيوف الذين يفدون إلى هذا البيت لا يجدون فيه ما يدعو إلى النقد، فإذا عادوا إلى ديارهم لا يكفون عن التحدث بمحاسنه! ولقد لاقت هذه الأحاديث كثيرا من الاستحسان والثناء العام.

وكانت جريدة (المصرى) قد طرحت عام ١٩٥٠، في أعقاب حرب فلسطين الأولى مسابقة تحت عنوان (موقفنا من العروبة) وقد نال مختار الوكيل الجائزة الأولى في تلك المسابقة التي اشترك فيها لفيف من كبار المفكرين، وقد أظهر في تلك

الدراسة أن عبء العروبة ثقيل على مصر بوصفها كبرى البلدان العربية، ولكنه يتناسب مع مكانتها بين شقيقاتها فى الأقطار العربية، ونادى فى عام ١٩٥٠ بما أصبح حقيقة واقعة اليوم من الزعامة الحقيقية (قوامها الاقتصاد وروحها الثقافة). فمصر بإنتاجها الاقتصادى المتزايد تستطيع أن تمون البلدان العربية، كما أنها تستطيع بمثقفيها أن تبعث روح النهضة الثقافية العلمية الجادة على الصعيد العربى والقومى، وهذا ما تحقق ولا يزال بحمد الله يتحقق حتى يومنا هذا!

ولما توفى الأستاذ الدكتور أحمد أمين مدير الإدارة الثقافية وتخلى المرحوم الدكتور السنهورى عن رياسة اللجنة الثقافية تولى المرحوم الدكتور طه حسين رياسة اللجنة الثقافية، استطاع مختار الوكيل بعمله إلى جانب الدكتور طه حسين أن يتوفر على خدمة الأهداف الثقافية العربية على نطاق واسع، فصدرت مجموعة مسرحيات شكسبير كاملة لأول مرة باللغة العربية، وقد شارك فى ترجمتها لفيف من كبار الأدباء والمفكرين العرب تحت إشراف الدكتور طه حسين، ونهض مختار الوكيل شخصيا بترجمة (تاجر البندقية) و(على هواك). كما قامت الإدارة الثقافية فى تلك الفترة البسيطة بنشر كثير من أمهات كتب التراث العربى.

وفى تلك الآونة عهدت إليه إدارة مشروع (الألف كتاب) بوزارة الثقافة ترجمة كتاب (أيوب) فى الميثولوجيا اليونانية، وقد قدمه الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس حيث قال:

صدور هذه الترجمة المختارة جاء فى وقته وفى إبان الحاجة إليه، وليس لى أن أثنى على الدكتور الوكيل الذى نهض بعبء نقلها إلى اللغة العربية فذلك متروك إلى القراء أنفسهم، وحسبى أن أقرر أن الأصل والنقل يتكافآن لفظا ودرجة، وحسبى أن أقرر أيضًا أن اختياره لا يقل أهمية فى نظرى عن المضى فى الترجمة.

ولما ندب مختار الوكيل للعمل بالوفد الدائم لجامعة الدول العربية فى جنيف، لم يأل جهدا فى سبيل خدمة الثقافة العربية، فبالإضافة إلى جهده الإعلامى والسياسى الذى كان بارزا جليا، أنشأ على مسئوليته الكاملة المركز الثقافى العربى -

وهو الأول من نوعه فى أوروبا - إلى جانب الوفد الدائم للجامعة العربية، بديلا عن الجالية العربية التى لا وجود لها فى سويسرا وقد تحقق ذلك ولله الحمد!

وعاد الدكتور مختار الوكيل إلى مصر فى مطلع عام ١٩٦٧ ليتولى أعباء الإدارة الاقتصادية بالجامعة العربية، ثم أدار معهد إحياء المخطوطات العربية ابتداء من عام ١٩٦٩، بعد فترة من توقف نشاط المعهد، وكانت مجلة المعهد لا تصدر بصورة منتظمة، بل لقد توقفت بعض الوقت فأعاد إلى المجلة الحياة المنتظمة، وأزداد نشاط تصوير المخطوطات فى مختلف بقاع العالم وأرسلت البعوث والوفود إلى تركيا وأسبانيا والبرتغال وغيرها من البلدان، وقد حيا عودته إلى مصر وإلى معهد المخطوطات بالذات، لفيف من كرام الأدباء، وكان مما قاله الأديب الكبير المرحوم سامى الكيالى صاحب مجلة الحديث فى رسالة وجهها إليه: (إن جميع إخوانك يتوقعون أن يدب النشاط فى المعهد بعد أن استلمتم أموره، ولا أستغرب هذا ممن عمل إلى جانب طه حسين، ومن إنسان جمله الله بالخلق والعلم والدأب فى العمل وعاش الجو العلمى فى الشرق والغرب).

وبمجرد عودته إلى مصر عين عضوا فى لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب وقد أعد للطبع الجزء الثانى من ديوانه الشعرى باسم (زورق الأحلام) كما أعد للطبع مجموعة أخرى من الشعر الإسلامى تحت اسم (من جبال الألب إلى الحرمين الشريفين) وهى من وحى اعتماره مرتين فى العامين المنصرمين وقصدها مستمد من وحى الإسلام والقرآن والرسول عليه الصلاة والسلام.

ومنها قصيدة باسم (كعبة الله) يقول فيها:

شـــاعر الحـــب قـــم وقـــل

ههنـــا الحســن قــد عـــدل

ههنـــا الحـــب عارمـــا	يملـــؤ الســـهل والجبـــل
كعبــــة الله هــــهنا	وهنـــا حوضـــه الأجـــل
قـــد أطفنـــا بركنــــها	ولثمنــــاه فــــى وجــــل

حجر أنت أسود ... أبيض يعشق القبل

فيك ما يأسر النفوس (م) ... وما يجذب المقل

فيك سر مجنح ... من قديم ولم يزل

وكفى أن (أحمدا) ... طاف بالركن واقتبل

الملايين عكف ... تبذل الروح فى خبل

خلعو ملبس الحياة (م) ... وجاءوا بلا أمل ..

غير رضوان ربهم ... ونجاة من الزلل

كلهم أسلم القياد ... وعن أهله شغل

سعيهم خالص إلى ... ربهم، دينهم كمل

وانثنينا (لزمزم) ... وهى تشفى من العلل

فشربنا على مهل ... وسكرنا، ولا تسل

شاعر الحب، قم وقل ... ههنا موطن الغزل

(مكة) درة الوجود ... قديما، ولم تزل

صانها الله للورى ... وبها الوحى قد نزل

واستضاءت (بأحمد) ... بكرها المرسل البطل

أى نور بها بدا؟ ... أى (ذكر) بها هطل!

أية يا كعبة الهدى ... قصر القول والعمل

أنت ركن من السماء ... ومحراب من وصل

كل ما فيك ملهم ... زاهر يقتل الملل

الحمامات حوم ... والعنيزات، والجمل

والجبال التى أرى ... تلهم الشعر، والطلل

فأصبخى لشاعر ... عن منى الناس قد ذهل

واسمعى شعره الذى ... خلد الحب والأمل

ويقول في قصيدة أخرى اسمها (المعجزة الباقية):

زهـونـا بميـراث النبـي محمـد
ولـذنـا بقـرآن الإلـه تهجـدا

إذا أقبـل الليـل انثنيـنا لسـورة
تطالع فيها الباقيات علـى المـدى

إذا أقبـل الليـل استضـأنـا نـورا
لأن لنـا فيـه مـلاذا ومسجـدا

هدى ذلك (القرآن) للنـاس كلهـم
فليس لبعـض منهمـو نزل الهـدى

وفي هدأة الليـل الحـنون ترنمـت
لهاة بآيـات وضـاء هـي النـدى

عيـد ووعـد بالحـنان، ورحـمة
وعهد بغفران لمـن تـاب واهـتدى

ونار أعـدت للـذين تجبـروا
عتـوا، فضلوا وانتهى أمرهم سدى

وديـن ودنيا، والعصور التي خلـت
فلـم يبق منها في الحياة سوى صدى

فيـاسيـد الرسـل الكـرام، تحية
إليـك من القلب الذي قام منشدا

لقد جئـت من رب الأنام بمعجـز
على الدهر يبقى في الصدور مرددا

مضت معجزات الرسل نورا ظهورها
وقرآنك الباقي على الدهر سرمدا

عجبت لمن ينأى عن النور جـاهلا
وفيه شفـاء الـروح والعز والندى

فيا من إلى (القرآن) تنمى أصـولهم
أعـزوا كتـاب الله ترضون (أحمدا)

هذا هو الدكتور مختار الوكيل يعمل فى إعداد دراسة عن الشعر الحديث مع محاولة نقد بعض الشعراء المعروفين.. وقد ظهر له قبل وفاته ديوانان: الأول بعنوان "مواكب الذكريات" والثانى شعر إسلامى بعنوان" على باب طه "كما أن لبعض دور النشر الأوروبية كتابا يتضمن ذكريات خلال عمله على الصعيد الدولى فى سويسرا. وفى السادس من نوفمبر ١٩٨٨ استأثرت به رحمة الله. وصدر له بعد وفاته عن دار غريب ديوان ثالث بعنوان ثورة الحب.

وقد ولد مختار فجر يوم ٢٠ مايو سنة ١٩١١ ببلدة أجا مركز أجا دقهلية.

نال الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٣.

التحق بالجامعة الأمريكية القسم الإعدادى ١٩٢٤ - ١٩٢٧.

نال البكالوريا عام ١٩٣٣ من مدرسة المنصورة الثانوية.

التحق بجامعة مانشستر بإنجلترا وحصل على معادلة البكالوريوس فى الآداب لتفوقه عام ١٩٣٧.

حصل على دبلوم الدراسات العليا فى الآداب فى جامعة إيكس آن بروفانس عام ١٩٥٠ وكان موضوعه (تاريخ الحملة الفرنسية على مصر).

نال الدكتوراه فى التاريخ من جامعة إيكس آن بروفانس عام ١٩٥١ وكان موضوع رسالته: تاريخ الصحافة المصرية على ضوء الأحداث السياسية منذ إنشائها حتى عام ١٩٥٠.

ومن تآليفه:

١- سعادة الأسرة - قصة الكاتب الكبير ليوتولستوى - ١٩٣٣.

٢- رواد الشعر الحديث فى مصر - دراسة نقدية لأربعة من شعراء مصر سنة ١٩٣٤.

٣- الزورق الحالم (الجزء الأول من ديوان شعر المؤلف ١٩٣٦ وقد آثار اهتمام النقاد.

٤- علمتنى الحياة بإشراف الدكتور أحمد أمين ١٩٥٠.

٥- ابسوب (من الميثولوجيا الإغريقية (الألف كتاب) ١٩٥٦.

٦- تاجر البندقية لشكسبير ١٩٦٠.

٧- نجونا بجلدنا - مسرحية لنورتون وايلدر ١٩٧٠.

٨- على الغاياتى فصل من كتاب (خمسة من شعراء الوطنية) ١٩٧٣.

٩- تاجر البندقية لشكسبير (طبعة القومية ١٩٧٣، ١٩٧٤).

١٠- نحو عالم واحد (محاضرات ودراسات مطبوعة).

١١- الاتحاد السويسرى (محاضرات ودراسات مطبوعة).

١٢- تجربتى فى الإعلام (محاضرات ودراسات مطبوعة).

١٣- رمضان فى سويسرا (محاضرات ودراسات مطبوعة).

١٤- بين الصحافة والأدب (محاضرات ودراسات مطبوعة).

١٥- الجامعة العربية والعلاقات الثقافية الاقتصادية بين أعضائها (نشرت بالفرنسية).

١٦- الجامعة العربية نشأتها وأوجه نشاطها (دراسة بالفرنسية والعربية نشرت وأذيعت فى سويسرا ١٩٦٤).

١٧- دراسات ومحاضرات عن القضية الفلسطينية أعدت وألقيت وأذيعت بالفرنسية أثناء عمله رئيسا لوفد الجامعة العربية الدائمة فى سويسرا (بين ١٩٥٦ - ١٩٦٦).

هذا فضلا عن المقالات والأبحاث والمحاضرات التى كان له شرف إعدادها ونشرها وإذاعتها فى شتى الموضوعات الأدبية والعلمية والقومية فى مختلف الأقطار العربية وشتى البلدان الأوروبية.

وكان عضوا فى الجماعات الأدبية والعلمية الآتية:

١- عضو الرابطة الأدبية العالمية فى جنيف.

٢- عضو النادى الثقافى الدولى فى جنيف.

٣- عضو لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب.

٤- عضو جمعية الدراما.

٥- عضو فى رابطة الأدب الحديث فى القاهرة.

٦- رأس جماعة أبوللو الجديدة أثر تأسيسها.

ومن الوظائف والأعمال التى أسندت إليه:

١- عمل بالصحافة محررا بجريدة (الدستور) من عام ١٩٣٩.

٢- التحق بجامعة الدول العربية منذ إنشائها عام ١٩٤٥.

٣- تولى منصب وكيل الإدارة الثقافية عام ١٩٥٤ وكان يرأس اللجنة الثقافية حينذاك المرحوم الدكتور طه حسين ..

٤- تولى منصب وكيل الوفد الدائم بجنيف فى عام ١٩٥٦.

٥- عهد إليه برياسة الوفد الدائم فى جنيف بالإنابة فى عام ١٩٦١.

٦- تولى رياسة الوفد الدائم فى جنيف عام ١٩٦٣.

٧- عين مديرا للإدارة الاقتصادية بالجامعة العربية ١٩٦٧.

٨- عين رئيسا لمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٩٦٩.

٩- لقى ربه فى السادس من نوفمبر ١٩٨٨.

أبو القاسم الشابى

(١٩٠٩ - ١٩٣٤)

كتبت عن الشابى (١٩٠٩ - ١٩٣٤) فى العديد من كتبى، وبخاصة كتابى "مذاهب الأدب"، وأحيينا فى "رابطة الأدب الحديث" ذكراه عشرات السنين، وهو شاعر عرفه جميع الشعراء والأدباء والنقاد .. فلا داعى للحديث عنه طويلا، وفى عام ١٩٨٤ احتفلنا بذكراه الخمسين فى ١٩٨٤/١١/٦ بدار نقابة الصحفيين، وحضر الاحتفال جمهور كبير كان فى مقدمتهم الأمير صقر القاسمى، وافتتحت الحفل بكلمة طويلة، كما سافرت إلى تونس فى الذكرى الخمسينية لشاعر تونس الكبير، وشاركت فى جميع حفلات الذكرى، وزرت (الشابية) موطن الشابى وأسرته ومنزله وقلدنى ابن الشابى جلال الذى مات والده وعمره تسعة شهور شارة المهرجان، ورحب بى فى منزل الأسرة شقيقا الشابى عبد الله وعبد الحميد .. ولجلال شقيق أكبر منه هو محمد الصادق.[1]

وجاء فى كلمتى التى ألقيتها فى مهرجان الشابى الذى أقامته الرابطة: مما يمكن أن أذكر فقرات منه على سبيل الإيجاز مصر هنا بأدبائها وشعرائها ومفكريها وهيئاتها الأدبية المختلفة، بل هنا الأمة العربية بأسرها، تحتفل جميعًا بذكرى هذا الشاعر الرائد الكبير وعضو جماعة أبولو الشعرية، والذى مات عن خمسة وعشرين ربيعا فى عمر الزهور، والذى خلده شعره وموهبته وعبقريته .. شاعر هو جدير باحتفالنا اليوم فى هذا المهرجان .. شاعر غنى للحب وللحرية وللثورة ولكرامة الشعب العربى وإرادته أحلى أغانيه.

---

[1] راجع صحيفة الأخبار ١٩٨٤/١٠/٢١ وفيها صور من مهرجان الشابى فى تونس وصورمن توزر ومن الشابية لى فيهما.

مصر كلها، والأمة العربية ممثلة فى أعلام كبار منها تحضر هذا المهرجان الكبير.. ومصر حين تحتفل بالشابى تنطلق من قيمها الإسلامية العربية وتوجهاتها الإنسانية الرفيعة، حين تقدر الموهبة والإبداع وتحتفى بهما كل الاحتفاء على طول عصور التاريخ تؤمن - أيضًا - بوحدة الفكر العربى ممثلة فى أعلام الأدباء والشعراء والمفكرين .. ونذكر فى هذه المناسبة عبد الرحمن بن خلدون فيلسوف التاريخ حين ضاقت به بلاده فهاجر عام ٧٨٢هـ إلى مصر فى العصر المملوكى لقيته مصر بكل ترحاب وصار شيخًا لرواق المغاربة فى الأزهر ثم قاضيًا للقضاة المالكيين وشيخًا للمدرسة التى تتولى تخريج القضاة، ثم أستاذا بالأزهر .. ذلك مثل من أمثلة القيم الفكرية التى تحرص عليها مصر، بل الإمام الخضر حسين حين حكمت عليه المحاكم الفرنسية بالإعدام جاء إلى مصر وأنشأ مجلة ثم صار إماما للمسلمين ذلك مثل آخر فى سمو الفكرة الإسلامية تضربة مصر، ونجد الشيخ محمد بدر الدين السودانى وكيلا للأزهر والشيخ محمد طاهر الكردى شيخا لرواق الأتراك فى الأزهر.

نذكر هنا الشابى .. والده كان شيخا فى الأزهر وحصل على العالمية منه وتولى القضاء فى بلاده وتخرج على يديه الشابى .. وكان الشابى يتجه دائما إلى مصر وبعث إليه الدكتور أبو شادى بمجلة أبولو تقديرًا لمواهبه وبعث إليه - أيضًا - بطاقة عضوية فى الجمعة احتفاء بموهبته وإبداعاته وبعث أبو القاسم من تونس بقصائده إلى أبو شادى فاحتفى بها ونشرها فى أبولو ثم أرسل إليه طلب العضوية مع رسمها وكذا الاشتراك فى المجلة ولكن أبا شادى رد المبالغ التى بعثها إليه وقال له: إننا نقدر موهبتك ونحتفى بها ونعيد إليك الاشتراك والمجلة رهن أمرك .. صار شعره ينشر فى القاهرة ومنها يذاع فى أنحاء العام العربى حتى عرفه كل شاعر وأديب وكاتب ومفكر فى كل مكان من الأمة العربية.

نحن نحتفى به تقديرًا لمواهبه وإبداعاته والروح والوحدة القومية الإسلامية والعربية والتى تنطلق منها مصر وكذلك جماعاتها الأدبية وفى مقدمتها رابطتنا رابطة الأدب الحديث.

تحية للشابى ولوطنه تونس وتحية لكم يا رفاق الفكر والأدب والشعر فى عالمنا العربى الكبير.

الفصـــل الــرابــع

مدرسة المهجر

مدرسة شعراء المهجر

(١)

"مدرسة شعراء المهجر" إحدى المدارس الشعرية فى حركة الشعر فى العصر الحديث، وهى مدرسة لها سماتها وخصائصها المميزة، ولها مذهبها فى فهم الشعر وخطوات التجديد فيه، وقد سبقتها فى الظهور مدرسة البارودى وشوقى وحافظ والزهاوى والرصافى، ثم ظهرت مدرسة شعراء الديوان: شكرى والعقاد والمازنى، التى حملت راية التجديد ودعت إليه بقوة وحرارة، كما دعا إليه من قبل مطران فى هدوء وسلام، وجاء كتاب الديوان (١٩٢١م) ثورة عاصفة على مدرسة المحافظين فى الشعر وفى الأدب، من مثل شوقى وحافظ والمنفلوطى، ومن حيث كان المذهب الكلاسيكى الاتباعى هو السائد عند المحافظين (أو ما نسميهم شعراء البعث)، كان المذهب الرومانسى الابتداعى هو السائد فى شعر شعراء مدرسة الديوان، ومنذ ذلك الحين اشتهرت مدرسة شعراء المهجر، وذاع شعرها،وصيت شعرائها، فى كل مكان، وكان بدؤها فى أوائل العقد الثانى من القرن العشرين، ولكن صوتها آنذاك كان خافتا ضئيلا لا يحس به أحد، ومنذ أوائل العقد الثالث طارت شهرتها، وذاع صيتها فى أنحاء العالم الجديد، وفى كل مكان من الوطن العربى الكبير، وخاصة بعد قيام الرابطة القلمية فى نيويورك فى أبريل/ نيسان عام ١٩٢٠م. وصدر "الغربال" لميخائيل نعيمة أحد أعمدة الرابطة القلمية عام ١٩٢٣م، وكتب العقاد مقدمته، منوهاً فيها بالكتاب ومؤلفه وبالرابطة القلمية ودعوتها التجديدية فى الشعر العربى الحديث، التى تتلاقى مع دعوة مدرسة شعراء الديوان إلى حد كبير، وفى مقدمة العقاد للغربال يقول: "لو لم يكتب قلم النعيمى هذه الآراء، لوجب أن أكتبها أنا"، وهو تأييد كبير لخطى التجديد المشتركة بين مدرستى الديوان والمهجر.

وتلا هذه المدرسة، وبعد فترة قصيرة، مدرسة شعراء أبولو التى قامت فى سبتمبر/ أيلول عام ١٩٣٢، حيث أعلن الدكتور أبو شادى قيامها، وظهور مجلتها المشهورة: "مجلة أبولو".

وهكذا شهد الثلث الأول من القرن العشرين قيام مدارس أدبية عديدة، لكل مدرسة اتجاهها وخصائصها، وكانت مدرسة شعراء المهجر من المدارس البارزة بين هذه المدارس المختلفة.

ويرجع قيام هذه المدرسة الشعرية المهجرية إلى هجرة أفواج كبيرة من أبناء البلاد العربية، وبخاصة من سورية ولبنان، إلى العالم الجديد، فى أواخر القرن التاسع عشر، وفى القرن العشرين، حيث نزلوا فى كندا والولايات المتحدة وفى دول أميريكا الجنوبية، وبخاصة: البرازيل والأرجنتين وشيلى وفنزويلا والمكسيك: ونقلوا اللغة العربية والأدب العربى إلى تلك المهاجر البعيدة، وكان من بين المهاجرين أدباء وشعراء، فأنشأ المهاجرون فى تلك الديار النائية أدبا، يعبرون به عن مشاعرهم، وكتبوا شعرا يصورون فيه عواطفهم ومختلف أحاسيسهم وتجاربهم ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى الوطن، ويصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة مثيرة، وكان أدبهم هذا هو أدب مدرسة المهجر، وشعرهم هو الشعر المهجرى الذى أصبح مدرسة شعرية من مدارس الشعر الحديث، وعنى به الأدباء والنقاد عناية كبيرة. وقد ولد هذا الأدب والشعر مع القرن العشرين، ثم نشأ ونما وترعرع وازدهر، حتى بلغ ما بلغ فى الثلاثينات وما بعدها.

وتشبه هجرة الشعر العربى إلى أمريكا الشمالية والجنوبية. هجرة الشعر كذلك إلى بلاد الأندلس، فى أوائل القرن الثانى الهجرى (أوائل السابع الميلادى)، فالشعر الهجرى صنو الشعر الأندلسى، كلاهما عاش فى بيئة جديدة، وأحدث أثرا كبيرا ودويا ضخما فى الشعر العربى كله، وكان مدرسة تجديدية كبرى شملت شتى مقومات الشعر وعناصره، وأصوله، وإن اختلفت الهجرتان: فالهجرة إلى الأندلس كانت فى ظلال دولة عربية قوية قامت هناك، والهجرة إلى العالم الجديد كانت فى ظلال حياة المهاجرين الغرباء الضعفاء الذين لا يملكون شيئا من أمور المجتمع

الذى يعيشون فيه فى أرض العالم الجديد، وإن كانت قيمة الشعر المهجرى تكاد تعادل قيمة الشعر الأندلسى: ثراء وشمولا وتجديدا.

ومن أوائل الشعر الذين هاجروا إلى أمريكا الشاعر ندوة حداد (١٨٨١ – ١٩٥٠م) وقد وصل إلى نيويورك عام ١٨٨٧م، وكان من أعلام شعراء الرابطة القلمية فيما بعد، وكان يعد عميد شعراء العربية فى أميريكا.[1]

وتبعه رشيد أيوب الذى هاجر إلى نيويورك عام ١٨٩٨م، ويكثر فى شعره من شكوى الزمان، حتى لقب لقب "شاعر الدموع"، و"الشاعر الباكى"، وديوانه "أغانى الدرويش" مشهور، ولقب بالدرويش بديوانه.

ثم هاجر نسيب عريضة عام ١٩٠٥م إلى نيويورك وتوفى فيها عام ١٩٤٦م، وديوانه "الأرواح الحائرة"معروف، وقد أصدر عام ١٩١٣م فى نيويورك مجلته "الفنون".

وتوالت هجرة الشعراء والأدباء إلى المهجر الأمريكى، وفيه عاش أمين الريحانى (١٨٧٦ – ١٩٤٠م) الذى عرف بصلاته الوثيقة بجلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وكتابه "ملوك العرب" وكتابه الآخر "تاريخ نجد وملحقاته" مشهوران، وقد شهر بأسلوبه. وهذا الإبداع فى الكتابة، وتحرى الحقائق فيه، مما لا يستغرب من الأستاذ الريحانى. الذى ينظر إلى الأمور بروحه وعقله وقلبه.[2]

وكذلك جبران خليل جبران (١٨٨٣ – أبريل نيسان (١٩٣١م) الذى صار عميد الرابطة القلمية فى نيويورك، ثم عبد المسيح حداد شقيق ندوة حداد (١٨٩٠ –

---

[1] يمتاز شعره بنزعة إنسانية، وتعددت موضوعاته: فنظم فى الاجتماعيات والاخونيات والوجدانيات والطبيعة والتأملات، وله شعر قصصى، ومن أجمل شعره التأملى قصيدته: الله، ومن شعره الإنسانى قصيدتاه: سر معى، أنا إن مت، ومن شعره الاجتماعى "طابع البريد".

[2] كما يقول عبد العزيز آل سعود من رسالة له، وصدرت هذه الرسالة من نجد عام ١٩٢٨م (راجع مقدمات كتاب تاريخ نجد وملحقاته) لأمين الريحانى – الصادر عن مؤسسة دار الريحانى ببيروت.

١٩٦٣م)، الذى هاجر إلى نيويورك عام ١٩٠٧م، وأنشأ فيها جريدة السائح عام ١٩١٢م، واستمر صدورها حتى أغلقت عام ١٩٥٩م، وكان من أوائل من فكروا فى إنشاء الرابطة القلمية ١٩٢٠م، فى نيويورك .. ثم ميخائيل نعيمة (١٨٨٩م - ..) مستشار الرابطة القلمية، وصاحب ديوان "همس الجفون". ثم أبو ماضى (١٨٩٠ - ١٩٥٧م)، ثم نعمة الله الحاج (١٨٨٩م) وهاجر إلى أرض المهجر عام (١٩٠٤م) وقد قدم إيليا أبو ماضى ديوانه الأول.

ومن الشعراء الذين هاجروا إلى المكسيك محبوب الخورى الشرتونى (١٨٨٥ - ١٩٣١م).[1]

ومن المهجريين فى البرازيل الشاعر القروى رشيد سليم الخورى الذى يعيش اليوم فى لبنان، وهو من مواليد عام ١٨٨٧م، وهاجر إلى البرازيل عام ١٩١٣م، وعاد عام ١٩٥٩م من المهجر، وأقام فى قرية "بربارا" فى لبنان .. وكذلك قيصر سليم الخورى شقيق الشاعر القروى (١٨٩١م)، وشكر الله الجر الذى هاجر عام ١٩١٩م ثم عاد عام ١٩٦٢م إلى وطنه لبنان، وأخوه فضل الله الجر (١٨٨٥ - ١٩٤٥م)، وإلياس فرحات (١٨٩٣ - ١٩٧٧م)، وقد هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠م، وأقام فى سان باولو، وكذلك شفيق المعلوف، ورياض المعلوف، وجميل المعلوف، وفوزى المعلوف .. وسواهم.

ومن الشعراء المهجريين فى الأرجنتين جورج صيدح (توفى فى ١٠ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٨م)، وزكى قنصل، وإلياس قنصل، .. وسواهم، ومن أعلام الأدباء والشعراء فى كندا محمد مسعود.[2]

---

[1] راجع فى ترجمته ص٦٨٦ - ٦٨٩ من كتاب أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأميريكية للشاعر صيدح - طبعة ثالثة - بيروت.

[2] المرجع السابق ٧١٢ - ٧١٤.

وقد أنشأ شعراء المهجر الشمالى فى نيويورك رابطة أدبية لهم باسم "الرابطة القلمية"، وذلك فى ٢٠ من أبريل/ نيسان ١٩٢٠م، وكان الذى حمل عبء الدعوة إلى تأسيسها هو عبد المسيح حداد (١٨٩٠ - ١٩٦٣م) مؤلف كتاب "حكايات المهجر" .. وكان من الداعين كذلك إليها جبران، وكان من أعلامها: ميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، ونعمة الحجاج، وإيليا أبو ماضى، ورشيد أيوب، وندوة حداد، ونعمة أيوب .. وسواهم.

وتولى جبران رياسة الرابطة القلمية، وكان ميخائيل نعيمة مستشارها، وسجل نعيمة فى صدر قانون الرابطة أن "هذه الروح الجديدة التى نرى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار فى جميل الأساليب والمعانى حرية فى نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهى أمل اليوم، وركن الغد".

وأصدرت الرابطة مجموعة أدبية دورية باسمها، أسهم فى تحريرها رشيد أيوب،[1] وقد طبعت مجموعة الرابطة القلمية فى نيويورك، ثم فى بيروت.

وقد وحدت الرابطة مسعى أدباء المهجر الشمالى وشعرائه فى سبيل اللغة العربية وآدابها[2]، والأدب عندهم يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب هو الذى خص برقة الحس، ودقة الفكر، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة فى نفسه من التأثير[3].

وبعد قيام الرابطة صارت جريدة السائح لسانها الناطق، وصدرت أعداد ممتازة منها عن الحركة الأدبية فى المهجر، وعن الرابطة ونشاط أعضائها ويمثل كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة، الذى ظهر عام ١٩٢٣م، وقدم له العقاد، أفكار

---

[1] ص٢٤١ شعر من المهجر - محمد قرة على.

[2] ٤٨ الشعر العربى فى المهجر - محمد عبد الغنى حسن.

[3] ٤٨ المرجع نفسه نقلا عن كتاب جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة.

الرابطة تمام التمثيل، من الدعوة إلى التجديد، وتوجيه النقد إلى مقاييس نقدية جديدة، منبعثة من حاجات نفسية ثابتة، أجملها نعيمة فيما يلي:

١- حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية، من رجاء ويأس، وفوز وفشل، وحب وكره، ولذة وألم، وفرح وحزن، وطمأنينة وخوف.

٢- حاجتنا إلى نور نهتدى به فى الحياة، وليس من نور نهتدى به غير الحقيقة.

٣- حاجتنا إلى الجميل فى كل شيء.

٤- حاجتنا إلى الموسيقى.

وقد وجه جبران الرابطة وشعراءها نحو الرومانسية المجنحة، وامتد تأثيره إلى الشرق العربى، بشعره الموزون، وبشعره المنثور، وبالشعر المهموس أو شعر المناجاة الذى أوجده فى شعرنا الحديث كما يقولون، وإن كان الشعر الصوفى هو الذى سبق به .. وعيب جبران فى ثورته على القواعد والتقاليد اللغوية،وكان يقول للمحافظين على اللغة: "لكم منها ما قاله سيبويه وأبو الأسود الدؤلى وابن عقيل، ومن جاء قبلهم وبعدهم، ولى منها ما تقوله الأم لطفلها، والمتيم لسكينة ليله[1] ".

ومثلت الرابطة نزعات التجديد فى الأدب والشعر، ومن ثم كانت مثارا لحركة نقد شديد فى كل مكان،حتى من كثير من المهجريين، وخاصة من شعراء العصبة الأندلسية فى المهجر الجنوبى[2]، وكانت الرابطة أقرب إلى الرومانسية شكلا، ولكن طول التأمل وعمق التجربة رفع أدبها وشعرها إلى مستوى عال يطل منه على مستويات العلم والفكر العالمى، وقال نعيمة فى مقدمة دستور الرابطة: "ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبا، ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأديب، فالأدب هو الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها .. إلخ".

ويقول صيح: فى شعر الرابطيين على العموم معان حنون، لم تلد المحبة الإنسانية أرقى منها.

---

[1] ٥٣ بلاغة العرب فى القرن العشرين - لمحيى رضا.

[2] راجع ٥٨ - ٦٩ أدب المغتربين - إلياس قنصل - دمشق ١٩٦٣م، والرابطة القلمية لنادرة سراج.

(٣)

وكذلك أنشأ قيصر المعلوف في البرازيل في أوائل القرن العشرين ندوة أدبية سماها رواق المعرى.

وفي سان باولو في البرازيل من أرض المهجر الأميريكي الجنوبي أسس الشاعر المهجري ميشال معلوف جمعية أدبية جديدة سماها "العصبة الأندلسية"، وتولى رياستها، وكان قيامها في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٣٢م[1]. ثم خلفه الشاعر القروي، ثم أرسلها من بعده شفيق معلوف ابن أخت ميشال[2]، وهو صاحب ديوان "لكل زهرة عبير"، و"ملحمة عبقر"، و"داء المجاديف"، و"الأحلام"، وهي قصة خيالية اجتماعية، ومن أسرتهم الشاعر فوزي المعلوف (١٨٩٩ - ٧يناير/ كانون الثاني ١٩٣١)، صاحب ملحمة "بساط الريح" التي قدم لها الشاعر الأسباني "فيجاسياسا"،

---

[1] ذكر محمد قرة على في كتابه أن قيامها كان عام ١٩٢٣م (١٨٥ شعر من المهجر)، ويبدو أن الرقم خطأ مطبعي، وأنه مقلوب ٣٢. وذكر الأستاذ/ محمد عبد الغني حسن في ص٥٠ من كتابه "الشعر العربي في المهجر" أن قيامها عام ١٩٣٥م، وذكر جورج حسون المعلوف أن مجلة العصبة ظهرت عام ١٩٣٥م (مجلة العصبة عدد كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٣م)، ومن هنا كان اللبس في جعل قيام الجماعة نفسها عام ١٩٣٥م، وذكر جورج صيدح أن العصبة أسست عام ١٩٣٢م، وأن مجلتها ظهرت في العام التالي أي عام ١٩٣٣م وذكر الدكتور عيسى الناعوري أنها أسست في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٣٣م، وذكر إلياس قنصل في كتابه أدب المغتربين (ص٣٨ وما بعدها) أن العصبة ظهرت عام ١٩٣٣م، واتخذت مجلة الأندلس الجديدة لشكر الله الجر لسانا لها، وفي عام ١٩٣٤م ظهرت مجلة العصبة التي استمرت عشرين عاما، وكذلك ذكر توفيق ضعون في كتابه ذكرى الهجرة (ص١٩٣ - ١٩٦) أنها قامت عام ١٩٣٢م، وذكر الشاعر المهجري رياض معلوف في مجلته التي كانت تصدر بباريس أن قيام العصبة عام ١٩٣٣م، والتاريخ الصحيح هو ما ذكرناه.

[2] مجلة العصبة عدد كانون الأول/ ديسمبر ٧، ٨ عام ١٩٥٣م.

وكذلك رياض المعلوف، وجورج حسون المعلوف، الذى قدم بعض دواوين إلياس فرحات وقد مات عام ١٩٦٥.

وقد اتسمت حركة العصبة الأندلسية الأدبية بالهدوء والاتزان، ويشير اسم "العصبة الأندلسية" إلى مدى تأثر المهجريين بالأدب والشعر الأندلسى، وبخاصة الروح الغنائى والموسيقى والعذوبة الفنية فى الموشحات، التى بلغت نهاية الترف والجمال، وقد تولى رياسة تحرير مجلة العصبة الأديب المهجرى حبيب مسعود، الذى كان يلقب بابن مقلة العصر، وكان أحد أركانها الشاعر القروى، وفى عام ١٩٤٢م حظر فى البرازيل صدور صحف بغير اللغة البرازيلية فتوقفت "العصبة" ثم عادت عام ١٩٤٧م للصدور وظلت تصدر حتى عام ١٩٥٣م، وبعد توقفها عمل رئيس تحريرها حبيب مسعود رئيس تحرير لجريدة "المراحل" التى كانت تصدر فى سان باولو فى البرازيل.

ويقول شفيق المعلوف يخاطب إخواته فى "العصبة الأندلسية" من قصيدته "الخرصاء":

لك الله فى أصقاع (كولمت) عصبة
تناضل عن حوض البيان المهدد
لنا اللغة المثلى متى أنهار سورها
بصرح دعمناه بصرح ممرد

وفى قصيدته التى أهداها إلى إخواته فى "الرابطة القلمية" يقول:

أناشيدنا تلك التى تكبرونها
بدأتم بها أنتم بأروع مطلع
وإن لواء نحن قمنا نهزه
خفوقا على حصن البيان الممتع
لواء ظفرتم أنتم باكتسابه
ونحن ركزناه بأرفع موضع

ولقد فسر حبيب مسعود معنى تسمية جماعتهم هذه بالعصبة الأندلسية فقال: أنه التيمن بالتراث الغالي الذي تركه العرب في الأندلس، والإشارة إلى الابتعاد عن التطرف الذي اتسمت به "الرابطة القلمية"[1].

وقد حدد الأعضاء مبادئ العصبة بتعزيز الأدب العربي، وتآخي الأدباء ورفع مستوى اللغة العربية، ومكافحة التعصب[2]، وكان نظير زيتون، أمين سر العصبة.

وكتب شفيق معلوف معرفا بالعصبة وغاياتها فقال: "إن أركانها أجمعوا على النضال في سبيل الأدب من حيث هو فن وجمال، دون ما نظر إلى إطار أو مصدر، فلا اغتراف من معين ينبوع منشود،ولا تمسك بفرع من فروع الشعر محدد، ومن أميز ما اتسم به أدب العصبة وشعر شعرائها أنهم ترسموا أساليب الفصحى، وتقيدوا بأحكامها، ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، كما أنهم جالوا في مضمار التجديد صامدين بأدبهم دون فوضى التجديد"، وفي عدد مجلة العرفان الصادر عام ١٩٦٤م ص١١٢٣ يذكر حبيب مسعود نقلا عن كتاب "المغتربون" لعبد اللطيف البؤس من المهجريين في الأرجنتين ظروف قيام العصبة بالتفصيل[3]، وكان من أعضائها آل معلوف. والشاعر القروي، وحبيب مسعود. ونظير زيتون، والشاعرالقروي، وشقيقة قيصر الملقب بالشاعر المدني، وإلياس فرحات" .. وسواهم.

وفي مجال الموازنة بين أدباء العصبة وأدباء الرابطة تجد أدباء العصبة أكثر تمسكا بالديباجة المصقولة، والعبارة الجميلة والجرس القوي، أما أدباء الشمال، أدباء الرابطة فلم يظهروا اهتمامهم باللغة.

---

[1] ٣٨٢ أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميريكية.

[2] ٣٨٤ المرجع السابق.

[3] ومن أرقى ما كتب عن قيام العصبة الأندلسية مقال بقلم عمر الدقاق نشر في مجلة المعرفة السورية (عدد أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٨م)، وكذلك كتب العقاد عن العصبة في مجلة قافلة الزيت مقالا نشر فيها عام ١٩٦٤م.

(٤)

ولما هاجر الدكتور أبو شادى إلى نيويورك فى أبريل/ نيسان عام ١٩٤٦م، واستقر به المقام فيها أنشأ عام ١٩٤٨، رابطة أدبية سماها "رابطة منيرفا"، كما قامت عام ١٩٤٩م فى عاصمة الأرجنتين رابطة باسم "الرابطة الأدبية"، ولكنها اختفت بعد عامين، وكان الذى انشأها هو الشاعر المهجرى جورج صيدح. وفى سان باولو فى البرازيل قامت أيضًا "جامعة القلم".

(٥)

ولقد تأثر الشعراء المهجريون بالآداب العربية القديمة والحديثة، وبمختلف المدارس الشعرية الجديدة، خاصة مدرسة شعراء الديوان، والعقاد هو الذى قدم كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة إلى القراء، وفى هذا التقديم ثناء من العقاد على أدباء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد.

وكذلك تأثر المهجريون بشعراء "مدرسة أبولو"، وأثروا فيها أيضًا، وكذلك بشعراء مدرسة البعث، وفى مقدمتهم شوقى وحافظ ومحرم والزهاوى والرصافى، وكان للمتنبى والمعرى والخيام أثر كبير فى شاعريتهم وفى شعرهم، وقد نزع بعض المهجريين إلى تقليد قصائد الشعراء القدامى والمحدثين ومعارضتها، كما فعل رشيد أيوب فى معارضته لدالية الحصرى "يا ليل الصب"، وكما فعل وديع عقل فى معارضته لقصيدة على بن زريق البغدادى:

لا تعذليه فإن العذل يولمه

قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وكما فعل محبوب الشرتونى فى قصيدته فى وصف الحمى التى عارض بها قصيدة المتنبى المشهورة:

ملامكما يجل عن الملام

ووقع فعاله فوق الكلام

ويقول فوزى المعلوف:

خل البـداوة رمحـها وحسـامـها

والجاهليـة نوقـها وخيامـها

ويعارضه إلياس فرحات بقصيدة[1] يقول منها:

خـل البـداوة نوقهـا وخيامهـا

والجاهليـة روحهـا وحسامهـا

حييتك أشباح القديـم وسلمـت

فمـن العدالـة أن تـرد سـلامهـا

وللمهجريين الشماليين من سعة الأفق، وشدة الانطلاق نحو التجديد، ما لم يعرف لسواهم من المهجريين، من حيث جنح شعراء المهجر الجنوبى إلى المحافظة على عمود الشعر والبلاغة العربية، وأكثرهم موزعون بين البرازيل والأرجنتين.

وجل شعراء الشمال فى كل فن، وقالوا فى كل غرض، وفاض شعرهم بمختلف النزعات الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والسريالية والواقعية وغيرها، وظهر التحرير التعبيرى فى شعر نسيب عريضة وميخائيل نعيمة وجبران أكثر مما ظهر فى شعر غيرهم، وصار شعراء الرابطة القلمية أكثر حرية فى اللغة، وتجديدا فى الألفاظ والأساليب .. من حيث وقف شعراء المهجر الجنوبى عند حدود المحافظة على اللغة والأسلوب.

وكان تجديد المهجريين فى الأوزان الشعرية واضحا، فقد كتبوا الشعر عن طريقة الشعر المنثور، أو النثر الشعرى، واستهوتهم الموشحات الأندلسية بجمالها، فنظموا على منوالها الكثير من قصائدهم، لكثرة أوزانها، وللحرية الكبيرة فى تخير قوافيها، وكان جبران يقول: إن تعدد الأصوات يزيد فىوقع القصيدة ومداها، ويسترعى انتباه القارئ، أكثر من الصوت الواحد[2] .. وقد أكثر المهجريون من الأوزان القصيرة، والبحور المجزوءة وبدافع مندور عن ألفاظ المهجريين وتراكيبهم،

---

[1] ص٢٥٥ ديوان فرحات - سان بأولو بالبرازيل عام ١٩٣٢م.

[2] ١٦٠ جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة - رمز الموشحات المهجرية قصيدة "يا نفس" لجبران.

ويرى أنها ليس لها مثيل فى الشعر الحديث[1]، ويذكر أن تمتع الشعر المهجرى على لغة الشعر التقليدية، وركونه إلى التعبير المباشر القوى، هما من حسناته، لأن ذلك هو الطريق الوحيد الذى كان لابد للشعر المهجرى أن يسلكه لكى يفلت من الصنعة إلى الصدق، ولكى يعود إلى الحياة[2].

ويجعل الدكتور عيسى الناعورى[3] حركة التجديد فى الشعر المهجرى امتداد للانطلاقة الأندلسية الشعرية، التى ظهرت فى موشحات الأندلسيين وتمثل هذه الحركة فى رأيه مرحلة العمق والبساطة فى الشعر العربى وجعل الشعر فنا يعبر عن خلجات النفس ونوازع الحياة، دون افتعال أو زخرفة لفظية. وقد ساعد على إيجاد هذه الحركة الجو الجديد الذى عاش فيه شعراء المهجر، والآداب الغربية التى اتصلوا بها وبأصحابها، والحرية الواسعة التى امتلأت بها نفوسهم وبواسطة اطلاعهم على الشعر العالمى فى مختلف اللغات استطاعوا أن يجمعوا بين قوة المعانى وصدق التعبير،وبراعة الصور، وبساطة الصياغة، وموسيقتها، وإلى جانب الشعر الكلاسيكى المحافظ الذى أغنوه بجمال المعانى الجديدة، جاءوا بشعر جديد آخر جميل، غنى بالموسيقى والألوان والصور الحية البديعة، وقد أشار د. الناعورى إلى صنع شعراء المهجر فى أوزان الشعر وموسيقاه، وإلى تلاعبهم بالتفعيلات، وإيثار بعضهم بناء القصيدة على تفعيلة واحدة، وإلى تنوع القوافى فى قصائدهم، وإلى أثر هذا فى موسيقى الشعر، ويرى أن صنيعهم هذا حفظ للشعر العربى موسيقيته الفنية.

ويجعل "صيدح" الموهبة الفطرية هى مفتاح السر فى تفوق أدب المهجر وشعره، مع الجد والاجتهاد والتأمل العميق.

وقد استلهمهم المهجريون روح الشرق فى شعرهم استلهاما عجيبا، يقول أبو ماضى.

---

[1] ٥٧، ٥٨ فى الميزان الجديد - مندور - طبعة ثانية.

[2] ص١٦٩ المرجع نفسه.

[3] ٣٢٧ أدب المهجر - عيسى الناعورى - طبع دار المعارف فى مصر عام ١٩٥٩م.

أنا في نيويورك بالجسم وبالر
وح في الشرق على تلك الهضاب

أنا في الغوطة زهر وندى
أنا في لبنان نجوى وتصابي

ومع ما بين الشماليين والجنوبيين من فوارق، جمعت بينهم الغربة والبيئة الجديدة وقرابة الفكر، فالتقوا جميعا على صعيد الإنسانية الفسيحة، ومثلها العالية، إخوانا متحابين.

ويقول محمد عبد الغني حسن أن المهجريين استطاعوا أن يحتفظوا بشخصيتهم العربية التي تعبر عنها لغتهم أصدق تعبير، واستطاعوا أن يبنوا للغة عدنان كيانا قائما في المهجر، على الرغم مما أدخلوه عليها من غرائب العرب في الاستعارات والمجازات والتشبيهات والكنايات وغريب الخيال.[1]

ويرى الشاعر الكبير عزيز أباظة[2] أن المهجريين لم يفتحوا آفاقا جديدة في الفن عجز عن الصعود إليها إخوانهم في لبنان.

وقد يدافع عنهم بعض النقاد بأنهم مع اقتناعهم في توليد المعاني الطريقة وإلباسها ثوبا من الأخيلة الجميلة في المجازات والتشبيهات والاستعارات والكنايات - قد نظموا القصة الشعرية، والكثير من الأساطير والخرافات والحكايات الإنسانية التي احتذوا فيها حذو لافونتين وابسوب، وكثرت في شعرهم الرحلات الخيالية إلى السماء والعالم الآخر، كما نجد في ملحمة "على بساط الريح" لفوزي المعلوف، وملحمة "عبقر" لشفيق معلوف، مما تأثروا فيه ولا ريب بالمعري في "رسالة الغفران" وبدانتي في "الكوميديا الإلهية"، و"شاطئ الاعتراف" للهمشري، و"ترجمة الشيطان" للعقاد و "ثورة الجحيم" للزهاوي، وبالقصص الشعري الذي أكثر من النظم فيه شوقي

---

(1) مقدمة الشعر العربي في المهجر.

(2) ص١٨ المرجع السابق.

وحافظ والرصافي وأبو شبكة، ومطران وشبلي الملاط، وخليل شيبوب، وبشارة الخوري، وخير الدين الزركلي، وإبراهيم ناجي، وعلى محمود طه، .. وسواهم.

ومن المعاني الجديدة قول فرحات:

كـــل مـــــن راقـــب الظـــلام

ظـن عينـــيه كوكبـــين تائهـــين

ويقول شفيق معلوف في وصف عين الشيطان:

كأنمـــا محجـــــرها كــــــــوة يطـــل منـــها الزمـــن الغـــابـــر

ويقول أبو ماضي:

فـإذا رآنـــي ذو الغـــباوة دونـــه

فكما يرى في الماء ظل الكواكب[1]

وأحاط المهجريون كذلك بالكثير من ثقافات العرب، وأميريكا، وألموا - مع العربية - باللغتين الإنجليزية والأسبانية. وكان حظ شعراء المهجر من الانتفاع بالشعر الأميريكي غير قليل.

وقد وقفوا بين روح الشرق وروح الغرب موقف المؤمن بالتراث، والمستفيد من كل جديد، فكثرت في شعرهم معاني الحرية والدعوة إلى الإخاء والمساواة. ووقف بعض المهجريين من القديم والجديد موقفا وسطا، أخذوا من القديم، وأخذوا من الجديد، وتوسطوا في الأمر بين التجديد والتقليد، فلهم كلاسيكية حافظ وشوقي وأحمد محرم وبشارة الخوري، ولهم رومانسية حالمة مجددة، ورمزية وسيريالية كذلك، ينزعون نحو المذاهب الغربية في الأدب والشعر والفن.

ولقد كان شعراء "الرابطة القلمية" أكثر إسرافا في التجديد والدعوة إليه، وتوزعت آراء الشعراء المهجريين في الجنوب بين التجديد والتقليد، وهكذا مثلت "العصبة الأندلسية" موقف المحافظ المعتدل المتطلع ببصره تارة نحو القديم، وأخرى نحو الجديد، ويمثل الرأي المحافظ في العصبة أمثال: الشاعر القروي

[1] راجع ص٦١ الشعر العربي في المهجر.

وإلياس فرحات، بينما يمثل رأى الداعين للجديد والمتمردين على القديم أمثال فوزى المعلوف فى البرازيل وجورج صيدح فى الأرجنتين: وكذلك نعمة قازان الذى يقول:

فقلتم: يقـــول النحـــاة، فقلـــت

لقد كـــان ذلـــك فـــى البصـــرة

أفـــاس والنحـــاة حـــدود الزمـــان

ومـــر خيـــــالى وعقليـــــتى؟

لقـــد حـــددوهـــا لأفـــكارهـــم

فضاقت، وزمـــت علـــى فـــكرتى

فقلتم: يقـــول الكســـائى، فقلـــت

وجـــبران قـــال علـــى صحـــة

وعندما يأخذون معانى القدماء يصوغونها بلباقة، يقول أبو العتاهية:

وكانت فـــى حياتـــك لـــى عظـــات

وأنت اليـــوم أوعـــظ منـــك حـــيا

فيقول أبو ماضى:

يعظ النابـغ الخلائـــق حيـــــا

إنـــما موتـــه أجـــــل عظاتـــه

ويقول زكى قنصل:[1]

أفهم الشعر حرا من كل قيد ترابى، نظيفا من كل درن وراثـى، أفهمه قيثارة مختلفة الأوتار، متعددة الأصوات،تتماوج بألحان السماء وأهازيج الحياة .. ولكنه يعود ويستدرك على ذلك فى قصيدته التى صدر بها الديوان، وعنوانها "رجعى"[2]، وفيها يقول:

---

[1] ص٨ مقدمة ديوان "ألوان وألحان"، طبع بوينس إيرس - الأرجنتين علم ١٩٧٨م.

[2] ص١٧ المرجع نفسه.

أنـــا يـــا قـــوم رجعـــى
أحـــب الفـــن للفـــن
أنـا فـى الأنـــس جـــنى
وانســى مـــع الجـــن
أقـــول الشعـــر تفريجـــا
لمـــا فـــى النفـــس مـــن ألـــم
كبت قدمـــى فلـــم أحـــزن
وأحـــزن أن كبـــا قلـــمى

ويقول فى قصيدته "شوقى":[1]

يا هــازئين بشــوقى لا ألــومكــوا
ما قيمة الشمس فى رأى الخفافيش
جناح شوقى مراقى النجم مسبحــة
فكيـف يـدركه ديـك بـلا ريـش
شوهتمو صفحة الفصحى ولم تدعـوا
فى الشعر قاعـدة من غـير تشويـش

ولقد نظم المهجريون فى الحرية، وفى الفخر بالشرق والعرب، وفى الابتهال إلى الله وتقديس أنبيائه، وفى الكفاح فى سبيل الحياة، وفى وصف الطبيعة، وفى الحيرة، والتساؤل والتأمل، وفى البكاء والألم، ونظموا القصة الشعرية، ونظموا وأبدعوا فى الحنين إلى الوطن، وغلب على شعرهم الطوابع الآتية:

١- الطابع العاطفى الذى يتجلى رقة فى العاطفة ما بعدها من رقة، حيث الشوق والحنين إلى الوطن البعيد.

٢- الطابع الروحى، ويتمثل فى مناجاتهم لله، وحبهم للطبيعة، وهيامهم بالجمال.

---

[1] ١٦٠ المرجع نفسه.

٣- الطابع التأملى كما فى "الطلاسم" لأبى ماضى وغيرها.

٤- الطابع القومى، مما يتراءى لنا فى وطنيات أبى شادى والقروى وفرحات.

٥- الطابع الإنسانى، وهو كثير فى شعرهم.

ولم يقطع الشعر المهجرى صلته بالشرق أو بالعروبة أو بالإسلام، فجميعها مؤثرة عليه من جوانب كثيرة، مما يشمل الوطن والسياسة والدين.

وما كتبه القروى من شعر فى رسولنا الأمين محمد - صلى الله عليه وسلم -، وقصيدة إلياس قنصل عن النبى العربى الكريم، خير مثل لإيمانهم بقدسية الرسالات وجلالها. وقد نوه مندور بما فى الشعر المهجرى من تلك اللهفة الروحية التى وجهت أجدادنا.[1] ودافع العقاد عنه لأنه ثمرة أربعين عاما،ولأنه ثروة للغة العربية، ويدافع صيدح عن المهجريين بأن تجديدهم الأهم كان فى الفكرة والموضوع، وقد انعكس هذا التجديد على الأساليب والموسيقى الشعرية.

وفى الشكوى من آلام الغربة ومشقاتها، وفى الحنين إلى الوطن، يبلغ الشاعر المهجرى الغاية، التى لا مزيد بعدها لمستزيد.

وإذا أردنا الشواهد على ما قلناه فهى كثيرة لا يعجز عنها أحد ولو ذكرت بعضها منها لأطلت ومللت، وحسبى هنا أن أنقل عن زكى قنصل من قصيدة له:[2]

حتام أخنق غصاتى وانتظر
طال الطريق وأوهى عزمى السفر

جارت على النوى واستنزفت كبرى
فكيف يضحك فى قيثارتى وتر؟

يا شام لولا طلاب المجد ما انتشرت
فى الشرق والغرب هذى الأنجم الزهر

---

(1) مجلة الثقافة المصرية عدد أبريل/ نيسان ١٩٤٣م.

(2) ص٩٧ ألوان وألحان.

يا شام يا سمك كم غنوا وكم هزجوا

ويعلـم الله كم أنـــوا وكـم زفـروا

لم يهجـروك، برغـم البعـد، ثانيـة

شتان شـتان من غابوا ومن هجـروا

أو أنقل عن أبى شادى قوله:[1]

بكـى الربيـع طروبـا فـى مباهجـه

وقد بكيـت أنـا حـبى وأوطـــانى

أنا الغريب وروحـــى شـاركت بدنى

هذا العذاب بأشـــواقى وأحـــزانى

فيــم العــزاء، ولا قلـب ألــوذ بـــه

ولا حـــنان يناجيـــنى كتحنانــــى

لى فى ثرى مصـر دمـع نائـح ودم

أذيب من مهجتى اللهـفى ونيـرانى

تركته مثل غرس الحـب ما ذبلـت

أزهـــاره أو أغـاثـت روح لهــفان

أشمها فى اغترابـى حيـــن تلذعنى

ذكرى الشباب وذكرى عـمرى الفـانى

ويقول حليم دسوس فى الغربة والاغتراب:

هجـــر الـــروض وعـــاف الثـــمر

وليـــــالى أنســه المزدهـــــرة

كـــان فـــى موطـــنه معرفـــة

وهـو فـى الغربــة أمســى نــكرة

---

[1] راجع رائد الشعر الحديث للخفاجى.

ومضـــى يضــرب فــى آفاقـــها

ولســان الدهـــر يـروى خـــبره

بحـــياتى هاجـــر مغـــترب

غالـــب الدهـــر ولاقـــى عـــبره

وهو فى الفجـــر يناجـــى شمســـه

وهو فـــى الليـــل يناجـــى قمـــره

أدر الدفـــة يـــا ربانهـــا

فالحمـــى حـــن إلى من هجـــره

ونعنى بها مدرسة الشعر الحر وحدها دون باقى المدارس المختلفة ..

ومن روادها اليوم: الفيتورى، ومن إبراهيم أبو سنة، وأحمد عبد المعطى حجازى وفاروق شوشة.

ومن أعلامها الدكتور كمال نشأت والدكتور سعد دعبيس والدكتور صابر عبد الدايم والدكتور محمد العزب. والشاعرة ملك عبد العزيز (ت فى ١٩٩٩/١١/٢٩)، والشاعر يس الفيل ...

الفيتورى وأغصان الليل

الفيتورى اسم كبير لشاعر مبدع، أثرى الشعر العربى المعاصر عبر نصف قرون بقصائده الرنانة، ودواوينه المتألقة، التى صدرت له على امتداد الأعوام، تحمل لواء الإبداع والتجديد فى أسمى صورها الرفيعة السامقة والفيتورى غنى لأفريقيا، فتحررت أفريقيا، وغنى للحرية، فارتفعت رايتها خفاقة فى كل مكان، وغنى للإنسان وللحياة وللعروبة ولكل معانى الإنسانية وقيمها النبيلة والفيتورى يؤمن بحركة الشعر المعاصر وبتجدده، وبأن هذه الحركة مرتبطة بقضايا المجتمع، وبانتصار حرية الفكر، ورد [illegible] سان، يقول فى مقدمته لهذا الديوان الجديد، متحدثا عن أزمة الشعر المعاصر:

"ليس بالأمر الهين أو اليسير، كما قد يحلو للبعض أن يحلم، وهذه ليست شهادة متفرج، أو عابر سبيل، أن طواحين الشعر العربى الحديث المثلثة الأضلاع، والمكعبة الزوايا،والملتوية الأحجام، والفارغة، سوف تكف عن الجعجعة والدوران، وسوف يحدث أن تتكرر ذات النماذج العبثية والانهزامية، وذات التجارب الشكلية وذات الصور والألفاظ والتراكيب، مالم نضىء بالمعرفة، ونتعزز بالتفاؤل العميق، رؤيا وقدرات الشاعر العربى المعاصر، ذلك الذى أصبح لشدة هزاله شاهد إثبات على أن ثمة جريمة ما، وما لم يدرك أن لا خلاص له بمعزل عن خلاص أمته من التخلف. وأن

لا قضية له خارج قضايا واقعه ومجتمعه، وأن كليهما مدعو لحضور الاحتفال التاريخي بانتصار حرية الفكر وهزيمة القهر ورد اعتبار كرامة الإنسان ويحنى رأسه إكبارا للتراث وللمبدعين القدامى من الشعراء، فيقول فى المقدمة نفسها: "إنه من الضرورى تخطى هذه المنظرة الاعتباطية والبدء فى التعامل مع هذا التراث بوعى وإحساس جديدين، نستطيع أن نلمس فى ضوئهما أصالة وجهد الشاعر المبدع حتى فى مدائحه، أو غزلياته، أو هجائياته أو بكائياته، أو موجداه الصوفية. أو تأملاته، وأنه فى واقع الحال إنما كان ينجز إسهامًا حضاريًا فاعلا ومؤثرا فى حياة أمته. وفى إنضاج شخصيتها، وإدراكها لمعنى وجودها، ولعلاقاتها بالله وبالكون من حولها، ولمسيرتها الممتدة فى أحشاء المستقبل".

وديوان أغصان الليل عليله هو أحدث دواوين الشاعر الفيتورى، وهو غناء للحرية، وللوطن، ولكرامة الإنسان، ولمجد العروبة وتحريرها من ربقة الهوان وهو ثورة على القهر، وعلى كل ما يصيب الإنسان باليأس والقنوط وينادى الفيتورى دائما، وكما يقول فى صدر ديوانه: "أرى من واجبى أن أوضح أن الظاهرة فى حد ذاتها لا تعنينى كثيرًا. بالرغم من كل ما يثار حولها من صخب، إنما يعنينى الشعر من حيث كونه عملا فنيًا جادًا، وفكرًا أساسيًا، وحوارًا جماليًا، بين الشاعر والجمهور وأيضًا من حيث كونه عطاء إنسانيًا، ورؤية ثورية خلاقة. وفى هذا الضوء يستطيع الشاعر المعاصر تبنى الأساليب والصيغ الجمالية التى قد تتوافر له، نتيجة التحولات الاجتماعية فى وطننا العربى وفى العالم. ليس فقط النزوع أو التبنى، وإنما الممارسة الإبداعية، والإضافة العميقة، التى تضىء وتثرى وجدان الإنسان العربى فى هذه المرحلة الصعبة، هذه المرحلة بالذات"

وديوان أغصان الليل عليلة إضافة جديدة لغناء الشاعر الإبداعى للحرية ولرموزها وأبطالها، وللمدن العربية الشامخة الجبهة فى صمودها من أجل الحرية، وفى طموحها للأمل الكبير البعيد، وما أقسى على نفس الشاعر من قوله وهو يردد. فى ختام قصيدته "المتألق فى موته": يا سيدى، الوحشة المستبدة والغسق اللانهائى، والاغتراب، يا سيدى. يا سيدى" وما أشد ألم نفسه وهو يهتف فى قصيدته "أغصان

الليل عنينة" التى سمى الديوان باسمها: "فى الداخل، خلف البوابات الصماء المرصودة، حول نواميس العالم، تتأنق مأساة العالم، أو وهو يردد فيها: "أغصان الليل عليلة، وأنت بلا درب، وبلا صاحب، يا ويح جنونك، أين تعلق صورة شعرك، فى زمن المجد الكاذب.

وفى الديوان يغنى الشاعر لحرية لبنان، ويغنى لحرية بغداد، ويغنى لحرية العروبة أحلى أغانيه، ويردد:

لم يكن أبدا صوت شعرى

قرنفلة فى فمى

كان طاحونة تستريح على عنقى

كنت أنزع أقمطة القهر والموت

كنت أرصع حلمى بالصور

وأغرس فوق الضفاف غنائى

أو يقول:

ضع نجمة بين عينيك

واخلع دمامة عصرك

وامض جميلا

إلى حيث تومض جوهرة الكون

وفى قصيد[illegible] [illegible]ائر والأسئلة" يهتف للبنان الحرية، وهو يقول:

ويسألونك عن لبنان، يسألك

الفجر السماوى والأصداف والدرر

وجوقة من ملوك الشعر، ترسم

فى بلور بيروت رؤياها وتبتكر

وعاشقون إذا طاف الجمال بهم

تناسخوا فيه مبهورين وانسحروا

وحالمون كأن لم يولدوا أبدا

ولم يمر بهم رعد ولا مطر
فآمنوا بالجمال المحض وانفجرت
أشلاؤهم فى رماد الكون، وانفجروا

وفى قصيدته "مقدمة الزيارة" فى رحاب الإمام على والنجف الأشرف يردد فى بكاء وخشوع:

وقلت يا نفس ما أغلى البلاد
وإن ضاق الحصار على أبنائها الآنف
وما أرق معانيها وإن خشنت
فيها الحياة، وسالت دمعة الشظف
فأمشى إلى قدر لا تعرفين له
إلا الوفاء، ومجنون النضال وفى
واقرى السلام إذا جد السلام
على دار السلام
وبوسى الأرض، وانصرفى

وفى فيض من النداءات الحارة للعروبة لتنتصر لمواكب الحرية، ومن الرمزية التى تحيل المضمون إلى وجدان خالص، وإلى أغان للحرية .. يسترسل الشاعر محمد الفيتورى فى أحلامه ومطامحه.

ملحق بالكتاب

الشعر فى مصر القديمة

- ١ -

لم يَعُدْ أمر الشعر فى مصر القديمة خافيا،

ففى عام ١٨٩٩م أصدر الأستاذ الألمانى "مولر" كتابه "شعر الغزل عند قدماء المصريين".

وفى عام ١٩١٢ ترجم ماسبيرو المستشرق الفرنسى المشهور "نشيد النيل" وطبعه فى القاهرة.

وفى عام ١٩٤٩ صدر فى لندن للأستاذ "مورى" كتاب بعنوان "الشعر الدينى المصرى"

وفى عام ١٩٤٩ صدر كتاب "الشعر المصرى" للأستاذ جلبير البلجيكى.

وفى عام ١٩٥٩ صدر كتاب "شعر الغزل فى مصر القديمة" تأليف "هرمان"

وللدكتور أحمد عبد الحميد يوسف كتاب "فى الأدب المصرى القديم"

وفى عام ١٩٦٣ أصدر الكاتب السويدى كتابا بعنوان "أناشيد اخناتون"

وفى عام ١٩٦٩ صدر كتاب "أدب وشعر مصر القديمة" لمؤلف إيطالى اسمه "برشيانى".

واليوم يصدر عن مكتبة الأنجلو المصرية كتاب "الأدب الفرعونى" للدكتور عطية عامر، وهو كتاب حافل بنصوص، من النثر والشعر من أدباء وشعراء ظهروا فى مصر القديمة، ومنه نستمد معلوماتنا التى كتبتها فى هذا المقال ..

وهذا الكتاب موزع على أربعة أقسام

القسم الأول فى الأدب الدينى شعرا ونثرا

والقسم الثانى: فى أدب الحكمة والوصايا والأمثال والتعاليم، من الشعر والنثر.

والثالث: نصوص عن فن الكتابة والأدب والنقد.

والرابع: نصوص تدور حول الفخر والترجمة الذاتية وشعر الغزل والحب ونشيد للنيل ونموذج من الحوليات.

- ٢ -

وفى هذا الكتاب القيم "الأدب الفرعونى" نجد من نصوص الشعر قصائد كثيرة، منها:

١- دعاء للشاعر باجيرى.

٢- الحياة فى الآخرة للشاعر نفسه.

٣- نداء إلى الأحياء للشاعر نفسه.

٤- أنا للشاعر نفسه.

٥- قصيدة للملك تحتمس الثالث.

٦- نَشيد النيل لشاعر مجهول (٣٥٢ وما بعدها الأدب الفرعونى).

٧- قصائد لشاعر مجهول.

٨- أغانى الحب لشعراء مجهولين.

٩- قصائد للشاعر نخت سبك.

١٠- من الأغانى الريفية لشاعر مجهول.

١١- خلود الكاتب لشاعر مجهول.

١٢- قصائد من الشعر الغنائى والحوليات.

وغير ذلك من النصوص الشعرية

وهذه النصوص لا ندرسها من الناحية الأدبية أو البلاغية لأنها منقولة عن مصادر أفرنجية، والترجمة ولا شك تذهب ببلاغات الأسلوب ولا ريب، وإنما يجوز أن نستعرضها من ناحية الأفكار والمعانى فحسب.

فى خمس صفحات من كتاب د. عطية عامر نقرأ هذا النشيد الجميل "نشيد النيل" لشاعر مجهول من الأسرة الثانية عشرة (من عام ١٥٥٠ ق.م.)، ويستغرق هذا النشيد خمس صفحات من كتاب د. عطية عامر ص٣٥٢ - ٣٥٧ الأدب الفرعونى).

ويبدأ النشيد بقول الشاعر:

تحية لك، حابى (وحابى هو ملاك النيل)

نابع من الأرض

قادم لإخصاب مصر

من المسالك الخفية

المظلمة فى النهار

إلى من يغنى له شعبه

يتسرب إلى حقول أبدعها "رع"

لإطفاء ظمأ من هو

لرى الصحراء الجرداء

نداه يتساقط من السماء

ويسترسل هذا النشيد الجميل فى أفكاره ومعانيه، وتضامينه ببساطة شديدة، وعضوية جميلة.

وهذه سطور من قصيدة غزلية للشاعر نخت سبك:

مررت أمام منزلها فى الظلمة

لم يستجب أحد لما قمت به من دقّه

تحية مساء إلى حارس بيتها

أيها القفل، أو أن تفتح لى

أيها الباب أنت منقذى

أنت الوحيد مرشد روحى

إلى آخر هذه القصيدة.

وفي خلود الكاتب يقول شاعر من الأسرة العشرين فيما يقول:

يفنى المرء وجثته تصير ترابا

وجميع أقاربه أضحوا سرابا

لكن ذكراه تبقى لعابا

في فم كل القارئين

الكتاب أفضل من بيت أحسن تشييده

ومن قبر في الغرب أحكم تقويمه

ومن قصر زينت ساحاته

ومن لوحة نقشت في المعبد

ويغنى القائد الحربي "وني" من الأسرة السادسة بالنصر، فيقول فيما يقول عن النصر الذى أحرزه جيش مصر على الأعداء على حدود مصر السرب

هذا الجيش عاد في أمان

بعد أن دمر أرض الرمال

هذا الجيش عاد في أمان

بعد أن أذل أرض الرمال

هذا الجيش عاد في أمان

بعد نهب قلاعهم

هذا الجيش عاد في أمان

بعد أن قطع شجر العنب والتين

هذا الجيش عاد في أمان

بعد أن أشعل النيران في قصورهم

هذا الجيش عاد في أمان

بعد أن قتل عشرات الألوف من جيوشهم

هذا الجيش عاج في أمان

بعد أن أسر الكثير من رجالهم

ومن قصيدة "أحزان مواطن مصرى" يقول الشاعر أيبوور من الأسرة الثانية عشرة، وهى قصيدة طويلة تضع فى ستة عشر صفحة من كتاب "الأدب الفرعونى":

ويبدو أنها كتبت فى عصر الهكسوس ومقاومة الشعب للغزاة

تأمل!

الوجه شاحب

رامى السهام مستعد

الجريمة فى كل مكان

ليس هناك أحد من رجال الماضى

تأمل!

حابى يأتى بالفيضان

وليس هناك من يحرث له

يقول الجميع: إننا لا ندرى ماذا حدث لهذه البلاد

تأمل!

الرجل الحقير أصبح رجل ثروة

ملاك الحياة لا ينجب بسبب حالة البلاد

تأمل!

الموتى يدفنون فى النهر

الموج فى القبر

القبر أصبح موجا

تأمل!

لا يوجد إنسان فى أية ناحية

تأمل!

الذهب والفضة فى عنق العبيد من الخدم

تهيم النساء الفاضلات فى البلاد

تقول السيدات نود أن نجد طعاما

تأمل!

أبناء النبلاء يحطمون رؤوسهم فى الجدران

والرضيع يطرح فى الجبل

الطعام فى نقص

الغلال نفدت فى كل مكان

المرء عار من الملابس

تأمل!

العدل موجود فى البلاد بالاسم فقط

الأدباء ذبحوا

مؤلفاتهم صودرت

ويل لى من كتابة هذا الزمان

ماذا يمكن أن يفعل الشعب

يقول الطفل الصغير: يا ليتنى لم أولد

أن الناس يسكنون القبور، والرعاع أصبحوا سادة

انظر:

نبلاء البلاد يتجولون جوعى

بينما ما كان سيقدم لهم يستمتع به الخدم

تأمل!

العظماء فى جوع وعناء

يقومون بخدمة خدمهم

الصعاليك سرقوا الملك

الفقير صار غنيا

والغنى أصبح شحاذا

وهذه مناجاة لله لشاعر مجهول:

رب الصامتين

المستجيب لدعوة المصابين

أدعوك لأننى فى محنة

لتسرع لانقاذى

وتخلصنى من الضيق

أنت الرحيم

إن دعاك أحد

أجبته من مكانك البعيد

وهذا دعاء للشاعر باحيرى من الأسرة الثامنة عشرة، وقد خدم الملك تحتمس الأول ١٥٢٨ - ١٥١٠ ق.م.

ملك الخلود

الإله الباقى

الحاكم، سيد الفخر

الواحد الأحد

الأول الأزلى

القديم الذى لا شبيه له

خالق البشر والملائكة

الضوء الحى

نور البشرية

سيد البحار

وبعد فهذه نصوص من الشعر المصرى القديم، الذى سجل مشاعر الأمة والشعب والناس، وهو شعريتسم بالصدق والطلاقة والإيمان.

إن حياة مصر القديمة كانت كأنها شعر، وكأنها قصيدة أو أغنية أو أنشودة وكان الشعراء هم سادة الموقف دائمًا فى كل حدث وكل لحظة، وعبر الشاعر المصرى القديم عن نفسه وعن وجدانه بكل صدق وطلاقة وحرية.

الفهـــــــرس